# الصحافة والكتابة الإبداعية

## دليل المواطن الصحفي في مناطق النزاعات

ضحى حسن

الناشر: مؤسسة فريدريش إيبرت – ٢٠١٦
صندوق بريد: ١١٦١٠٧ رياض الصلح
بيروت ١١٠٧٢٢١٠، لبنان



تأسست مؤسسة فريدريش إيبرت الألمانية سنة ١٩٢٥ كمنظمة سياسية غير حكومية تحقيقاً لرغبة أول رئيس منتخب بأسلوب ديموقراطي، وهو الرئيس فريدريش إيبرت، الذي اقترح إنشاء مؤسسة تخدم القيم الأساسية للديموقراطية الإجتماعية.

الموقع الإلكتروني: www.fes.de

المدقق اللغوي: نبيل محمد
تصميم الغلاف والتصميم الداخلي: منى أبو عسلي

شكر خاص لكل من:
ماهر سمعان، نالين ملا، نبيل محمد،
ومركز الخليج لحقوق الانسان

خلال السنوات الماضية لعبت وسائل الاعلام المختلفة دوراً أساسياً في نقل وتوثيق الأحداث في سوريا، إلا أن التضييق الذي مارسه النظام السوري، وظهور القوى المتطرفة، وما رافق ذلك من تصاعد في العنف والقتل والتدمير، أطّر دور الإعلام، قام بتوجيهه، تسخيره، تغييب الوقائع المعاشة والمعاناة اليومية للشعب السوري في الداخل بشكل خاص.

ولأن وسائل الاعلام تملك قدرةً هائلةً على التأثير في الجمهور، وتشكيل الرأي العام، والاقناع بالأفكار التي تناسب القائمين بالاتصال، على سبيل المثال : إن عدد قتلى النظام السوري، يفوق عدد القتلى على يد تنظيم الدولة الاسلامية بأضعاف كثيرة، ويفوق كذلك عدد القتلى في صفوف الجيش السوري النظامي، وعلى الرغم من أن المجازر المرتكبة بحق المدنيين من قبل النظام مازالت مستمرة، ولا تقل إجراماً عن إجرام تنظيم الدولة الإسلامية (الذي يلقب إعلامياً بـ داعش)، إلا أن التنظيم بات قادراً من خلال قطع رأس واحد، أن يحجب مقتل ١٠٠ مدني جراء قصف النظام عن الإعلام، وعن النقاشات الاجتماعية.

يقوم معظم القائمين على وسائل الإعلام بترتيب أولويات اهتمام الجمهور بما يناسب مصالحهم، كما يعتمدون مبدأ نظرية الرصاصة، التي وإن كان تأثيرها قصير المدى، إلا أنها أثبتت قدرتها على التأثير القوي السريع والمباشر على الجمهور المستهدف.

لقد تم توثيق أحداث الحرب في سوريا بصورة استثنائية لم تحدث في التاريخ من قبل، ويعود ذلك بالطبع إلى التطور التكنولوجي الهائل الذي أتاح الكثير من الوسائل الحديثة التي تُستخدم في رصد الأحداث وتوثيقها، مثل مقاطع فيديو يوتيوب، ومشاركات شبكة التواصل الاجتماعي فيس بوك، ومنتديات شبكة الإنترنت المختلفة. إذ تساعد هذه الوسائل الحديثة الصحفيين والمحللين السياسيين في رصد الأحداث في سوريا ومتابعتها، وذلك دون الاضطرار إلى الوجود الفعلي في مكان تلك الأحداث، ولاسيّما أنّ هنالك صعوبات كثيرة تواجه الصحفيين والمراسلين عند دخول مناطق كثيرة في سوريا.

وهنا يكمن دور المواطن الصحفي، الذي ظهر مع انتشار التكنولوجيا، وتوسع دور وسائل التواصل الاجتماعي في حياة الناس، ويقصد بالمواطن الصحفي أي مواطن عادي، غير محترفٍ في عملية جمع ونقل ونـشر الأخبار، إنما يقوم بهذا الدور نتيجة تواجده في مكان الحدث.

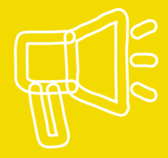
اليوم لم يعد كافياً تدريب المواطن الصحفي على كتابة الخبر، والقصة الصحفية، ونقل الأحداث بالشكل التقليدي كما حصل في الأعوام الماضية، إذ إن ما يجري مع المتلقي اليوم في تعاطيه مع القضية السورية، هو كحال السجين السياسي الذي يعتاد بعد أربع سنوات في السجن الانفرادي على المكان، ويعتاد جسمه على التعذيب، وتصبح مأساته روتيناً يومياً.

ما أحس به السجين في العام الأول لم يتلاش، لكنه أخذ شكلاً آخر مع مرور الوقت، فالسجين مازال يشعر بالألم أثناء التعذيب، والوحدة في زنزانته المنفردة.. لكن شعور الصدمة هو الذي تبدد، وتحوّل إلى عادة.

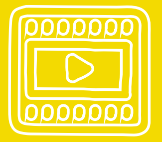
يبدو أننا اليوم بحاجة إلى إعادة بناء الخبر السوري، وخلق استراتيجية تسويق جديدة، تعيد القضية السورية إلى الوجود، إذ إن نشر خبر مقتل ٦٥ مدنياً بالطريقة ذاتها لمدة أربع سنوات لم يعد كافياً لإثارة اهتمام المتلقي.

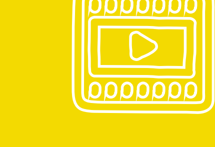
لم يعد الخبر الصحفي مجرّد نقلٍ لحدثٍ معيّن، بل أصبح صناعةً لها سماتها الخاصة، إذ أن الخبر دخل مرحلة التطور الذي رافق ثوّرة الاتصالات والمعلوماتية التي تفاعلت فيها عوامل عدة أسهمت في تطور أساليب الخبر ووسائل وطرائق إيصاله إلى الجمهور، هكذا نجد العملية الإخبارية قد تعقّدت تبعاً لعالم مليءٍ بالصراعات المختلفة، من إيديولوجية وثقافية واجتماعية واقتصادية وسياسية، تركت أثرها واضحاً في العملية الإخبارية.

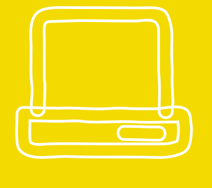
# الفصول



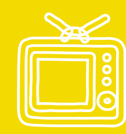


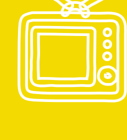





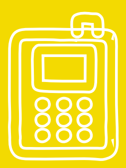


# الدقة
# عدم الانحياز
# المصادر











## المبادئ العامة:

تقوم التغطية الإخبارية التي تراعي حساسية النزاعات والحروب، على أساس التمسك بالمعايير الجوهرية للصحافة، التي تتمثل في الدقة، والموضوعية والحياد، إلى جانب التمسك بروح المسؤولية الأخلاقية.. تلك المعايير مجتمعة تعتبر أهم المعايير على الإطلاق.

### • الدقة:

هي من أهم معايير كتابة الخبر والقصة الصحفية، خاصةً في زمن الحروب والأزمات، حيث تسود الضبابية الشائعات والأخبار الكاذبة والمبالغ بها، إذ أن الحقيقة والدقة يشكلان جوهر سمعتك كمواطن صحفي، فإذا لم يكن بمقدور القراء أو المستمعين أو المشاهدين أن يثقوا في أنك تقدم روايةً دقيقة للحدث، فهذا يعني أنك لن تنجح حتى في تحقيق الحد الأدنى الضروري من أساسيات العمل.

مهما كانت رؤيتك للحقيقة و للخط الفاصل بين الخبر والرأي، ستظل الدقة فكرةً بسيطة، ولكنها في غاية الأهمية، فالدقة تعني الحصول على المعلومات المؤكدة بشكل صحيح مثل الأسماء والأماكن وتواريخ الميلاد والتصريحات والأرقام.

لذلك إذا كتبت أو قلت إن «قوات النظام قتلت ٢٥ مدنياً في حلب جراء القصف بالبراميل المتفجرة»، عليك أن تتأكد من العدد، كما عليك العودة إلى المصادر الخاصة بك، فإن ظهر لاحقاً أن عدد القتلى ١٥ مدنياً، أو عددهم ٣٠ مدنياً، فإنك ستفقد ثقة وسائل الاعلام بك كمصدر أولاً، وثقة المتلقي بك ثانياً.
إن دقة أي تقرير أو خبر صحفي هي مسؤوليتك، لذلك عليك أن تتأكد من دقة المعلومات، وأن تكون حذراً أثناء تعاطيك معها، متنبهاً متيقظاً لكل التفاصيل.

كما عليك أن تقرّ بالأخطاء وتصححها فور اكتشافك لها، وفي أي حدث أنت كمواطن صحفي تسعى لعرض وتقديم رواية دقيقة وحقيقية لما يجري في العالم، وفي حال تقديمك أي معلومات مغلوطة، لديك واجبٌ أخلاقي بأن تُعلِم الجمهور بأنك نَقلت شيئاً خاطئاً، كما أن تصحيح الأخطاء ضرورةٌ ملحةٌ على شبكة الإنترنت، فقصصك الإخبارية يتم تناقلها وحفظها في الأرشيف لفترة طويلة بعد نشرك لها. وعدم الدقة سيؤدي لسلسلة من الشكاوى تتهمك بعدم النزاهة، بل قد تورطك في اتهام بالتشهير. وأكثر السبل فعالية في تصحيح الخطأ هو الاعتراف به ثم تصحيحه.

مثال:

**مجزرة الخالدية ٢٠١٢**

– المرصد السوري:

«حمص – ارتفع إلى ٥٨ عدد شهداء مجزرة الخالدية، بينهم نساء وأطفال، والذين قتلوا إثر قصف بمدافع الهاون تعرض له حي الخالدية قبل قليل، وعدد الجرحى أكثر من ١٥٠ بينهم الكثيرون في حالة حرجة».

– لجان التنسيق المحلية:

«وثّقت لجان التنسيق المحلية ٢١٢ شهيداً سقطوا يوم السبت، ٢٠١٢/٢/٤ بينهم ١١ طفلاً و٨ سيدات و٤ عسكريين.
١٥٤ من الشهداء قضوا تحت قصف جيش النظام في حي الخالدية وحده، علماً أن عدد شهداء حمص في ذلك اليوم وصل إلى ١٨١ شهيداً ولا تزال أسماء الشهداء تأتينا تباعاً حتى الآن».

– الهيئة العامة للثورة:

«بلغ عدد الشهداء في حي الخالدية حتى الآن ٢٣٠، والجرحى ٧٠٠ جريح، وما زال القصف مستمراً بالهاون والدبابات».

– العربية نت :

«٣٣٧ قتيلاً، و١٣٠٠ جريحاً في مجزرة حمص بسوريا».

– الجزيرة نت:

«٢٦٠ قتيلاً بقصف على حمص».

– بي بي سي:

«سوريا: عشرات القتلى في الهجوم على حمص.
قالت المعارضة السورية إن عدد القتلى في سوريا ارتفع إلى خمسة وثمانين شخصاً معظمهم في مدينة حمص التي صعّد الجيش السوري من هجماته عليها، مستخدماً المدفعية والصواريخ».

مثال:

في عام ٢٠١٤، انتشر مقطع فيديو على موقع يوتيوب، يعرض طفلاً صغيراً ينقذ أخته من رصاص القناص في حلب، وخلال أيام قليلة شاهد الفيديو أكثر من خمسة ملايين مشاهد، كما تصدر وسائل التواصل الاجتماعية ووسائل الإعلام، تلك التي تناقلته بسرعة كبيرة دون التأكد من صحته والتدقيق فيه.

– العربية نت :
«طفل سوري بطل ينقذ شقيقته تحت وابل من الرصاص».

– في وسائل التواصل الاجتماعية:
«طفل سوري يعيش لحظات الموت ثلاث مرات لإنقاذ حياة أخته»
«طفل سوري ينقذ أخته رغم إصابته برصاص القناصة»
«طفل سوري شجاع ينقذ اخته من رصاص القناصة»
«طفل سوري يظهر ذكاء و شجاعة غير مسبوقة و ينقذ أخته من رصاص قناص الأسد».
ليتبيّن لاحقاً أن الفيديو ليس إلا مشهداً تمثيلياً، حيث قام المخرج النرويجي (لارس كليفبيرغ) بتصويره في مالطا، حيث أوضح لوسائل الاعلام أنه كتب نص السيناريو بعد مشاهدته لتغطية وسائل الإعلام للأزمة في سوريا. وأضاف أنه تعمّد تقديم الفيلم على أنه حدث بالفعل، وذلك بهدف «إثارة النقاش حول معاناة الأطفال في مناطق النزاع».
وقال كليفبيرغ «إذا استطعنا أن نصنع فيلماً، ونُشر على أنه حقيقي، سيتعاطف ويتفاعل معه الناس».
لقد استطاع كليفبيرغ كسب تعاطف وتفاعل الناس، لكن ذلك قبل معرفتهم للحقيقة، هذه الحقيقة أثارت جدلاً وسخطاً كبيراً بين العديد من مستخدمي مواقع التواصل الاجتماعي، والتي استغلتها وسائل الإعلام المؤيدة للنظام السوري، والتي جاء فيها:

– «نشر إعلام المجموعات الارهابية فيديو قال فيه إنه لطفل سوري ينقذ شقيقته من نيران قناص الجيش السوري، ليتبين أنه مجرد فيلم سينمائي».
– «مخرج خدع العرب ووسائل الإعلام بطفل سوري خرافي أنقذ أخته من رصاص القناصة في حلب».

كمواطن صحفي، أنت ملزم بعقد اتفاق مع جمهورك، فأنت تشاهد وتكتشف أموراً لا يتسنى لمعظم الناس الوقت أو القدرة على الوصول إليها. مهمتك أن تنقل للجمهور ما توصلت إليه، وأنت في هذه الحالة تطلب منهم أن يثقوا في أنك تراجع صحة كل واقعة نقلتها لهم. وتطلب منهم أن يثقوا في أن روايتك لا تضلّلهم، بل إنك تعدهم بعدم التضليل. قد تعمل مع أفراد من جمهورك عبر شبكات التواصل الاجتماعي، وقد تسألهم أن يعيروك خبرتهم وتجاربهم، أو أن يقوموا لأجلك ببعض المهام الشاقة مثل تدقيق الوثائق، أو مقارنة الرواية الرسمية للحدث برواياتهم. وحتى في هذه الحالة أنت مسؤول عن تزويد الجمهور بالحقيقة، وعدم خداعه.

• عدم الانحياز:

الموضوعية هي إحدى أهم المعايير الأساسية في تغطيتك، وكتابتك ونقلك للأحداث من حولك، وإن كان ذلك يبدو أمراً صعباً في ظروف الحروب والأزمات، خاصة عند تغطيتك للأحداث في بلدك، لكنه ليس أمراً مستحيلاً، بوسعك استخدام نهج موضوعي وعملي للتحقق من المعلومات، وتقديم تقاريرك وقصصك وتحقيقاتك الإخبارية بناء عليها، لذلك عليك أن تكون نزيهاً ومنصفاً في تقديم وجهات النظر المختلفة، أن تسعى إلى معرفة الآراء المتناقضة، وعرضها دون تحيّز إلى طرف دون آخر، خاصة في تلك المواضيع التي تكون فيها الوقائع والحقائق موضوع جدل وخلاف، ما قد يساعد المتلقي على ملاحظة الحقائق، وهذا جزء أساسي من مهمتك ومسؤوليتك كمواطن صحفي.

كما عليك أن تكون واعياً لرأيك الشخصي حول موضوع الحدث، كي تتمكن من ضبطه وضمان عدم تأثيره على ما تكتبه، من أجل تقديم صورة كاملة وأمينة للجمهور.

**المعايير التي يجب على المواطن الصحفي اتباعها لتحقيق الموضوعية:**

- الإحاطة الكافية بالموضوع الذي يتصدّى لمعالجته.
- مراعاة الدقة بدرجة قصوى.
- تحقيق الإنصاف والحياد.
- التوازن.
- وضوح الرسالة حتى في أوقات الخطر.
- الشمولية.
- عدم إهمال السياق.
- إسناد الرأي لمصدر موثوق وواضح وذي صلة، والعمل لصالح الحقيقة، وليس لصالح أي جهة أو اعتبار.
- إذا تعذر إقصاء الأيديولوجيا، فعلى الأقل يجب الإحاطة برأي الطرف الآخر.
- نشر الحقائق حتى لو كانت تتحدّى الجو العام.
- الابتعاد عن القصور في نقل آراء الأطراف المنخرطة في القصة، والأفراد الذين يملكون رأياً في ما يحدث.

**أنماط الانحياز:**

لا يعتبر تفادي أنماط الانحياز في التغطية الإعلامية عملاً سهلاً، إذ أن وكالات الأنباء تمارس أنواعاً مختلفةً من الانحياز منها: تمييز الأخبار بعبارات مثل «عاجل»، أو التمييز من خلال المساحة، فتعطى بعض القصص مساحةً أكبر مما تستحق، أو في المقابل توضع بعض القصص في الخدمات الثانوية

للوكالة فتعطيها قيمة أقل مما يجب.
• الانحياز بالمحاباة، حيث يعمل المواطن الصحفي لصالح طرف أو أكثر من أطراف القصة، على حساب طرف آخر.

• الانحياز بالحذف الاختياري، أي بحذف أو تغييب حقائق تؤيّد وجهة نظر معينة، بهدف إظهارها ضعيفة لحساب وجهة نظر أخرى.

• الانحياز باختيار القصص.

• الانحياز باختيار المصادر.

• الانحياز بالاستحسان أو الاستهجان.

• الانحياز باستخدام المصطلحات والتعريفات الخاطئة، مثل استخدام مصطلحات «إرهابي»، «متمرد»، «شهيد»، «انتحاري».

• الانحياز بتقديم الرأي كخبر.

• انحياز نقص السياق، فلا يقدّم الإعلامي خلفية القصة، مما يؤدي إلى تحريف معناها بما يخدم طرفاً أو وجهة نظرٍ ما.

• الانحياز للأخبار السيئة: الأخبار الجيدة قد تكون في بعض الأحيان مملّة، على عكس أخبار الكوارث، والحروب، والأزمات، والانقلابات والمجازر.. إن هذا الانحياز قد يجعل المكان الذي تتم تغطيته أكثر سواداً، كما أنه يغيب القصص والأحداث الإيجابية.

يندرج تحت هذا النوع الانحياز للأخبار السيئة على اعتبار أن «الأخبار الجيدة مملّة ولا يصاحبها أفلام أو صور جيدة»، بالإضافة إلى «انحياز السرعة» الذي يدفع الصحفي إلى اختيار المصدر الذي يعلم بأن الوصول إليه سهل.

ويدخل في إطار الانحيازات البنيوية، مشاركة المواطنين الصحفيين بأدوار في أنشطة سياسية أو اجتماعية أو رياضية، فيصبحون مصادر وصحفيين في آنٍ واحد، مما لا يضمن نزاهة القصة التي يعملون بها.

• المصدر:

يتلخص مفهوم مهنة الصحافة في كونها قائمة على جمع المعلومات ونقلها للجمهور المستهدف، وغالباً ما يلجأ الصحفي لنقل هذه المعلومات عن مصادر حيّة، كالمسؤولين أو شهود العيان أو أصحاب القضايا التي يتناولها التقرير أو التحقيق الصحفي.

من الممكن تقسيم المصادر إلى ثلاثة أنواع: فهناك أصحاب المصلحة الذين لهم فائدة من نشر القصة، وأصحاب الخبرة الذين يحتاجهم الصحفي لتخصّصهم في مجال ما، ومن ثمّ أصحاب القضية الذين عاشوا تجربة القصة.

التعامل مع المصادر حرفةٌ لا تقلّ أهميةً عن حرفة الكتابة الصحفية، فثمّة أنواع وأشكال من المصادر تختلف من موقف لموقف، ومن صحفي لآخر، يحتاج كل منها إلى أسلوب خاص في التعامل، لذلك عليك أن تسعى أولاً لبناء علاقة من المهنية والثقة مع مصادرك، وأن تتحرى عن صحة المعلومات التي تعطيك إياها، لا سيما تلك المعلومات التي تحتوي أرقاماً، بيانات، أو معلومات وثائقية وتاريخية.

تقتصر مهمتك في طرح الأسئلة على المصادر، والبحث عن المعلومات وكشف الحقائق، ومن ثم تقديم هذه الحقائق للجمهور بالطريقة التي تجدها أكثر فعالية، وأنسب في العرض بما يخدم مادتك الصحفية.

بصفة عامة، تُعد المصادر التي تدلي بأقوال للنشر دائماً الخيار الأفضل في أي موضوع، إذ إن استخدام المصدر المجهول في التغطية الصحفية يعتبر من أضعف الوثائق، كما أن الإفراط في الاعتماد عليها إخلال في القواعد المهنية، على الرغم من استخدام الوسائل العالمية للمصادر (المجهولة) ضمن ضوابط محددة، إلا أنها تحرص على عدم التوسع في ذلك حفاظاً على مصداقيتها، وتلجأ عادة إلى مصادر أخرى لتأكيد المعلومات، لذا حاول تجنب الاستعانة بها في مادتك إلا في حالات الضرورة القصوى.

مسؤوليتك الأخلاقية قد تخضع لاختبار قاسٍ في مناطق النزاع على يد جهات تستخدم القسر في تعاملها، حيث تلجأ إلى التهديدات أو القوة لمعرفة مصادر المعلومات، لذلك ينبغي عليك التقيد بطرق حماية المصادر، الاتصال بهم والحفاظ على سجلاتهم الشخصية عندك.. أنت ملزم بحماية مصادرك بشرف وأمانة.

إجراء المقابلات بمهارة هو أساس كل تغطية وكتابة صحفية جيدة. وتُعرّف المقابلة بأنها معلومات

أو الرأي أو الخبرة التي يتشاطرها المصدر في محادثة مع الصحفي، وما يجعل المقابلة مختلفةً قليلاً عن الحديث العادي هو أن الصحفي يحدد اتجاه الأسئلة. والحصول على مقابلة ليس سهلاً دائماً، فقد لا يرغب الناس في التحدث مع الصحفي، خاصة إذا كانت القصة الإخبارية مثيرةً للجدل.

لذلك عليك أن تقوم بجمع كافة المعلومات عن الشخصية التي ستجري معها الحوار، والبحث في كافة التفاصيل المتعلقة بالموضوع الذي سيدور حوله النقاش، كما عليك تحديد المحاور التي تريد الخوض في تفاصيلها، والأسئلة التي تريد الإجابة عنها من الشخصية.

الأسئلة هي العمود الفقري لأي مقابلة، وهي الدّفة التي تجعل السفينة تبحر في الاتجاه الصحيح، والأسئلة الجيدة قد تكافئ المراسل الصحفي بإجابات غير متوقعة، ومعلومات قيمة. أما الأسئلة الضعيفة فتجعل الصحفي يتساءل عما دعاه للحديث مع هذا الشخص.
إن السؤال الأول في أي مقابلة مهم، لأنه يحدد طابع ما سيتبعه من أسئلة. والعديد من الصحفيين يطرحون سؤالاً «لإذابة الجليد» بينهم وبين الشخصية التي يجرون معها المقابلة، لكي تصبح أكثر اطمئناناً واسترخاءً. عادة يكون السؤال عن شيء يرتاحون للإجابة عنه. وقد يكون متعلقاً بأمرٍ لا علاقة له بموضوع المقابلة.

أفضل الأسئلة هي الأسئلة المفتوحة التي لا يمكن الإجابة عنها بنعم أو لا فقط. فتبدأ الحوار «بكيف؟» أو «ماذا؟» أو «أين؟» أو «متى؟» أو «لماذا؟»، مما يشجّع الشخص على إعطاء الأجوبة الدسمة التي تطلق العنان للمعلومات المطلوبة في بناء قصّة دقيقة، إذ إن السؤال المفتوح يمكِّنك من التطرق إلى التفاصيل، وبكل حرية مع الشخصية التي تلتقيها، بينما تعتبر الأسئلة المغلقة التي يكون جوابها مقتصراً على نعم أو لا أكثر محدودية، إلا أن لها غاية مهمةً عند استخدامها بدقة ووضوح.

قم بصياغة وتجهيز الأسئلة التي تريد طرحها مسبقًا، لتضمن إطلاق الحوار بدلاً من إعاقته. التزم بالنص، واطرح سؤالاً واحدًا في كل مرّة. لا تخشى أن تصحّح أسئلتك المطروحة.

افترض أنك أنهيت للتوّ حواراً مع سياسي أو عسكري.. وفجأة يقول لك هذا الشخص:
«بالمناسبة، حديثنا هذا غير قابل للنشر»، هذا هو الوقت المناسب كي توضّح للأشخاص الذين تحاورهم أنه ليس هناك طريقة لاسترجاع أو شطب ما تم التصريح به. تأكّد أن الشخص يفهم ذلك منذ البداية.
فعندما يريد أحد المصادر أن يعلن عن معلومات غير قابلة للتسجيل أو النّشر، أوقفه عن الكلام واسأله «ما الذي تعنيه بذلك؟»، في العادة لا يعرف الشخص ما الذي يعنيه فعلاً، خاصةً إن كانت

هذه المقابلة هي مقابلته الأولى التي يجريها.
قام الصحفي بيل ماريمو، (الفائز بجائزة بوليتزر الصحفية مرّتين، والذي كشف عن انتهاكات الشرطة في فيلاديلفيا)، بإعادة قراءة تصريحات أحد مصادره غير القابلة للنشر للمصدر نفسه.
وقد وجد على الأغلب أن معظم المصادر غيّرت رأيها بمجرّد سماعها ما يمكن أن يُقتبس على لسانهم

أسس الصحافة:

# الخبر الصحفي
# التقرير الإخباري
# التحقيق الصحفي



## الخبر الصحفي:

غرقت العملية الإخبارية اليوم في ضوضاء المصادر الكثيرة والوقائع الضبابية في ظل الأزمات والحروب المستمرة، تلك التي ترافقت مع تصاعد دور وسائل التواصل الاجتماعي في نقل الأحداث، سوريا كمثال على ذلك، حيث اضطرت وسائل الإعلام العربية والدولية في العامين الأخيرين لسحب الصحفيين منها بسبب التهديدات المحيطة بأمنهم، ما جعلها تعتمد في تغطيتها على المواطن الصحفي الموجود في الداخل السوري.

الخبر: هو وصف دقيق وموضوعي لحدث يمس مصالح الجمهور، ويثير اهتمامه، ويؤثر في المجتمع.

يعتمد الخبر الصحفي في تكوينه على المقدمة ، التفاصيل، الخلفية، وهي مكونات تقوم على المعايير التالية :
الآنية – الدقة – القرب – البروز والشهرة – التأثير– الانتشار – الغرابة والموضوعية.

كما يجيب الخبر عن الأسئلة :
- من ؟ : من هم الأطراف في هذه القصة الإخبارية؟
- متى؟ : متى حدث هذا؟
- أين؟: أين حدث هذا؟
- ماذا ؟ ماذا حدث؟
- كيف؟: كيف حدث هذا؟
- لماذا؟: لماذا حدث؟

مثال:

توفيت عائلة (ماذا؟) من اللاجئين السوريين، مكونة من أب وأم وطفلين(من؟)، اليوم الاثنين (متى؟)، إثر حريق شب في بيتهم (كيف؟) المتنقل في مخيم الزعتري للاجئين السوريين، وذلك بسبب تسرب غازي أدى إلى اشتعال الكرفانات (لماذا؟) الواقعة في محافظة المفرق، شمال المملكة الأردنية، على مقربة من الحدود السورية (أين؟).

**العنوان:**

يجب أن يتضمن العنوان الموضوع الهام الذي يتضمنه الخبر، أو العنصر البارز من عناصر الخبر، أو الحقيقة الجوهرية في هذا الخبر، فالعنوان هو المدخل الحقيقي للخبر ولبقية القصة الخبرية، لهذا عليه أن يكون مختصراً ويبرز أهم ما في الخبر.

**المقدمة:**

تتم كتابة مقدمة الخبر باختيار أهم جزء من تفاصيل الحدث الذي يمثل مركز الثقل وصياغته في فقرة لا يتجاوز عدد كلماتها ثلاثين كلمة، تتضمن ملخصاً للموضوع، وتكشف عن هوية الأشخاص، المكان والوقت ، كما تبرز الطابع المميز للخبر، وتعطي آخر التفاصيل وتثير اهتمام القارىء لمتابعة قراءة الخبر.. على المقدمة أن تشد انتباه المتلقي إلى القصة الإخبارية.

**المتن:**

يمثل المتن القاعدة المهمة في الأحداث والوقائع، فهو يتضمن الشروح والتفاصيل المدعومة بالبيانات أو الإثباتات أو الوثائق ذات الصلة بالموضوع.

هناك قوالب إخبارية كثيرة، لكن القالب المعتمد من قبل وسائل الإعلام هو «قالب الهرم المقلوب»، حيث يكتب في قاعدة الهرم أهم وأبرز معلومة في الخبر، ويؤكد هذا القالب على أهمية الجمل الأولى من الخبر، أما المعلومات الأقل أهمية فتوضع في الرأس السفلي من الهرم، ثم تأتي التفاصيل في جسم الخبر، الأهم فالمهم فالأقل أهمية. وفي هذا القالب تكون الفقرات قصيرةً، بحيث تسهل قراءتها واختصارها. وتكون الوقائع منظمةً والمعلومات والبيانات مرتبةً حسب أهميتها.

**الخلفية:**

هي الأصول الرئيسية التي تسببت بوقوع الحدث، أو تطوراته السابقة.

**الصورة:**

الجزء المكمل للمادة الصحفية أو الإعلامية المقدمة في الصحف، فلا يمكن للقارئ أو حتى الناظر للصحيفة أن يقرأ خبراً صحفياً دون أن يكون بقربه صورةٌ توضح الحدث، فهي ليست بالضرورة أن تكون ناقلة للحدث بكافة تفاصيله، بقدر ضرورة تعبيرها عن الواقع بصدق وعفوية.

اختلفت الصورة الصحفية في الوقت الحاضر اختلافاً كبيراً عن السنوات السابقة، من ناحية الفهم

والاستيعاب لمفهوم الصورة الصحفية، ومن ناحية الاهتمام الكبير، وتعدد المؤسسات التي تعنى وتهتم بالصورة الصحفية.

**مثال عن الصورة:**
ارتفع عدد ضحايا الغارات الجوية التي نفذتها طائرات حربية تابعة للنظام السوري، في وقت سابق من اليوم الأربعاء، على سوق شعبي بمدينة دوما في الغوطة الشرقية لدمشق، إلى ١٥٠ مدنياً.

لقد تلقى الرأي العام أخبار مجازر دوما في الأيام الأولى باعتيادية تلقيه لأخبار المجازر المستمرة في سوريا، إلى أن نشر ناشطون صوراً كثيرة للقتلى والضحايا والدمار في دوما، فتلقّاها الرأي العام وتفاعل معها كأنها حدثت للتو، رغم أن النظام بدأ بتصعيد عملياته العسكرية في دوما منذ أكثر من أسبوع، قُتل خلاله أكثر من ١٥٠ مدنياً.

حينها تصاعدت الأصوات المنددة بجرائم النظام في المدينة، ونُشرت على وسائل التواصل الاجتماعي والإعلام صورٌ كثيرة للمجزرة، كما أطلق ناشطون حملة واسعة تحت هاشتاغ «دوما تُباد».
يقول جون موريس في كتابه (التقط الصورة): «إن الصورة تصدم الذهن أكثر من الكلمة بكثير»، تماماً كما حدث في المثال السابق.

(كل ما يرد في تفاصيل النماذج التدريبية هو بهدف التدريب، حيث يبنى الحدث افتراضياً، إنما يستند على ما هو معتاد من أخبار سوريّةً في الوضع الراهن).

(خبر عن بيان إضراب مدراء المدارس في شرق حلب).

المراحل:

**١ـ الخطوة الأولى: (معرفة الحدث)**
حصل المواطن الصحفي المقيم شرق حلب في المناطق الخاضعة لسيطرة قوات المعارضة، على معلومة تفيد بإضراب مدارس في أحياء حلب عن العمل واستقبال الطلاب، بسبب استهداف المدارس من قبل طيران النظام المروحي بالبراميل المتفجرة.

**٢ـ الخطوة الثانية: (تجميع المعلومات)**
في خطوة معرفة الحدث، (التي تكون بالصدفة، أو عن طريق تصفح الانترنت والبحث عن الأخبار الجديدة، أو عن طريق تواصل شخصي مع طرف مرتبط بالحدث)، تتم الإجابة بشكل جزئي عن سؤال (ماذا حدث؟)، فيما تبقى التفاصيل الأخرى مجهولة إلى حين القدرة على جمعها..
جمع المعلومات يتم من خلال تواصل الصحفي مع أطراف مرتبطة مباشرةً بالحدث، أو أطراف لها ارتباط غير مباشر إذا لم يتيّسر التواصل الأول، أو من خلال شهود عيان في الأحداث الميدانية.
في الحدث الذي عرِفه الصحفي (إضراب المدارس)، يقوم الصحفي بالتحري عن القضية من قبل الأطراف المرتبطة بها (القائمون على بيان الإضراب، مدراء مدارس، هيئات تعليمية، الحصول على البيان وقراءته)، لتتم الإجابة على بقية الأسئلة (من؟ متى؟ أين؟ كيف؟ لماذا؟).
وبالتواصل مع كل أو بعض المصادر السابقة، من المتوقع أن يحصل الصحفي على إجابات، ومثالها في قضية الإضراب.. (اليوم تم إعلان الإضراب، تم الإعلان في خمسة أحياء من شرق مدينة حلب، من خلال بيان نشر على مواقع التواصل الاجتماعي، وقع عليه مدراء ٢٥ مدرسة، تم إرسال بيان إعلان الإضراب إلى مجموعة من المنظمات الدولية، وسبب الإضراب هو تكرار استهداف المدارس بالبراميل المتفجرة من قبل طيران النظام).

**٣ـ الخطوة الثالثة: (التبين والتأكد)**، والحصول على تصريحات داعمة للمادة:
يمكن من خلال عملية التواصل مع الأطراف المعنية بالحدث، الحصول على تصريح يضاف إلى المعلومات التي تم الحصول عليها، ويجب أن يكون التصريح مرتبطاً بشكل مباشر بالحدث، ويتم الحصول عليه من أحد الأطراف المرتبطة بذاك الحدث بشكل مباشر.. ففي مثالنا السابق، سيكون الطرف الذي سيدلي بتصريحه، هو أحد مدراء المدارس الموقعين، أو إحدى المؤسسات التعليمية التي رحبت بالبيان وساهمت بنشره، ومن الجيد أيضاً تدعيمه بتصريحات لأطراف ذات ارتباط غير رسمي بالحدث، كأسر الطلاب مثلاً، أو حتى طالب أو أكثر من الطلاب.. أو أسر طلاب متضررين بسبب قصف المدارس ولهم تجارب سابقة مع هذه القضية.

ومن الطبيعي خلال التواصل مع أطراف ذات ارتباط رسمي بالحدث أن يتم تأكيد المعلومات منها، والتبين عن التفاصيل، لكن من الضروري بمكان أيضاً أن يكون التصريح الذي سيتم الحصول عليه، ذا قيمة إضافية للخبر، بحيث يقدم معلومات أخرى، ويستفيض في شرح مضمون الحدث، ولا يكرر فحواه.

وفي مثال (إضراب المدارس) من الممكن أخذ تصريح من مدير مدرسة وقّع على بيان الأضراب، ويتم توجيه أسئلة تضيف معلومات إلى الحدث..

- هل هناك مدارس رفضت التوقيع على الإضراب؟
- هل لديكم معلومات دقيقة تفيد بحجم الأضرار التي تسبب بها قصف المدارس بالبراميل المتفجرة؟
- هل تعتقدون أن هذا الإضراب قد يؤدي إلى لفت أنظار الجهات الأممية إلى قضية استهداف المنشآت التعليمية؟
- هل هناك خطط بديلة لتعليم الأطفال؟

**٤ـ الخطوة الرابعة: (الحصول على الصور)**

يتم العمل للحصول على صورة بالتوازي مع مرحلة تجميع المعلومات، فإن تمكن الصحفي من التقاط صور بنفسه فسيكون ذلك هو الأفضل، وإن منعته الظروف الأمنية أو البعد الجغرافي عن ذلك، فمن الجيد الحصول على صور من قبل الأطراف التي تعاونت معه وأعطته المعلومات، على أن يتم ذكر مصدر الصور، وفي حالات الاستعصاء وصعوبة الحصول على الصور، يمكن الاعتماد على وكالات الأنباء والمواقع الالكترونية التي تقدم خدمة الصور، بشرط ذكر المصدر.

وفي القضية السابقة (إضراب المدارس) من المتوقع أن يتضمن الخبر: (صورة مدارس مدمرة بسبب القصف، صورة البيان الذي صدر) ويمكن أيضاً إضافة (صورة لإحدى المدارس بعد الإضراب، صورة للشخص الذي تم اللقاء به).

ومن الجيد هنا أن نذكّر بأن قيمة الصور ليست مجرد قيمة تكميلية للخبر، بل هي جزء لا يتجزأ منه، وخاصة تلك الأخبار التي تتضمن ما هو ميداني ومتعلق بحياة الإنسان، أو الأخبار التي تعتبر الصور أحد دلائل مصداقيتها.

**٥ـ الخطوة الخامسة: (تفريغ المعلومات)**

يتم تفريغ وكتابة كل ما حصل عليه الصحفي عن الحدث (معلومات، مقابلات)، بمعنى تجهيز مسودات العمل، وكتابة ما تم تسجيله صوتياً إن وجد.

**٦ـ الخطوة السادسة: (صياغة الخبر)**

من المفترض أن تتيح المعلومات التي تم الحصول عليها كتابة خبر أقرب إلى صيغة التكامل.. فتبدأ الصياغة وفق الشكل والطريقة التي يريد الصحفي فيها نشر خبره، وتبعاً للأسلوب السابق (الهرم المقلوب) يمكن صياغة الخبر وفق ترتيب العمل التالي:

المقدمة

أصدر مدراء ٢٥ مدرسة في أحياء شرق حلب الخاضعة لسيطرة المعارضة السورية، بيانَ إضرابٍ عن العمل، صباح اليوم، اعتراضاً على استهداف المدارس بالبراميل المتفجرة التي تستهدف فيها طائرات النظام أحياء شرق المدينة.

**المتن:**

وجاء في البيان الذي نشر في مواقع التواصل الاجتماعي، وتداوله نشطاء إعلاميون، وعاملون في المنظمات المدنية الناشطة في مدينة حلب، أن الإضراب «سيستمر حتى ضمان حماية المنشآت التعليمية، وتحييد المدارس عن الصراع»، وأن استهداف المدارس من قبل النظام السوري «بلغ حده الأعلى خلال الشهر الماضي، حيث دُمِّرت عشرات المدارس، واستشهد ما يزيد عن ١٠٠ طفل تحت الركام»، وهو ما دعا الموقعين على البيان إلى الإضراب الذي، «سوف يزيد من حماية الأطفال، بمنع خروجهم من المنازل إلى المدارس».

وأسف الموقعون إلى ما وصلت إليه الأوضاع في شرق حلب، إلا أن «توقف العملية التعلمية حالياً، سيسهم في حماية الأرواح من جهة، وسيلفت النظر إلى قضية المدارس، وجرائم النظام باستهداف المنشآت التعليمية» وفق البيان.

وفي تصريح لجريدة (اسم الوسيلة) قال الأستاذ (اسم المصرح) وهو مدير مدرسة (اسم المدرسة) إن هذا البيان جاء «كصرخة في وجه كل الفاعلين في القضية السورية، لينتبهوا إلى مأساة أطفالنا».

ولفت (اسم عائلة المدير) إلى أن المدارس التي لم توقع على البيان، هي مدارس بعيدة نسبياً عن مناطق الاستهداف، مبيناً أن عدد المدارس التي استهدفت منذ بدء قصف حلب بالبراميل المتفجرة هو « (رقم يحدده المصدر) مدرسة، سقط فيها (رقم يحدده المصدر) شهيداً و (رقم يحدده المصدر) جريحاً».

واختتم مدير المدرسة بالقول «إن هذا البيان وفي حالة وصوله إلى المؤسسات التعليمية ذات الشأن، وإلى منظمة الأمم المتحدة، فإنه سيضعها أمام مسؤولياتها للبحث عن حلول لردع النظام عن قصف المدارس، ولتجنيب الأطفال هذا الصراع الدامي، والحفاظ على مدارسهم.. فهم أكثر الخاسرين نتيجة ما يحدث».

**خلفية:**

يذكر أن منظمة الأمم المتحدة للطفولة (اليونسيف) قالت في بيان صدر عنها منتصف الشهر الماضي أن أكثر من نصف أطفال سوريا يعيشون خطراً خلال تعلميهم، مبينةً أن أحد أهم أشكال هذا الخطر هو استهدافهم في طريقهم من وإلى المدرسة، واستهداف مدارسهم، مبينةً أن أكثر من (رقم نشرته المنظمة)% من أطفال سوريا محرومون من التعليم اليوم، وأن أكثر من (رقم نشرته المنظمة) % من مدارس سوريا هي خارج الخدمة.

**٧ـ الخطوة السابعة: (العنونة)**

تتضمن هذه الخطوة اختيار عنوان وفقاً لِقيم العناوين التي تم ذكرها سابقاً..

يمكن عنونة هذا الخبر بـ

مدراء مدارس في حلب يضربون عن العمل.. بسبب براميل النظام

أو

إضراب مدارس في حلب.. والسبب القصف بالبراميل

أو

براميل النظام تؤدي إلى إضراب مدارس في حلب

أو

حتى يتوقف قصف المدارس بالبراميل.. إضراب عن التعليم في حلب

٨ـ **الخطوة الثامنة:** قراءة أخيرة تتضمن (تدقيق لغوي ـ تأكد من أسماء المصادر والأماكن والتواريخ ـ والتأكد من صحة الصور ومناسبتها).

٩ـ **الخطوة التاسعة:** (إرسال الخبر والصور للوسيلة، وانتظار نشره، ومتابعته بعد النشر).

## أمثلة من مواقع وصحف عربية عن الخبر الصحفي:

مثال:

الجزيرة نت

**تركيا تسقط مقاتلة روسية بسوريا وأسر أحد طياريها**

**المقدمة:**

أعلنت تركيا أن سلاحها الجوي أسقط مقاتلة روسية من طراز سوخوي ٢٤ انتهكت أجواءها رغم إنذارات متتالية صباح اليوم، وسط أنباء عن أسر أحد الطيارين الروسيين اللذين تمكنا من الهبوط في ريف اللاذقية حيث سقطت الطائرة.

**المتن:**

وقال الجيش التركي إنه أنذر المقاتلة الروسية عشر مرات خلال خمس دقائق قبل إسقاطها، وأوضحت رئاسة الأركان أن مقاتلتين تركيتين من طراز (أف١٦) أسقطتا المقاتلة.

وقد أكدت وزارة الدفاع الروسية إسقاط مقاتلة تابعة لها من طراز سوخوي ٢٤، وقالت إن الطيارين تمكنا من الهبوط بمظلة بعد إسقاط لطائرة، لكن مصيرهما غير معروف.

ونفت الوزارة أن تكون انتهكت الأجواء التركية، وقالت إن طائرتها كانت في الأجواء السورية على ارتفاع ستة آلاف متر، وأنها سقطت بمضادات أرضية على الأغلب.

وقد سقطت الطائرة في جبل التركمان بريف اللاذقية (شمال غربي سوريا)، وقال معارضون سوريون تركمان إن مقاتلي المعارضة المسلحة تمكنوا من أسر أحد الطيارين الروسيين، ويقومون حالياً بتمشيط المنطقة بحثاً عن الطيار الآخر.

ونقل مراسل الجزيرة عامر لافي من أنطاكيا عن ناشطين قولهم إن الطيار الروسي أسر في قرية عطيرة.

وأفاد مراسل الجزيرة أدهم أبو الحسام من ريف اللاذقية بأن المنطقة تتعرض لنيران كثيفة حالياً، وأن مروحيات روسية تحلق في الأجواء على مستوى منخفض بحثاً عن الطيارين.

على المستوى السياسي، أعطى رئيس الوزراء التركي أحمد داود أوغلو تعليماته لوزارة الخارجية التركية بالتشاور مع الأمم المتحدة وحلف شمال الأطلسي (ناتو) بشأن التطورات على الحدود.

**الخاتمة:**

وسبق لسلاح الجو التركي أن أسقط طائرات روسية وسورية انتهكت الأجواء التركية، وحذرت أنقرة مراراً من أنها ستواجه هذه الانتهاكات وفق قواعد الاشتباك المتبعة.

مثال:

الحياة

**٧٢ قتيلاً حصيلة معارك مستشفى جسر الشغور في شمال سورية**

**المقدمة:**

أعلن «المرصد السوري لحقوق الإنسان» اليوم (الإثنين)، مقتل ٧٢ عنصراً على الأقل من قوات النظام السوري ومقاتلي «جبهة النصرة» وفصائل المعارضة في اشتباكات اندلعت بين الطرفين داخل المستشفى الوطني، حيث يُحاصر أكثر من ٢٥٠ عسكرياً ومدنياً، وعلى أطراف مدينة جسر الشغور.

**المتن:**

وقال مدير «المرصد» رامي عبد الرحمن، إن حصيلة معارك الأمس «ارتفعت إلى أربعين مقاتلاً على الأقل في صفوف جبهة النصرة والفصائل المعارضة»، فيما «قتل ٣٢ عنصراً من قوات النظام والمسلحين الموالين».

وتمكن مقاتلو «جبهة النصرة»، وكتائب معارضة للمرة الأولى أمس منذ أسبوعين، من اقتحام أحد أبنية المستشفى الواقع عند الأطراف الجنوبية الغربية لجسر الشغور في محافظة إدلب، واشتبكوا مع العناصر المتحصنة داخله.

وأشار عبد الرحمن إلى اندلاع معارك عنيفة بين الطرفين استمرت ليلاً داخل أحد أبنية المستشفى وفي محيطه قبل أن تهدأ صباح اليوم.

وتحاصر «جبهة النصرة» والكتائب المعارضة، منذ سيطرتها على مدينة جسر الشغور في ٢٥ نيسان (أبريل) الماضي، ٢٥٠ شخصاً بين عسكري ومدني داخل المستشفى. ومن بين المحاصرين وفق المرصد «ضباط كبار وعائلاتهم وموظفين كباراً في محافظة إدلب».

ولا يمكن التكهن بقدرة العناصر المحاصرين في المشفى منذ أسبوعين على الصمود في ظل عدم إمدادهم بالسلاح والمؤن.

وتحاول قوات النظام مدعومة بغطاء جوي التقدم لفك الحصار عن عناصرها منذ أكثر من أسبوعين.

وقال الرئيس السوري بشار الأسد الأربعاء الماضي، إن «الجيش سوف يصل قريباً إلى أولئك الأبطال المحاصرين في مشفى جسر الشغور من أجل متابعة المعركة ودحر الإرهاب».

وأشار عبد الرحمن إلى أن قوات النظام تمكنت ليلاً من السيطرة على حاجز استراتيجي جنوب شرقي جسر الشغور ويقع على تقاطع طرق يربط طريق حلب اللاذقية بجسر الشغور وأريحا في محافظة إدلب.

وأضاف: «من شأن هذه السيطرة أن تحمي طرق إمداد قوات النظام إلى جسر الشغور».

**الخاتمة:**

وجاءت سيطرة «جبهة النصرة» والكتائب المعارضة على جسر الشغور بعد أقل من شهر على خسارة النظام لمدينة إدلب، مركز المحافظة في ٢٨ آذار (مارس) الماضي.

مثال:

«العربية نت»

**قوات الأسد تقصف إدلب بالكيمياوي ومقتل عائلة بالكامل**

**المقدمة:**

أصيب نحو ٥٧ شخصاً باختناق وقتل أفراد أسرة بالكامل «أب وأم وثلاثة أطفال» في سرمين بريف إدلب الشرقي في سوريا، الاثنين، إثر قصف قوات الأسد المدينة بغازات سامة.

**المتن:**

وكانت مدن عدة في ريف إدلب، منها سرمين وبنش وكفرتخاريم تعرضت لقصف بالبراميل المتفجرة التي تحوي غاز الكلور.

وأضافت مصادر إعلامية أن المروحيات أغارت مرتين ليل الاثنين ملقيةً ببراميل متفجرة وعبوات تنشر روائح كريهة ومخرشة للأجهزة التنفسية على محور طريق سرمين قميناس، ما أدى لعشرات حالات الاختناق بين السكان في الحي الغربي لسرمين.

وأكد الطبيب المعالج في المستشفى الميداني بسرمين أن عدد الإصابات بلغ ٧٥ حالة وأن المستشفى الميداني يعاني من نقص المواد الإسعافية والأوكسجين.

وقال ناشطون من سرمين إن المدينة سادها الرعب وشهدت نزوحاً بالمئات نحو الأراضي الزراعية بعد الهلع جراء استخدام الغازات السامة، وحالات الاختناق، ودوي أصوات سيارات الإسعاف.

**الخاتمة:**

وأضاف ناشطون أن الضربات الجوية لم تتوقف منذ يومين على مدينتي سرمين وبنش، ما أدى لمقتل أطفال وإصابة العشرات بالغازات السامة، وكثّفت طائرات الأسد طلعاتها منذ أعلن نشطاء عن عملية عسكرية لاقتحام مدينة إدلب من قبل جبهة النصرة وأحرار الشام وتجمع أنصار الدين، والتي أغلقت قوات الأسد إثرها مداخل مدينة إدلب وبدأت بنقل بعض الدوائر الرسمية لمدينة جسر الشغور.

مثال:

«العربي الجديد»

**مضايا: حزب الله يقتل رجلين رجماً لمحاولتهما إدخال مواد غذائية**

**المقدمة:**

أكّدت مصادر من داخل مدينة مضايا المحاصرة في ريف دمشق، إقدام «حزب الله» اللبناني والقوات النظامية السورية على إعدام شخصين من أبناء البلدة «رجماً بالحجارة»، على خلفية محاولتهما الخروج من البلدة للحصول على بعض المواد الغذائية.

**المتن:**

وقالت المصادر، التي طلبت عدم كشف هويتها، في حديث مع «العربي الجديد»، إنّ «عناصر من مليشيا حزب الله اللبناني ألقت القبض، يوم الأحد الماضي، على كل من (راتب. ش) يبلغ من العمر ٤٠ عاماً، و(باسل. م) يبلغ من العمر ٢٧ عاماً، أثناء محاولتهما الخروج من مضايا ليلاً لجلب بعض المواد الغذائية إلى البلدة المحاصرة منذ أكثر من ٧ أشهر».

ولفتت المصادر ذاتها، إلى أن «الشابين سبق أن خرجا من البلدة لجلب المواد الغذائية أكثر من مرة، بالتنسيق مع أحد عناصر القوات النظامية، لكن في تلك الليلة كانت نوبات الحرس مختلفة، فألقي القبض عليهما».

ووصفت عملية الإعدام، بالقول، «لقد تم وضعهما في حفرة مكبلين بحبل، ثم أنهالوا عليهما بالحجارة، إلى أن لفظا أنفاسهما الأخيرة».

وبينت أن «هذه الحادثة الثالثة التي يتم فيها إلقاء القبض على أشخاص يحاولون إدخال مواد غذائية إلى مضايا خلال الشهرين الفائتين، الأولى طالت مجموعة مكونة من خمسة أشخاص، والثانية ضحيتها طفل».

وأوضحت المصادر عينها، أنّ «الأوضاع الإنسانية في كل من مضايا وبقين والزبداني، تتدهور بشكل يومي، مع نفاد المساعدات الغذائية التي أدخلتها الأمم المتحدة قبل قرابة الشهر، في حين تتزايد حالات الإغماء اليومية من الجوع والموت جراء سوء التغذية»، مضيفةً «لا تزال مئات الحالات الصحية المحتاجة إلى رعاية طبية خاصة، في انتظار وفاء منظمات الأمم المتحدة بإخراجهم من الحصار».

**الخاتمة:**

وتفرض مليشيا «حزب الله» والقوات النظامية حصاراً خانقاً على كل من مضايا وبقين والزبداني منذ أكثر من ثلاث سنوات، ومنعت خلال الـ٧ أشهر الماضية دخول المواد الغذائية والطبية بشكل كامل، ضاربة حولها طوقاً من الألغام الفردية والأسلاك الشائكة، إضافة إلى نشر القناصة والحواجز على محيطها، بالتزامن مع جمع النازحين من أهالي الزبداني في المنطقة وإجبارهم على الدخول إلى مضايا، ما فاقم من الأزمة الإنسانية، مع بلوغ عدد المحاصرين إلى أكثر من ٤٠ ألف مدني.

## التقرير الإخباري:

يشمل التقرير الإخباري بصفة مكبّرة على كل مقوّمات الخبر، فالتقرير هو خبر مطوّر، إذ أن التقرير ينطلق مثل الخبر من أكثر العناصر آنيةً، و لكنه يخصص قسماً كبيراً لإيراد معلومات ومعارف في شكل خلفية لها علاقة بالعناصر الآنية، وعلى معلومات تفصيلية كاملة عن الحدث، تلك التي تهدف إلى إضفاء إضاءة على الأحداث، ومساعدة القارئ على فهم مدى ارتباط آخر التطورات بما سبقها من تسلسل للوقائع.

المقدمة في تقريرك الإخباري، هي التمهيد للموضوع الذى يتم تناوله من خلال التقرير، بما يعني تهيئة القارئ للخوض في قراءة للموضوع المطروح، بحيث تجذب المقدمة انتباه القراء للموضوع الذى يتناوله التقرير، وتدفعهم لمتابعة التفاصيل التي جاءت في إطاره.

لتنتقل بعدها إلى متن التقرير، حيث الأدلة والشواهد المنطقية التي تدعم موضوع التقرير. وبالتالي يجب عليك أن تحرص على أن تكون فكرة التقرير واضحة منذ البداية، وذلك من خلال التتبع المنطقي للحدث أو الواقعة، بأن يتم سرد القصة التي يتضمنها التقرير من بدايتها حتى وقت كتابة التقرير، إلى جانب الكشف عن النقاط والجوانب الغامضة في الحدث أو الواقعة التي يتضمنها التقرير.

بينما تكون الخاتمة، هي الخلاصة والنتائج التي توصلت إليها من خلال رصدك للحدث، دون طرح انطباعك الشخصي عنها، إذ لا يقوم التقييم الموضوعي لتقريرك الإخباري على رأيك الشخصي، بل عن طريق الأحكام، والاستنتاجات، والتعميمات والمعلومات التي تطرحها مصادرك.

## نموذج تدريبي في بناء تقرير صحفي لموقع الكتروني أو صحيفة مطبوعة:

(تقرير عن الهدنة في حي الوعر)

المراحل:

**١ـ الخطوة الأولى: (تحديد المعلومات المطلوبة)**

يكون الحدث بالنسبة للتقرير معروفاً كونه خرج من السياق الخبري السريع، وقد تم التبين من بعض تفاصيله إخبارياً، بالتالي الخطوة الأولى تكون هي تحديد المعلومات المطلوبة التي من الممكن الحصول عليها. قد يكون هنالك معلومات معروفة بالنسبة للصحفي، إلا أنه بحاجة للتبيّن منها، ونسبها إلى مصادر وذات مصداقية... المعلومات بالنسبة لعنوان هدنة الوعر:

- تفاصيل اتفاق الهدنة (تاريخ إصدارها والبدء في تطبيقها، المواد التي تضمنتها، المدة، الشروط.. إلخ)
- المواقف من الهدنة (مواقف جميع الأطراف منها: الأهالي المدنيين – الفصائل المعارضة ـ الفعاليات المدنية من جمعيات ومنظمات وتجمعات أهلية منظمة ـ النظام).
- الوضع الميداني العسكري في الوعر ما بعد الهدنة وصولاً إلى يوم صياغة التقرير.
- الوضع الإنساني في الوعر ما بعد الهدنة وصولاً إلى يوم صياغة التقرير (تعليمياً – صحياً – خدمياً– اقتصادياً).
- رؤى مستقبلية قائمة على المعلومات المتاحة والمواقف والجو العام ومصادر المعلومات.

**٢ـ الخطوة الثانية: (مصادر المعلومات المطلوبة والتي من الممكن توفيرها)**

- قياديون ونشطاء فاعلون في التوصل إلى توقيع الهدنة من كافة الأطراف (غالباً لا يكون متوفراً إلا المصادر المعارضة بالنسبة لوسائل الإعلام التي يرفض النظام التعامل معها).
- قياديون عسكريون في الوعر.
- نشطاء في فعاليات مدنية من الوعر (دفاع مدني ـ منظمات طبية – منظمات تعليمية).
- سكان محليون.
- وسائل إعلام النظام.
- وسائل إعلام المعارضة.

**٣ـ الخطوة الثالثة: (تجهيز الأسئلة وجمع المعلومات)**

يتم تجهيز الأسئلة وفقاً للأشخاص الذين سيتم توجيهها إليهم.. ويمكن طرح مجموعة من الأمثلة:
بالنسبة للقياديين العسكريين في الوعر:

- كيف تصفون التزامكم بالهدنة ووقف إطلاق النار؟
- هل كان لديكم مآخذ على شروط الهدنة؟
- هل تجدون النظام ملتزماً ببنود الهدنة؟

- ماهي الخروقات التي قمتم بملاحظتها أو توثيقها؟
- كم هو عدد المقاتلين الذين خرجوا من الحي والذين بقوا فيه؟
بالنسبة للفعاليات المدنية الإغاثية:
- كيف تصفون تطبيق الهدنة فيما يخص الجانب الإنساني؟
- ما هو عدد الشحنات الإغاثية التي دخلت، وهل تحقق كفاية فعلية للسكان؟
- ماذا تضمنت الشحنات التي دخلت إلى الوعر؟
- ماهي توقعاتكم بخصوص الأيام القادمة؟

يتم إعداد الأسئلة بشكل متوافق مع عمل وتوجه الشخصيات التي سيتم الحصول على المعلومات منها.
وبعد ذلك يتم التواصل مع الأشخاص الذين تم تحديدهم في المرحلة السابقة، وإجراء المقابلات الشخصية، أو عبر وسائل التواصل المختلفة، كما يتم البحث في وسائل الإعلام التي تورد معلومات ومواقف حول الهدنة.

**٤ـ الخطوة الرابعة: (الحصول على الصور)**
يتم العمل للحصول على صورة بالتوازي مع مرحلة تجميع المعلومات، وكما في الخبر الصحفي إذا تمكن الصحفي من التقاط صور بنفسه فسيكون ذلك هو الأفضل، وإن منعته الظروف الأمنية أو البعد الجغرافي عن ذلك، فمن الجيد الحصول على صور من قبل الأطراف التي تعاونت معه وأعطته المعلومات، على أن يتم ذكر مصدر الصور، وفي حالات الاستعصاء وصعوبة الحصول على الصور، يمكن الاعتماد على وكالات الأنباء والمواقع الالكترونية التي تقدم خدمة الصور، بشرط ذكر المصدر.
تختلف الصور في التقرير كماً ونوعاً عما هي فيه في الخبر، ففي الخبر ترتبط الصورة بالحدث ارتباطاً وثيقاً، ويمكن أن تنقل تفاصيلاً منه، وفي التقرير وكون الجانب الخبري السريع غير متضمن، يمكن للصور أن تتجاوز قضية الحدث الواحد لتبحث عن تفاصيل أكثر، وتنحو نحو الصور الفنية ذات الرسائل المتضمنة، ويزداد عددها أيضاً عما هي فيه بالخبر لاختلاف الحجم وإمكانية التحكم بالوقت أكثر من الخبر..
في تقرير هدنة الوعر قد يكون من المناسب أن تكون الصور هي (شوارع فيها سكان وشاحنات إغاثية ـ صور مقاتلين يخرجون من الوعر – أبنية ونوافذ مفتوحة وسكان أمام أبوابهم – بقايا حواجز ـ جرافات تزيل أتربة... إلخ..)

**٥ـ الخطوة الخامسة: (تفريغ المعلومات)**
يتم تفريغ وكتابة كل ما حصل عليه الصحفي عن الموضوع (معلومات، مقابلات)، أي تجهيز مسودات العمل، وكتابة ما تم تسجيله صوتياً إن وجد.

**٦ـ الخطوة السادسة: (صياغة التقرير)**
من المفترض أن تتيح المعلومات التي تم الحصول عليها كتابة تقرير أقرب إلى صيغة التكامل، وقد يجد الصحفي أنه من الصعب اختصار ما حصل عليه من معلومات في تقرير متوسط الحجم، ومناسب للقارئ، لذا فمن الواجب حينها تكثيف المعلومات، ومقاطعتها، ومحاولة اختصار الجمل الطويلة، وتقسيم التقرير وفق عناوين فرعية، يضم كل منها محوراً معيناً من القضية المطروحة، لكي لا يقع القارئ في مغبة المعلومة المطوَّلة والتكرار والمادة الضخمة (كثيرة الكلمات) التي من الصعب عليه استكمالها.

في تقرير هدنة الوعر يمكن تصور الصياغة كالتالي:

**المقدمة:**
مضت الأيام العشرة الأولى على الهدنة الموقعة بين النظام السوري وممثلين عن الفصائل المعارضة وأهالي حي الوعر الواقع شمال مدينة حمص، لتختتم المرحلة الأولى من الهدنة، وتبدأ المرحلة الثانية التي من المتوقع أن تستمر حوالي عشرين يومياً، والتي ستفضي إلى وضوح معالم الاتفاق أكثر فأكثر، في الحي الذي حوصر أكثر من عامين، وكان آخر معاقل المعارضة في حمص، حيث سبق وأن خرجت قوات المعارضة من حمص القديمة بموجب اتفاق وقعته مع النظام قبل حوالي عامين.

**المتن:**
أول ما يمكن ملاحظته اليوم في حي الوعر، هو حركة الناس في الشوارع، وعودة مظاهر الحياة نسبياً إلى الحي، وإن كانت هذه المظاهر ترتبط بشدة بمآسٍ عاشها السكان خلال الأشهر السابقة.. هذه الحركة بدأت في أول أيام تطبيق الهدنة، حيث تمثّلت بالعائلات التي تريد الخروج من الحي والتي تجمّعت حول الباصات التي ستقلّها إلى مناطق أخرى، ومقاتلي الجيش الحر الذين تجمعوا أيضاً للانتقال إلى مناطق من ريف حلب وإدلب، فيما بقي بعضهم في الحي، وشاحنات الإغاثة وسيارات الإسعاف.. أما اليوم وبعد مضي عشرة أيام فالحركة في الشوارع تتمثل فيمن تبقى في الحي من سكان يحاولون ترميم منازلهم، ويجرّبون اعتياد الشوارع بعيداً عن القصف والقذائف.
«من عشر تيام ما سمعنا صوت رصاص.. إلا من بعيد» بلهجته المحلية يقول مؤيد ابن الـ ١١ عاماً الذي لم يذهب إلى مدرسته منذ خمسة أشهر.. وينتظر الطفل والده السجين، والذي من المفترض أن يتم الإفراج عنه بموجب مواد الهدنة المبرمة.
أمام باب بيت مؤيد تقف والدته وتعمل على إصلاح الشباك المطل على غرفة الجلوس التي لم تجلس فيها العائلة منذ «سنة» حسب قول أم مؤيد، فقد تلقى هذا الشباك شظيةً، ولم تستطع العائلة إصلاحه، مما أدى إلى ترك الغرفة تماماً مدة عام، واليوم قد تثنى لها الترميم.. «ما عنا ثقة بحدا.. ما منعرف.. نشالله» تعلق على الهدنة، وتكمل «ناطرين يطلع زوجي من الحبس، وناطرين نقدر نشوف قرايبينا اللي برا الوعر».

هناك حواجز عسكرية بانتظار السكان على طريق دوار المهندسين الواصل بين حي الوعر والمدينة يقبع حاجز عسكري تابع للنظام، وعدد العناصر المتواجدين في هذا الحاجز أقل من المعتاد وفق قول موفق الحمصي وهو ناشط مدني وعضو في لجنة التفاوض التي توصلت إلى الهدنة، حيث أن أحد شروط المرحلة الأولى منها هو فتح هذا الطريق.. «يمر السكان من هذا الطريق الذي كان إغلاقه أحد أهم مظاهر الحصار الخانق، إلا أن الحاجز الذي ما زال متواجداً، ورغم سماحه للسكان بالمرور، مازال يشكل عقبةً أمام السكان، تتمثل بالتفتيش الشديد، والتقريع بالكلام، وأحياناً توجيه الشتائم.. بعض العناصر يقولون: ما خلصنا لسا، بمعنى أن الهدنة مرحلة من مراحل الحرب بالنسبة لهم، وهو ما يخيف السكان».

يؤكد الحمصي أن المباحثات التي استمرت مدة أشهر، «كانت دائماً ما تتعرض للعرقلة من قبل موفدي النظام، إلا أن ما تم التوصل إليه في نهاية المباحثات يصبُّ في مصلحة السكان الذين ما عادوا قادرين على احتمال الحياة تحت الحصار».
يتخوف الحمصي من «الفهم الخاطئ الذي عادة ما تفهمه دوائر النظام العسكرية والأمنية المحلية للهدنة، حيث تراها شكلاً من أشكال الاقتحام والانتصار، وهو ما قد يولد مشكلات في الأيام القادمة كنصب الحواجز والانتقام من السكان».

إغاثة بحاجة للاستكمال
«ما دخل إلى الحي حتى الآن هو اسعافي وسريع فقط، وليس هناك دعم يمكن تخزينه، الناس حتى الآن ينقصها الكثير».. يقول أشرف العامل في منظمة مدنية إغاثية والذي عمل خلال الفترات السابقة بتوزيع المواد الطبية والأدوية مع فريق طبي، ويصف أشرف الشحنات الإغاثية التي دخلت الوعر بأنها غير كافية إلا لأيام قليلة، «وكأن النظام يريد إمداد الحي يوماً بيوم، ويريد أن يتحكم بغذائه، كنا ننتظر أكثر من هذا بكثير، يجب دعم المراكز الصحية والمشافي بمواد تكفيها لأشهر وسنوات وليس بما يكفيها لأيام، ويجب إدخال كل ما يحتاجه السكان وليس فقط المواد الغذائية الأساسية».
ليس هناك إحصاء دقيق حتى الآن لعدد الشاحنات التي دخلت إلى الحي، أو كميات المواد التي تم الإمداد بها، إلا أن الفرق الإغاثية والنشطاء العاملين في المجالات الطبية والإغاثية مازالوا ينتظرون المزيد، ويجهزون القوائم التي يوزعون الإمدادات وفقها.

وقف إطلاق النار مستمر.. دون ثقة
أبو عماد قيادي عسكري في الجيش السوري الحر، قاتل في حمص ثلاث سنوات، وتواجد في الوعر خلال فترة الحصار السابق، يقول «نعم هناك وقف إطلاق نار، من قبلنا ومن قبلهم، ونحن جاهزون للاستمرار والالتزام، ولكننا بصراحة لا نثق كثيراً، لقد خرقوا الكثير من الهدن، وفي هذا الخصوص سجلنا سقوط قذيفتين خلال الأسبوع الماضي بالقرب من مساكن مدنيّة في الوعر، بالطبع لم نرد عليها، لكنها في النهاية هذا شكل من أشكال الخرق رغم أن القذائف لم تؤدي إلى أذية المدنيين».

النظام .. منتصراً!!
لم تتوقف وسائل الإعلام التابعة للنظام خلال الأيام الماضية عن نشر التقارير والصور المنقولة من حي الوعر، وأغلب هذه التقارير تورد ما مفاده أن الهدنة «انتصار للنظام» حيث نشرت وكالة سانا قبل أيام تقريراً قالت فيه «سكان الوعر شكروا القوات المسلحة على جهودها في دخول حي الوعر، وحماية السكان من العصابات المسلحة»، فيما قال تلفزيون الدنيا المعروف بتأييده للنظام السوري في تقرير مصور بثه أمس إن «جيشنا البطل حرر سكان الوعر من الجحيم الذي عاشوه خلال عامين».

**خلفية:**
كيف ستسري الهدنة؟
ستة نقاط من المفترض أنه تطبيقها تم خلال الأيام الماضية أهمها وقف كامل لإطلاق النار والسماح للمؤسسات الإنسانية القيام بعملها، وفتح طريق «دوار المهندسين» الواصل بين حي الوعر والمدينة، ثم تحضير لوائح تضم المفقودين والمخطوفين، إضافة إلى لائحة بأسماء المعتقلين المتواجدين في سجون النظام ليتم الإفراج عنهم.

أما في المرحلة الثانية التي بدأت قبل يومين وستستمر عشرين يوماً، فمن المفترض أن يتم جمع السلاح الثقيل والمتوسط ثم فتح الطرق المؤدية إلى المؤسسات العامة، فعودة الأهالي المهجرين والنازحين إلى الحي، ثم إطلاق سراح المعتقلين، لتدخل المرحلة الثالثة التي تتضمن إنهاء دراسة ومعالجة وضع منطقتي البساتين والجزيرة السابعة من خلال اجتماع الطرفين.

**٧ـ الخطوة السابعة: (العنونة)**
تتضمن هذه الخطوة اختيار عنوان وفقاً لِقِيم العناوين التي تم ذكرها سابقاً..
يمكن عنونة هذا التقرير بـ:
الوعر.. الهدنة سارية والسكان ينتظرون بقية تفاصيلها
أو
هدنة الوعر.. شروط تطبّق ببطء والنظام يتحكم بحركة السكان ومواردهم

**٨ـ الخطوة الثامنة:** قراءة أخيرة تتضمن (تدقيق لغوي ـ تأكد من أسماء المصادر والأماكن والتواريخ ـ والتأكد من صحة الصور ومناسبتها).

**٩ـ الخطوة التاسعة:** (إرسال التقرير والصور للوسيلة، وانتظار نشره، ومتابعته بعد النشر).

## أمثلة من مواقع وصحف عربية عن التقرير الصحفي:

مثال:

«الحياة»

**تهريب البشر إلى أوروبا تجارة تزدهر في إسطنبول بلا خوف من السلطات**

زيدان زنكلو

على مدى أكثر من شهر، بحث أحمد من خلال موقع التواصل الاجتماعي «فايسبوك» عن مهربين يساعدونه في تحقيق حلمه بالوصول إلى ألمانيا. وبعد محاولات عدة نجح في الوصول إلى ضالته، وتعرف إلى مهرب نشر إعلاناً عبر إحدى صفحات «فايسبوك» المختصة بأمور تهريب النّاس إلى أوروبا.

وانتشرت على مواقع التواصل الاجتماعي عشرات الصفحات التي تُعنى بأمور الهجرة غير الشرعية إلى أوروبا وتوفر للراغبين في خوض هذه التجربة العديد من الفرص للسفر عبر البحر إلى شواطئ اليونان، حيث تبدأ رحلة طويلة إلى دول الاتحاد الأوروبي بحثاً عن لجوء آمن بعيداً عن أجواء الحرب في سورية.

وصل أحمد إلى مدينة غازي عنتاب جنوب تركيا قبل شهرين تقريباً، قادماً من إحدى قرى جبل الزاوية بريف إدلب في شمال غربي سورية، وقصارى آماله تنحصر في السفر إلى ألمانيا حيث سبقه العديد من أصدقائه، إذ إن «العيش في مخيمات تركيا صعبة، وأطفالي في حاجة إلى مدارس لإكمال تعليمهم، كما أن فرص العمل لنا كشباب في تركيا قليلة جداً، لذلك فضلنا الهجرة إلى أوروبا عسى أن نجد حياة أفضل هناك»، وفق أحمد.

وتتم غالبية عمليات تهريب طالبي اللجوء إلى أوروبا عبر مدينتي إزمير وبودروم التركيتين على شواطئ بحر إيجه حيث المسافة إلى الجزر اليونانية لا تتجاوز بضعة كيلومترات. وتنتشر في هذه المدن مافيات التهريب التي تتولى نقل البشر عبر البحر في قوارب مطاطية، وتعتمد هذه الشبكات في جلب الزبائن على سماسرة، وهؤلاء بدورهم وظفوا وكلاء لهم يجوبون الشوارع بحثاً عن زبائن.

في مدينة إزمير، انتشر مئات الشبان والعائلات الراغبين بالهجرة إلى دول الاتحاد الأوروبي يقضون أياماً وربما أسابيع بانتظار موعد ركوبهم البحر في بداية رحلة الهجرة، ولا يكلفهم عناء البحث عن مهربين يساعدونهم في الوصول إلى غايتهم سوى الانتظار في الساحات العامة. ويومياً يجتمع وكلاء السماسرة ومافيات التهريب بطالبي اللجوء في ساحات إزمير ومقاهيها، وتدور المفاوضات على العلن من دون الخوف من السلطات التركية. وتعتمد المفاوضات على مبدأ العرض والطلب، فأعداد الراغبين بالهجرة كبيرة، وهو ما يوفر أريحية لكلا الطرفين في هذه المفاوضات بسبب توافر البدائل.

قبل سنتين فقط، كانت كلفة عبور الشخص الواحد إلى الجزر اليونانية انطلاقاً من إزمير تصل إلى ٣٥٠٠ دولار أميركي، ولم تكن مافيات التهريب انتشرت بشكل كبير بعد. لكن مع تزايد أعداد طالبي اللجوء انخفضت التكلفة إلى ١٢٠٠ دولار تقريباً للشخص الواحد، و٥٠٠ دولار للأطفال، فيما تتولى شبكات التهريب تأمين القوارب المطاطية لطالبي اللجوء، وساهم في انخفاض التكلفة تزايد المافيات والمضاربة بينها.

يقول فراس، وهو شاب سوري يعمل وكيلاً لأحد السماسرة، إنه يجتمع يومياً بعشرات من طالبي اللجوء في حدائق إزمير ومقاهيها من دون الخشية من أعين السلطات التركية، ووظيفته فقط الاتفاق مع الأشخاص الراغبين بالهجرة وتحديد السعر المناسب لكل شخص وفق ظروفه ومن ثم إرسال رقم هاتفه إلى السمسار. وتنتهي مهمة فراس عند هذا الحد، كما يقول لـ «الحياة». ويضيف أن شبكات التهريب تعتمد التسلسلية في عملها، «مهمتي هي جلب زبائن والاتفاق معهم على السعر، ومن ثم إبلاغ الوكيل بالعدد الذي اتفقت معه، وبدوره الوكيل يبلغ المهرب ويرتب أمور السفر، حيث نأخذ أرقام هواتف الزبائن، ويقوم آخرون بالاتصال بهم وإبلاغهم بمكان التجمع، ومن ثم تأتي شاحنات ضخمة وتقلهم مسافة ٢٥٠ كيلومتراً شمال إزمير حيث نقطة الانطلاق إلى الجزر اليونانية».

ويضيف فراس: «لا أعلم بالضبط من هو المهرب الأساسي الذي يدير الشبكة التي أعمل بها، كل ما أعرفه أنني أتعامل مع سمسار، لكن بالعموم كل شبكات التهريب لها علاقات مع بعض الأشخاص في خفر السواحل والشرطة التركية واليونانية، وفي بعض الأوقات تتم عمليات التهريب بعلم الشرطة في كلا البلدين».

ووفق فراس، فإن نقاط الانطلاق تسيطر عليها المافيات وتحميها برجال يتخفون عن الأنظار (أغلبهم من الجنسية الأفغانية) تحسباً لأي طارئ، ولا يمكن الأشخاص العاديين الاقتراب من هذه المناطق من دون التنسيق مع المهربين، وأحياناً تبيع المافيات نقاط الانطلاق في ما بينها بأسعار تتراوح بين ١٥ ألف دولار إلى ٣٠ ألفاً في اليوم الواحد لكل نقطة انطلاق، ذلك وفق عدد القوارب المطاطية التي ستبحر من النقطة الواحدة وعدد الساعات اللازمة لإنجاز المهمة.

أما الراغبون في الهجرة، فغالباً لا يثقون بشبكات التهريب، ولاسيما أن كثيرين تعرضوا لحوادث احتيال من مهربين، لذلك يتم دفع المبالغ للمهربين عبر مكاتب تأمين تنتشر في مدينة إزمير، حيث يضع طالبو اللجوء المبالغ في هذه المكاتب، وبعد وصولهم إلى اليونان يرسلون شيفرات للمكاتب تسمح للمهربين بقبض المبالغ.

ويقول فراس إن نقطة الانطلاق التي تديرها شبكة التهريب المتعاونة معه (رفض ذكر اسم نقطة الانطلاق والجزيرة اليونانية التي يصل طالبو اللجوء إليها) تُسيّر يومياً ٢٠ قارباً مطاطياً أو ما بات يعرف لدى طالبي اللجوء بـ «البلم»، وفي كل قارب يتم وضع بين ٤٠ إلى ٥٠ شخصاً. ويؤكد فراس

أن غالبية الراغبين في الهجرة سوريون، معظمهم يأتي من لبنان، فيما يأتي العراقيون في المرتبة الثانية، ومن ثم الفلسطينيون، وهناك أشخاص من جنسيات عربية وبعض الأفغان، والجميع يقول إنه يحمل الجنسية السورية طمعاً في كسب اللجوء.

وفي مدينة إزمير، انتعشت تجارة المواد المتعلقة بالتهريب، كستر النجاة والقوارب المطاطية، وعلى سبيل المثال ارتفع سعر سترة النجاة الواحدة من ١٠ دولارات إلى ٤٠ دولاراً بسبب الإقبال المتزايد عليها من طالبي اللجوء، في حين ارتفع سعر القارب المطاطي الواحد من ٤ آلاف دولار إلى ١٠ آلاف مع ازدياد الطلب عليه من شبكات التهريب، وهذا القارب يستعمل لمرة واحدة حيث يرميه المهاجرون على الشواطئ اليونانية فور وصولهم إلى هناك.

مثال:

«الجزيرة»

**معارضة حلب.. من الدفاع إلى الهجوم**

**عمر يوسف**

بدأت المعارضة المسلحة في ريف حلب الجنوبي، خلال معاركها الأخيرة مع قوات النظام السوري والمليشيات الموالية له، بالانتقال من موقع الدفاع عن المناطق التي تسيطر عليها إلى الهجوم واستعادة زمام المبادرة خلال اليومين الفائتين، محققة تقدماً ملحوظاً على أرض الميدان.

أكثر من خمس نقاط بين قرية وتلة ومزرعة، أبرزها قرى العزيزية والمكحلة، أصبحت تحت سيطرة المعارضة، وذلك بعد هجوم مباغت أبعد قوات النظام بعض الشيء عن هدفها الاستراتيجي الذي تسعى له بالوصول إلى طريق حلب دمشق الدولي، وجعل المعارك القادمة في معاقل النظام في بلدتي العيس والحاضر.

ويرى قادة ميدانيون أن الدعم والمؤازرة القادمة من فصائل ريف إدلب وحماة كان لهما دور كبير في قلب ميزان المعركة من جديد، كما يؤكد البعض منهم أن المعركة لن تتوقف حتى تستعيد المعارضة كامل الريف الجنوبي لحلب.

وتمثل معارك الريف الجنوبي لجيش النظام والمليشيات الموالية بعداً استراتيجياً، جوهره الوصول إلى طريق حلب دمشق الدولي، والانتقال غرباً تجاه ريف إدلب، وفتح جبهة جديدة هناك تستنزف المعارضة عسكرياً وبشرياً.

توازن

وقال القيادي في جبهة النصرة أبو قتيبة الشامي «إن دخول جيش الفتح إلى جبهة ريف حلب الجنوبي فرض نوعاً من التوازن، ومنع تقدم جيش النظام، الذي كان من الممكن أن يصل إلى إدلب، ويتمكن من فك الحصار عن قواته في كفريا والفوعة».

وأشار الشامي في حديثه للجزيرة نت إلى أن «جبهة الريف الجنوبي كانت تفتقر إلى العناصر والسلاح والتنظيم بعض الشيء، في حين يمتلك جيش الفتح السلاح والعتاد الكافي، بالإضافة إلى التنظيم الجيد داخل صفوفه».

وعن استراتيجية المعارك القادمة، أكد الشامي أن الهدف الرئيسي هو وضع حد لتقدم المليشيات الإيرانية، واستعادة كافة النقاط التي سيطر عليها النظام، وصولاً إلى جبل عزان قاعدة انطلاق جيش النظام إلى الريف الجنوبي، وحيث تتمركز قوى المدفعية التي ترصد جميع المناطق في الجبهة.

ويشارك في معارك ريف حلب الجنوبي المستمرة منذ شهر ونصف الشهر فصائل من المعارضة بحلب إلى جانب غرفة عمليات جيش الفتح، في مواجهة قوات النظام المدعومة بعدد كبير من مليشيات أجنبية ومحلية وإسناد جوي روسي.

مؤازرة
من جهته اعتبر أبو أحمد القائد الميداني في حركة أحرار الشام أن سيطرة النظام على قريتي الحاضر والعيس جعلت خط الجبهة طويلا للغاية، وهو ما يتطلب عددا كبيرا من المقاتلين، مشيرا إلى أن قدوم الدعم والمؤازرة من جيش الفتح والفصائل الأخرى سيدّعم الجبهة.
ويرى القيادي أبو أحمد أن أهم تطور في هذه المعركة هو تحوّل فصائل المعارضة من موقع الدفاع إلى الهجوم، موضحا أن الفصائل جميعها تدافع عن جبهتي حلب وإدلب أيضا.
وكشف القيادي في أحرار الشام أن هناك عمليات عسكرية قادمة، يتم ترتيب أوراقها، وهو ما سيمكّن المعارضة من استرجاع كامل المناطق، متوعدا جيش النظام بالهزيمة خلال وقت قريب.

بدوره، أكد الناشط الميداني يزن الحلبي أن المعركة الحاسمة هي معارك المعارضة في بلدتي العيس والحاضر الهامتين، مشيراً إلى أن الفصائل تشهد توحدا كبيرا في الريف الجنوبي لحلب على عكس الأيام الأولى للمعركة.

مثال:

«العربي الجديد»

**حجاب يطالب بتطبيق «إجراءات على الأرض» قبل محادثات جنيف**

أمين محمد – أحمد حمزة

أكد منسق «الهيئة العليا للمفاوضات لقوى الثورة والمعارضة» السورية رياض حجاب، اليوم الأربعاء، أنه «لا بد من تنفيذ كافة القرارات الدولية المتعلقة بالانتقال السياسي في سورية»، مشيراً إلى أن «استمرار الهجمات الإيرانية والروسية هو للتهرّب من الاستحقاقات السياسية»، مبدياً تفاؤلاً في أن «النظام لن يسيطر على حلب». وقال حجاب، خلال مؤتمر صحافي في العاصمة البريطانية لندن، حيث التقى قبل ذلك بوزير خارجيتها فيليب هاموند، إن مختلف القوى الداعمة للمعارضة متفقة على «الحل السياسي، وهذا ما سمعناه اليوم من وزير الخارجية البريطاني، وحتى بالنسبة للسعوديين والقوى الشقيقة أيضاً، ولكن نحن بحاجة لإعادة التوازن على الأرض ولإفهام هؤلاء (النظام وحلفائه) أن ليس هناك حلاً عسكرياً، وبالتالي هم لا يستطيعون فرضه».

واعتبر أن «الروس والإيرانيين يتبعون سياسة الأرض المحروقة، من خلال تكثيف القصف بشكل عنيف جداً، للتأثير على معنويات الثوار»، و«ما سمعته من قادة الجيش الحر (التقى بهم أمس في أنقرة) المعنويات عالية جداً.. ومكتسبات النظام على الأرض هشة وهو غير قادر على الحفاظ على المناطق التي تقدموا لها».

وأضاف حجاب، الذي يرأس وفداً من المعارضة السورية في زيارةٍ رسمية لبريطانيا، أنه و«خلال الأيام القادمة، ستسمعون وترون انتصارات ستحققها فصائل الثورة السورية، ضد المليشيات الطائفية والمرتزقة»، موضحاً أن لدى المعارضة «خيارات كثيرة والبدائل كثيرة».
وحول استئناف لقاءات جنيف، المزمعة في الخامس والعشرين من هذا الشهر، لفت إلى أنه «لن يكون هناك أي تنازل على الإطلاق، وما عجزوا عن تحقيقيه منذ خمس سنوات على الأرض، لن يحققوه في المفاوضات».
وأكد أن «المفاوضات ستكون في ٢٥ فبراير/ شباط، كما أعلن السيد دي ميستورا»، لكن «هناك إجراءات يجب أن تتم وتتخذ قبل العملية التفاوضية، حتى لا يحدث معنا كما في الجولة الأولى من خلال تهرّب النظام وداعميه من استحقاقات العملية السياسية، وبالتالي إفشالها عبر عمليات القصف وترويع المواطنين».

كما أشار حجاب إلى أنه «خلال عشرة أيام هناك ١٠٠ ألف مواطن على الحدود السورية التركية»، بعد نزوحهم من قراهم نتيجة القصف الروسي في ريف حلب الشمالي. وذكر بأن المعارضة أكدت «تنفيذ القرارات الأممية، وخاصة المواد ١٢–١٣ (من قرار مجلس الأمن الدولي ٢٢٥٤)، التي تتحدث عن الجانب الإنساني وأكدت عليها الأمم المتحدة». وأورد حجاب في تصريحاته، «نحن نتحدث عن رفع الحصار عن المناطق المحاصرة وإطلاق سراح المعتقلين وايصال المساعدات

للمحتاجين، ووقف القصف على المناطق السكنية، وبالتالي وجب قبل الذهاب للموعد المحدد، لا بد من وجود إجراءات تُطبّق على الأرض».

حول الحديث الدائر عن نية المملكة العربية السعودية مع دولٍ أخرى، التدخل عسكرياً في سورية، أوضح حجاب أن «هذه الدول اقترحت محاربة داعش، فالروس دخلوا سورية بحجة مكافحة الإرهاب وقتال التنظيم، ولكنهم وجّهوا كل نيرانهم والأسلحة المحرّمة دولياً باتجاه المدنيين والمعارضة المعتدلة، وتركوا داعش والمتطرفين الآخرين»، ولذلك لا بد من نزع الحجة من يد الروس، والمملكة موجودة في التحالف الدولي (ضد داعش) وأعلنت عن استعدادها للدخول ومقاتلته». وأضاف في هذا السياق: «نحن، المعارضة، دفعنا ثمناً كبيراً في قتال داعش، فالنظام وحلفاؤه هم صنعوا التنظيم ليقولوا للعالم اختاروا بيننا وبينه».

من جهةٍ أخرى، شدد حجاب على أن «الحل في سورية إنهاء هذه المأساة والكارثة الإنسانية، وذلك بإزالة هذا النظام وخروج بشار الأسد وزمرته الحاكمة الذين قتلوا أكثر من ٣٥٠ ألف إنسان، ويعتقلون الآن مئات الآلاف، ودمروا سورية وجاؤوا بالقوات الأجنبية والمليشيات الطائفية والمرتزقة لقتل الشعب السوري».

وأكد أيضاً أنه «بوجود بشار الأسد لا يمكن القضاء على الإرهاب والتطرف، لأنه هو من أوجد التطرف من أجل الحفاظ على كرسيه».

من جهته، أكد المتحدث الرسمي باسم الهيئة العليا للمفاوضات التابعة للمعارضة، رياض نعسان آغا، في تصريح خاص لـ«العربي الجديد»، أن وقف قصف الطيران الروسي للمدن والبلدات السورية، وتنفيذ بنود القرار الأممي ٢٢٥٤ يشكل أولوية قبل العودة إلى الجولة الثانية من مفاوضات جنيف ٣.
وقال نعسان آغا: «من حيث المبدأ، لم نقل إننا انسحبنا، كان توقفاً، ولكننا ننتظر المستجدات»، مضيفاً: «يجب أن نتابع لقاء الغد في ميونخ»، وأوضح أن العودة إلى مفاوضات جنيف ٣ تحتاج إلى اجتماع للهيئة العليا للتفاوض لـ«التشاور».

وعشية مؤتمر ميونيخ للأمن، الذي يبدأ غداً الخميس في ألمانيا، قال وزير الخارجية الروسي، سيرغي لافروف، إن واشنطن تدرس مقترحات قدمتها موسكو لحل الأزمة السورية.

وأكد لافروف أن بعض الدول لا تخفي نيتها المراهنة على الحلول العسكرية في سورية، في حال فشل المفاوضات السلمية. وأضاف في مقابلة مع صحيفة «موسكوفسكي كومسوموليتس»، نشرت اليوم الأربعاء: «يبدو أن هناك مراهنة على الحل العسكري، في حال فشل المفاوضات أو منع انطلاقها. وتؤكد ذلك بشكل علني بعض الدول التي تنطلق، كما أتفهم، من الكراهية الشخصية تجاه الرئيس السوري بشار الأسد».

ومن المقرر أن تشهد مدينة ميونخ الألمانية، غداً الخميس، فعاليات المؤتمر الدولي السنوي حول السياسة والأمن، ويُتوقع أن يكون الملف السوري على قائمة المباحثات بين وزيرَي الخارجية الأميركي جون كيري، والروسي سيرغي لافروف على هامش المؤتمر.

تجدر الإشارة إلى أن مفاوضات جنيف ٣ انطلقت يوم الـ٢٩ من يناير/ كانون الثاني في جنيف، وأعلن المبعوث الدولي ستيفان دي ميستورا يوم الـ٣ من فبراير/ شباط عن توقف مؤقت للمفاوضات، وحدد الـ٢٥ منه موعدا لاستئنافها.

## التحقيق الصحفي:

التحقيق الصحفي واحد من أهم الفنون الصحفية ، هو يجمع بين عدد من الفنون التحريرية في آن واحد، حيث يجمع بين الخبر والحديث و آراء ذوي الارتباط بموضوع التحقيق، وهو من أصعب الفنون التحريرية.

يرتكز التحقيق الصحفي على خبر أو فكرة أو مشكلة أو قضية يلتقطها المواطن الصحفي من المجتمع الذي يعيش فيه. ثم يقوم بجمع مادة الموضوع بما يتضمنه من بيانات أو معلومات أو آراء تتعلق بالموضوع، ثم يزاوج بينها حتى يصل إلى الحل الذي يراه صالحاً لعلاج المشكلة أو القضية أو الفكرة التي يطرحها التحقيق الصحفي.

يقوم المواطن الصحفي بعملية الشرح والتفسير والبحث عن الأسباب والعوامل الاجتماعية أو الاقتصادية أو السياسية أو الفكرية التي تكمن وراء الخبر، أو القضية، أو المشكلة، أو الفكرة، أو الظاهرة التي يدور حولها التحقيق، ولا بدَّ أن تكون فكرة التحقيق أو قضيته هامةً لأكبر عدد ممكن من الجمهور المستهدف.

بعد اختيارك للموضوع الذي تريد التحقيق فيه، ابدأ عملية البحث وجمع المعلومات، ضع أمامك كل المعطيات المتوفرة لديك، ثم قم باختيار الأطراف المتورطة في الموضوع، تحرَّ عن مصادرك قبل إجراء المقابلات معها، حدّد الأسئلة الرئيسية التي تنوي طرحها وطبيعة المعلومات التي تحتاج إليها.

مثل أي قصة إخبارية يجب أن تكون للتحقيق مقدمة تقود القارئ وتأخذه عبر تسلسل منطقي.
عندما تكتب تحقيقاً له عدة زوايا غير مترابطة، اكتب جميع العناصر المهمة على ورقة، ثم ابحثْ عن نقاط تقود بوضوح نحو نقاط أخرى، واربط بينها بشكل واضح وبسيط.

تستغرق عملية تحرير المقدمة وقتاً، يقترب إلى حد من ما من الوقت الذي تستغرقه في كتابة تحقيقك الصحفي، عليها يتوقف نجاحك في صياغة وتحرير الموضوع بكامله.
عند انتقالك إلى كتابة صلب النص، قسّمه إلى فقرات، كل فقرة تتضمن فكرة أو عنصراً من عناصر التحقيق الصحفي، ابدأ بالمحور الأكثر أهمية، إلى الأهم، ومن ثم الأقل أهمية، بتسلسل منطقي يريح ذهن القارئ، ادعم المحاور بشواهد وبراهين وأمثلة، وحاول الابتعاد عن الجمل الطويلة، وتجنب الإكثار من الجمل الاعتراضية، واجعلها قصيرةً ومكثفة، وضمِّن الهيكل عناوين فرعية، تكون بمثابة محطّات تتوقف عندها العين عن القراءة، لتستعد لمواصلة القراءة من جديد.

نهاية تحقيقك الصحفي، خاتمة جهدك كله، من بحث وتحقيق وتحرٍّ، لذلك اكتبها بتركيز شديد، الخاتمة تتمثل في طرح حلول وإجابات ممكنة، أو تساؤلات حول الموضوع، عليها أن تكون

قصيرةً وبسيطة، تنتهي بجملة تمس جوهر القضية التي كتبت عنها.

ليس من الضروري الالتزام بقوالب التحقيق الصحفي التقليدية، الثابتة والجامدة، تذكر أنك تملك مجالاً كبيراً في الابتكار والتجديد.

## نموذج تدريبي في بناء تحقيق صحفي لموقع الكتروني أو صحيفة مطبوعة:

**تحقيق عن مواقع حلب الأثرية وتراثها اليوم**

المراحل:

**١ـ الخطوة الأولى: (تحديد المعلومات المطلوبة)**
يختلف التحقيق عن باقي الأنواع الإعلامية، بكونه يتناول قضية واحدة بكل أبعادها وتفاصيلها، لذا فتعتبر مرحلة تحديد المعلومات المطلوبة أهم المراحل، حيث إن نقصان معلومات معينة ذات ارتباط بالموضوع الذي انتقاه الصحفي يؤدي إلى ضعف التحقيق.
وفي موضوع كالذي تم انتقاؤه من المتوقع أن يطرح الصحفي على نفسه الأسئلة التالية:
- ما هي المواقع الأثرية والتراثية في مدينة حلب؟
- من يسيطر على تلك المواقع حالياً؟
- كيف كان واقع الآثار والتراث في حلب قبل اندلاع الثورة السورية؟
- ما هو وضع تلك المواقع اليوم؟ ماذا دمِّر منها وماذا بقي؟
- ما هي الجهات التي تعمل على توثيق انتهاكات المواقع الأثرية؟ وماهي الجهات التي تعمل على الحفاظ على ما بقي؟
- من يمتلك معلومات غنية اليوم عن الواقع الأثري والتراثي في حلب؟
- ماذا نشر في الوسائل الإعلامية العالمية والعربية عن المواقع الأثرية في حلب خلال الفترة الأخيرة؟
- ماهي الصور المتوفرة والتي توثق الدمار والانتهاكات التي تعرضت لها المواقع الأثرية في حلب.

**٢ـ الخطوة الثانية: (تحديد مصادر المعلومات المطلوبة والتي من الممكن توفيرها)**
وفي العنوان المقترح هي:
- نشطاء في العمل التراثي والثقافي في محافظة حلب.
- نشطاء مدنيون وإعلاميون في حلب.
- خبراء في الآثار والتراث.
- سكان محليون بالقرب من المواقع الأثرية في حلب.
- جهات عالمية تعمل في توثيق انتهاكات المواقع الأثرية، وفي حماية التراث. (اليونسكو مثلاً).

**٣ـ الخطوة الثالثة: (تجهيز الأسئلة والمباشرة بجمع المعلومات)**

يتم تجهيز الأسئلة وفقاً للأشخاص والجهات التي سيتم توجيهها إليهم.. ومن المتوقع أن تكون الأسئلة في الموضوع الذي تم اختياره مطابقةً لبعض الأسئلة التي تم طرحها مسبقاً حول المعلومات التي يحتاجها الصحفي لبناء تحقيقه، فيتم توجيه تلك الأسئلة حسب اختصاص الشخص الذي يتم إجراء المقابلة معه، وحسب مكان تواجده الجغرافي (ناشط في ريف حلب يُسأل عن مواقع قريبة منه)..

ويتم أيضاً جمع المعلومات وتوثيقها من مصادر أخرى قد لا تعتمد أسلوب اللقاء المباشر أو عبر الشبكة، بل من خلال التصفح والبحث والقراءة، كمراجعة كل ما صدر عن اليونسكو خلال السنوات الخمس الماضية واستخلاص كل ما تم الحديث فيه عن تراث حلب، واستخلاص معلومات عامة أيضاً عن التراث السوري ككل يمكن دعم التحقيق بها.

يمكن أن تفتح خطوة التجهيز وجمع المعلومات أبواباً أخرى كمصادر للمعلومات، يجب على الصحفي حينها أن يحاول الحصول على معلوماته منها، كأن يتوصَّل خلال لقاءاته إلى جهة معينة تقوم برعاية الآثار في حلب فيقوم بالتواصل معها، أو أن يتوصل إلى فصيل معين يقوم بتهريب الآثار، أو حتى اسم تاجر أو عصابة، ومن الممكن حينها التحقيق في ذلك، ومحاولة التوصل إلى إثباتات، وحتى محاولة التواصل مع تلك الجهات (إن كان ذلك متاحاً).

يمكن أن يستهلك جمع المعلومات تلك مدة طويلة بسبب عوائق معينة، أو بسبب كثافة المعلومات التي على الصحفي جمعها، بعض الصحفيين يقضون أشهراً في جمع معلومات تحقيق واحد، بل وقد تطرأ تغييرات على قضية التحقيق أثناء القيام بجمع المعلومات عنه ما يضطر الصحفي أن يواكب تلك التغييرات طالما أنها حدثت قبل نشر التحقيق.

**٤ـ الخطوة الرابعة: (الحصول على الصور)**

يتم العمل للحصول على صورة بالتوازي مع مرحلة تجميع المعلومات، وكما في الخبر والتقرير إذا تمكن الصحفي من التقاط صور بنفسه فسيكون ذلك هو الأفضل، وإن منعته الظروف الأمنية أو البعد الجغرافي عن ذلك، فمن الجيد الحصول على صور من قبل الأطراف التي تعاونت معه وأعطته المعلومات، على أن يتم ذكر مصدر الصور، وفي حالات الاستعصاء وصعوبة الحصول على الصور، يمكن الاعتماد على وكالات الأنباء والمواقع الالكترونية التي تقدم خدمة الصور، بشرط ذكر المصدر.

يتطلب التحقيق بشكل عام كماً أكبر من الصور، وخاصة تلك التي توثق القضايا التي سيتم طرحها والمعلومات سيتم توثيقها.

بالنسبة لموضوع تراث حلب فالصور المناسبة هي صور تلك المواقع الأثرية المتضررة والمدمرة والمنتهكة، كما بالإمكان إيراد صور قبل وبعد لتبيان مكان الانتهاك وطرح الفروقات التي طرأت على المواقع الأثرية إثر الانتهاك أو التدمير.

**٥ـ الخطوة الخامسة: (تفريغ المعلومات)**

يتم تفريغ وكتابة كل ما حصل عليه الصحفي عن الموضوع (معلومات، مقابلات)، أي تجهيز

مسودات العمل، وكتابة ما تم تسجيله صوتياً إن وجد.

**٦ـ الخطوة السادسة: (صياغة التقرير)**

من المفترض أن تتيح المعلومات التي تم الحصول عليها كتابة تحقيق أقرب إلى صيغة التكامل، ومن الأمور الجيدة في التحقيق مرونة صياغته، والقدرة على استخدام الطريقة التي يفضلها الصحفي في صياغة المقدمة، ومن ثم سرد المعلومات، فالمعيار الوحيد في صياغة التحقيق هو الوضوح وتنظيم المعلومات وتوثيقها وعدم تجاوز معايير الدقة والموضوعية.

**يمكن تصوُّر الصياغة التالية لتحقيق المواقع الأثرية والتراثية في حلب اليوم:**

**المقدمة:**

يفتح أبو ماجد حمّامه القديم الواقع بالقرب من خان سوق القماش المدمر في مدينة حلب القديمة، مرة أو مرتين في الأسبوع لمدة أقل من ساعة، ليطمئن على أن مكونات حمامه الذي كان مصدر رزقه الوحيد قبل عام ٢٠١١ ما زالت موجودة، وأنّ جدرانه ما زالت محافظةً على نفسها رغم الاشتباكات والدمار الحاصل في مناطق قريبة جداً من الحمام.. «وجوده في زاوية مخفية محاطة بالمحلات التجارية والأبنية، هو ما يحميه حتى اليوم» يقول أبو ماجد.

يستطيع هذا المواطن الحلبي الذي ما زال حتى اليوم يعيش ضمن المدينة القديمة في حلب، والتي هجرها غالبية سكانها، أن يوثق الضرر الذي تعرضت له الخانات والأبنية والأسواق القديمة في المدينة، حيث شهد خلال السنوات الماضية دمارها واحداً تلو الآخر، وبات يعرف حجم دمار كل منها، وهو ما لا يتوفر عند غالبية المؤسسات التي تعمل على توثيق الأضرار والانتهاكات في المواقع التراثية السورية... يختصر أبو ماجد الحديث عن حجم الدمار بالقول .. «حلب القديمة انتهت تقريباً.. لا داعي للتجول».

**المتن:**

ليست حلب القديمة وحدها التي تعرضت للدمار، ففي المحافظة التي تشهد منذ أكثر من ثلاثة أعوام أعنف المعارك في سوريا، هناك ما يزيد عن ٣٠ موقعاً أثرياً هاماً، يضم كل موقع مكونات تراثية عدة، باتت اليوم مسرحاً للمعارك، وبات من الصعب بمكان توثيق الأضرار التي تعرضت لها، أو حتى التقاط صور توضح حجم الدمار الذي منيت به هذه المواقع التراثية، التي كانت تشكل أوضح صور الحضارة والتراث في واحدة من أهم مدن الشرق.

اليونسكو.. تقارير متتالية دون أثر

مجموعة من التقارير صدرت عن منظمة اليونسكو حول مدينة حلب وتراثها، كان أولها ما صدر في صيف ٢٠١٢ حين وجهت المديرة العامة لليونسكو «أرينا بوكوفا» نداء لحماية حلب القديمة المدرجة في قائمة التراث العالمي، وذلك إثر المعارك التي كانت مندلعة بالقرب من المناطق التاريخية في حلب، حيث طالبت المديرة العامة لليونسكو «جميع أطراف النزاع بحماية مواقع التراث الثقافي السوري بأشكالها المختلفة».

وبعد أقل من عام أدرجت منظمة اليونسكو ٦ مواقع أثرية سورية على قائمة التراث العالمي المهدد، وكانت مدينة حلب القديمة بينها، وذلك بعد ارتكاب «أضرار جسيمة» في المدينة، منها دمار مئذنة الجامع الأموي الأثري نتيجة المعارك التي دارت على مدى أشهر في محيطها، ومنها أيضاً ما تعرضت له أسواق حلب القديمة في تشرين الأول ٢٠١٢ حيث التهمت النيران أجزاءً من أسواق حلب الأثرية بدكاكينها القديمة ذات الأبواب الخشبية التي يعود بعضها إلى مئات السنوات.

وبعد فترة من ذلك التاريخ، في عام ٢٠١٣، دعت اليونسكو «جميع أطراف النزاع» إلى وضع

حدٍّ فوري لتدمير التراث، وأدانت استخدام المواقع المدرجة على لائحة التراث العالمي كأهداف عسكرية مثل قلعة الحصن، وتدمر، وكنيسة مار سمعان قرب حلب، ومدينة حلب وقلعتها.
وفي مؤتمر أجرته في شهر أيَّار ٢٠١٤ في باريس، جمعت اليونسكو ممثِّلين عن النظام السوري وممثِّلين عن منظمات غير حكومية يستطيعون الدخول إلى المناطق التي تسيطر عليها المعارضة، حول طاولة واحدة لتحسين الاتِّصالات بين الطرفين، وذلك بهدف حماية المواقع الأثرية، وهو مالم يجدِ نتيجةً حينها، بل اعتبره نشطاء عملاً «بلا معنى» كون النظام «أهم المسؤولين عما تتعرض له الآثار السورية» وفق نشطاء من حلب، على اعتبار أن الكثير من المواقع الأثرية تعرضت للضرر بسبب استهدافها من قبل قوى وميليشيات تابعة للنظام السوري، وهو ما تم توثيقه في أكثر من منطقة من سوريا.

ماذا دُمّر من تراث حلب؟
«لا يمكن الاعتماد على ما تصدره المنظمات الدولية، وما ترصده الأقمار الصناعية، فالتفاصيل هي الأهم» يفتتح نذير مرادي الخبير الآثاري السوري المقيم في تركيا حديثه عن دمار مواقع حلب الأثرية، واصفاً ما يصدر عن المنظمات الدولية بأنه عام وغير موثق بما يكفي، ويهمل الكثير من التفاصيل والجزئيات التي يجب توثيقها، «بل ويهمل مواقع بكاملها».
يعمل مرادي على توثيق ما دُمّر من مواقع حلب، بمساعدة مجموعة من النشطاء المدنيين المنتشرين في المحافظة، والمهتمين بالمواقع الأثرية فيها وبما يقوم به مرادي.

يقول مرادي «الأضرار هائلة جداً» ولا تقتصر على ما شاع في وسائل الإعلام، فدمار الأسواق القديمة وأجزاء من الجامع الأموي، وتضرر درج القلعة الأثري وأحد جدرانها، هو جزء من الدمار، «عليك الدخول إلى قلعة حلب لتعرف الأضرار الحقيقية والإساءات التي تتعرض لها القلعة، والقطع الأثرية التي تخرج من المتاحف الموجودة في المدينة القديمة، ومن القلعة ومتحفها، لتعرف تماماً حجم الضرر.. ليست وحدها النار التي تلتهم الآثار بل جشع التجار ورجال العصابات من كافة الأطراف، وأهمها النظام السوري كونه يرتبط منذ زمن طويل بعصابات تهريب الآثار ولديه خبرة بهذا النوع من الأعمال المحرمة دولياً».

بدأت الإساءة لآثار حلب وفق المصدر قبل أكثر من عشرة أعوام، عندما بدأت جرافات تابعة لشركات كبرى تقترب من أسوار المدينة القديمة وتدمر أجزاء من أسوارها وتتعدى على مساحات منها لصالح مشاريع كبرى كفندق شيراتون، «واستثمارات رامي مخلوف في المدينة»، إلا أن تلك التعديات تعتبر جزءاً بسيطاً أمام ما حل بعد عام ٢٠١٢، «فالمصيبة الكبيرة هي وقوع المدينة القديمة في قلب الصراع، ما عرضها للقذائف والحرائق ودمر جزءاً كبيراً منها.. يمكن أن نذكر أهم ما دمر: الجامع الأموي – جزء من سور ودرج القلعة – السويقة – خان الشونة – خان الصابون – سوق الزرب – سوق الصاغة – باب أنطاكيا – مسجد السلطانية.. هذا في المدينة فقط، أما ما يحدث في الريف فهو ما نعمل على توثيقه حالياً» يختتم مرادي.

آثار ريف حلب

لا يخفى على المختصين في مجال الآثار السورية، أن قلعة سمعان وكتلة المدن المنسية الممتدة من ريف حلب إلى ريف إدلب هي من أكثر المناطق التي تعرضت للضرر خلال السنوات السابقة في ريف حلب، وينقل عبدو حارم وهو ناشط مدني يعمل في الريف القريب من دير سمعان العمودي الشهير، أن إساءات كثيرة قد ترض لها هذا الموقع الأثري، وأهمها سرقة بعض آثاره والإتجار بها، وقد حدث ذلك وفق قوله «خلال المعارك التي كانت دائرة في المنطقة بين قوات المعارضة وقوات النظام»، حيث يتبع الموقع حالياً لفصائل المعارضة وفي مقدمتها لواء التوحيد.

ويصف الناشط منطقة قلعة ودير سمعان بأنها اليوم «مقلع للحجارة»، حيث يتم قلع الحجارة الأثرية فيها، ونقلها لاستخدامها في أعمال بناء وغير ذلك، متهماً الفصائل المعارضة والقوى العسكرية الناشطة في المنطقة بإهمال الموقع الأثري، وواصفاً كل المناطق الأثرية الواقعة تحت سيطرة المعارضة في الشمال السوري بأنها «غير محمية، ولا أحد يهتم بها سوى اللصوص».

ومن المواقع المهمة التي تعرضت للانتهاك، ضريح مار مارون في براد بريف حلب والكنيسة التابعة له، حيث تعرض الموقع لهجوم من مسلحين قاموا بسرقة القطع الأثرية والثمينة التي تحتويها الكنيسة، كما دمروا أجزاء منها.

وفي الإطار ذاته وثق ناشطون من مدينة عفرين بريف حلب تضرر مواقع أثرية في قرية باصوفان قرب عفرين نتيجة المعارك الدائرة بقربها بين قوات سوريا الديموقراطية وجبهة النصرة.

آثار حلب في بلدان الجوار

يعتبر تتبع القطع الأثرية التي تهرَّب من بلد ما عبر عصابة أو شبكة تجارة آثار، من أصعب المهمات التي تقوم بها فرق الأمن والمخابرات، فقد تحتاج قضية متابعة شبكة تهريب آثار إلى سنوات لكي تمتلك الجهة المحققة إثباتات حول قيام تلك العصابة أو الشبكة بتهريب قطع معينة من مكان إلى مكان وبيعها بسعر معين.

وفي الحالة السورية يبدو من شبه المستحيل إثبات تورط طرف معين بتجارة الآثار بتتبع بعض الدلائل التحقيقية الصحفية، إلا أن ما أوردته بعض المؤسسات الأمنية في دول الجوار يؤكد حقيقة القيام بتهريب آثار سورية وبيعها في مزادات الأسواق السوداء في الخارج، ففي اسطنبول كشفت مديرية الأمن ، عن قيامها بعملية أمنية «لاستعادة ثلاثة ألواح أثرية من الفسيفساء يعود تاريخها الى العصر الروماني، وكانت قد هربت من سوريا إلى تركيا، بغرض التجارة بها»، وفق وسائل إعلام تركية رسمية، بينت أن الشرطة التركية ألقت القبض على أربعة أشخاص متورطين في القضية، وذلك «في منطقتي تشيكمي كوي، وبويوك تشيكميجي، بعد القيام بتتبعهم على إثر اخبارية وصلت الشرطة. وضبطت الشرطة القطع الأثرية في سيارتين أثناء نقلهم وذلك من خلال توقيفهما في وقت متزامن».

المهربون وفق الشرطة التركية سوريان والآثار التي يحملونها مهربة من شمال سوريا.
أمام النظام السوري فقد اتهم الحكومة التركية بعملها على تهريب الآثار من مدينة حلب ومن المناطق الشمالي في سوريا إلى تركيا «لبيعها في مزادات اسطنبول» وذلك ما ورد على لسان المحامي العام في دمشق قبل عامين من اليوم.

وفي لبنان وهي البلد الأشهر بإيقاف عصابات تهريب الآثار، والشبكات العاملة في السوق السوداء، فلا يكاد يمر شهر إلا وتورد وسائل الإعلام اللبنانية أنباء عن توقيف أشخاص يشك في تورطهم بتهريب الآثار من سوريا إلى لبنان، فقبل حوالي ٣ أشهر قالت الوكالة الوطنية للأنباء إن مكتب البقاع الغربي في أمن الدولة، تمكن بعد الرصد والمتابعة الدقيقة، من توقيف عصابة مؤلفة من خمسة أشخاص لبنانيين وسوريين، تقوم بتهريب القطع الأثرية وبيعها، وقبلها بحوالي عام قال مسؤول من الجيش اللبناني إن قوى الجيش أحبطت محاولة تهريب قطع أثرية سورية نادرة قرب بلدة شبعا «كانت عصابة لسرقة الآثار تحاول تهريبها عبر أطراف جبل الشيخ إلى لبنان».

متعاملون مع الشبكات موجودون في حلب حالياً
في مدينة غازي عينتاب التي تضم أكثر من ٥٠٠ ألف سوري أغلبهم جاؤوا من حلب بعد سوء الأوضاع الأمنية فيها، تنشط الكثير من الفعاليات المدنية التي تعنى بتوثيق الانتهاكات، ومن خلال التواصل مع إحدى تلك الفعاليات، قام ناشط مدني يسمّي نفسه «عموري» ويرفض التصريح عن اسمه الواضح بإطلاع جريدة (اسم الجريدة) على صور يخزنها في هاتفه المحمول لمجموعة من القطع الأثرية التي حصلت عليها شبكة تهريب آثار من خلال تعاملها مع مجموعة من التجار «الجدد» في ريف حلب، وقال عموري إن هذه القطع «مازال جزء منها في حلب، بينما تم تهريب الجزء الآخر عبر مهربين يعملون على الحدود السورية التركية»، مؤكداً أنها تعود للمدن المنسية، وأن من قام بسرقتها هم عصابة تستغل الأوضاع الأمنية في المنطقة للتنقيب والتجارة.

**خاتمة:**
قبل أن يغلق أبو ماجد باب حمامه، يتأكد من كل شيء.. إغلاق النوافذ، قطع الكهرباء، إغلاق الغاز الصغير المتبقي فيه، خوفاً على موقعه الأثري الصغير الذي ما زال محافظاً على نفسه ضمن موقع أثري ضخم يتعرض للتدمير يومياً، ويتمسك أبو ماجد بالقول «لا أحد يحمي البلاد سوى أهلها، كل من يسكن بالقرب من مكان غالٍ ونفيس عليه حمايته، فمن يخوضون المعارك هم إما لا يهمهم الاهتمام بالتاريخ، أو يقصدون الإساءة له.. المنتمون للوطن من المواطنين العاديين هم من يحمون الآثار.. لقد حمى المصريون المتحف بأجسادهم في الثورة.. أتذكر ذلك؟»

**٧ـ الخطوة السابعة: (العنونة)**

تتضمن هذه الخطوة اختيار عنوان وفقاً لِقيم العناوين التي تم ذكرها سابقاً..

يمكن عنونة هذا التقرير بـ:

تراث حلب بعضه رماد ما بعد المعركة.. وبعضه شظايا في البلدان المجاورة

أو

تاريخ حلب تحت حكم السلاح والقذائف

أو

حريق حلب يلتهم تراثها ويدفن إحدى درر الشرق أمام أعين الجميع

**٨ـ الخطوة الثامنة:** قراءة أخيرة تتضمن (تدقيق لغوي ـ تأكد من أسماء المصادر والأماكن والتواريخ ـ والتأكد من صحة الصور ومناسبتها).

**٩ـ الخطوة التاسعة:** (إرسال التحقيق والصور للوسيلة، وانتظار نشره، ومتابعته بعد النشر).

«العربي الجديد»

**إنفلونزا الخنازير في سورية..انتشار المرض في مناطق المعارضة والنظام**

عامر عبدالسلام، لبنى سالم

تشكو المدرسة السورية بيروين من ارتفاع نسبة تغيّب الطلاب في مدرستها بالقامشلي (تقع شمال شرق سورية)، إلى ٥٠ بالمائة، إذ يخشى الأهالي إرسال أبنائهم إلى المدرسة، بعد تداول أخبار حول وفاة ٢٠ شخصاً في المدينة بسبب الإصابة بإنفلونزا الخنازير H1N1.
تؤكد بيروين أن المدرسة اتخذت إجراء وقائياً، بمنع مداومة أي طفل مصاب بالإنفلونزا بشكل عام، حتى يشفى تماماً، إذ لا يمكن التأكد من إصابته بهذه الإنفلونزا الخطيرة أو عدم إصابته في ظل غياب الإمكانات الطبية.

تقول بيروين لـ«العربي الجديد»: «بات الناس يخشون على أطفالهم من القدوم إلى المدرسة والتقاط العدوى المميتة، لدينا أعداد كبيرة من الطلاب، لا يمكن ضمان عدم انتقال العدوى، إذ يقال إن أكثر من ٢٠ شخصاً مات بسبب بهذه الإنفلونزا».

شائعات خاطئة حول أسباب الإصابة بالمرض

مع ارتفاع أعداد الوفيات بإنفلونزا الخنازير في العديد من المدن السورية، تزايدت المخاوف والإشاعات، وبالرغم من حلول الفصل الدراسي الثاني، إلا أن أعداد الطلاب الملتحقين بمدارس حلب وإدلب والحسكة والقامشلي ودرعا قلت بشكل كبير، بسبب الخوف من العدوى، وفق ما رصده معدا التحقيق.

وكانت وزارة الصحة التابعة للنظام السوري قد أعلنت أن عدد الوفيات جراء الإصابة بمرض إنفلونزا الخنازير بلغ نحو ٤٠ حالة وأن هناك أكثر من ١٨٥ إصابة تم تشخيصها، فيما امتنعت بعض المشافي التابعة لوزارة التعليم العالي في دمشق عن تزويد الوزارة بأي إحصاءات.
وتنتشر التحذيرات من المرض عبر مختلف وسائل التواصل في سورية، إذ قام عدد من الناشطين بتحذير السكان من مرض إنفلونزا الخنازير، وخطره، عبر مآذن المساجد في عدد من بلدات محافظة درعا، بعد أن صار حديث الجميع كما يقول، عبد الله السيد (اسم مستعار)، لأحد أهالي محافظة درعا، والذي قال لـ«العربي الجديد»: «عندما أعلنت المساجد عن انتشار الإنفلونزا امتنعنا عن شراء أية مواد غذائية مجهولة المصدر، وامتنعنا عن أخذ مساعدات من المنظمات الدولية، خوفا من أن تكون سببا في نقل المرض، إذ يسود اعتقاد وشائعات بين أهالي درعا أن المرض ينتقل عبر أغذية ملوثة بالفيروس».

ويرى تاجر المواد الغذائية في درعا، رامي أحمد، أن انتشار المرض في المناطق الموالية للنظام

يرجع إلى غياب الرقابة الصحية على أسباب انتشار المرض الذي يقول عليه الأطباء سهل الانتقال بين البشر، مضيفاً أن «المساعدات الإنسانية الغذائية هي ما شك به الكثير من أطباء محافظة درعا، إذ حذروا السكان من تناول أي من المساعدات المقدمة لهم، خوفاً من تلوثها بفيروس إنفلونزا الخنازير، محذرين من أن نقل الفيروس يتم عن طريق ملامسة أشياء المصاب أو التعرض للرذاذ أثناء العطاس والسعال، إلا أن الحالة الصحية باتت صعبة المتابعة مع الحالة الأمنية الصعبة، وهروب عدد كبير من الأطباء والممرضين بسبب الاعتقالات العشوائية».

لكن الطبيب عمار خالد (اسم مستعار لطبيب يعمل في الغوطة الشرقية)، رفض بقوة الشائعات المنتشرة بين أهالي درعا وعدد من المناطق السورية، بالحذر من انتقال الفيروس عبر الغذاء، واصفاً إياها بالخاطئة وغير المتوافقة مع المعايير الطبية، إذ ينتقل الفيروس المعدي بواسطة الرذاذ المنتشر في الهواء عند التنفس أو السعال أو العطس، «لكن بعضهم ربط بينه وبين المساعدات المقدمة للأهالي وسط شائعات راجت وربطت بين إنفلونزا الخنازير وتدخل الإيرانيين والروس في سورية، وهذه أمور غير واقعة ولا أساس طبي لها»، كما يؤكد في تصريحات لـ«العربي الجديد».

وبحسب الطبيب خالد، فإن أعراض إنفلونزا الخنازير تختلف عن أعراض الإنفلونزا المعروفة، إذ تظهر أعراض الرشح العادية مع ارتفاع في درجة الحرارة ورعشة تصحبها كحة وألم في الحلق مع آلام في جميع أنحاء الجسم وصداع وضعف أو وهن عام. ويصاب بعض الأشخاص بإسهال وقيء، لكن الطبيب خالد حذر من أن هذه الأعراض عامة، ويمكن أن تكون بسبب أي من الأمراض الأخرى، قائلاً «حتى يشخص الطبيب الإصابة بإنفلونزا الخنازير يجب إجراء الفحوصات والتحاليل المخبرية التي يتم عن طريقها تأكيد الإصابة بالمرض من عدمه».

المرض منتشر في مناطق النظام والمعارضة

تبلغ تكلفة تحليل إنفلونزا الخنازير نحو ٦ آلاف ليرة سورية (١٥ دولاراً أميركياً)، فيما تبلغ تكلفة اللقاح نحو ٤ آلاف ليرة سورية (١٠ دولارات)، وفقاً لبيانات صادرة عن وزارة الصحة السورية، والتي تملك مخبراً واحداً في دمشق تتم فيه التحاليل لهذا المرض، ما يجبر الأطباء في كافة المحافظات السورية على إرسال العينات إلى دمشق، وانتظار نتيجة التحليل الذي يستغرق بضعة أيام.

وتصل نسبة المصابين بالفيروس في مراحله المتقدمة إلى نحو ٢٢% ممن يراجعون المؤسسات الصحية السورية للاشتباه في إصابتهم بالمرض، وفقاً لإحصاءات وزارة الصحة، والتي أكدت أن ٥% منهم فقط أظهرت نتائجهم أنه يمكن إنقاذهم ولم يتطور معهم الفيروس إلى إنفلونزا الخنازير. ولم يقتصر انتشار المرض في المناطق الموالية للنظام، إذ لفت عمار محمد، طبيب في مشافي الغوطة الشرقية، إلى تسجيل حالات إنفلونزا شديدة توفي على إثرها نحو ١٠ أشخاص بينهم نساء وأطفال، ولم يتمكن الطاقم الطبي من تحديد نوعية الإنفلونزا، نتيجة الحصار الشديد ونقص الأدوية، ما يؤدي إلى موت المريض، قائلا لـ«العربي الجديد»: «منذ ما يزيد عن الثلاث سنوات

وقوات النظام والمليشيات الداعمة لها تضرب حصاراً خانقاً تمنع من خلاله إدخال الأدوية واللقاحات إلى الغوطة الشرقية».

ومع اعتراف حكومة النظام السوري بأن نسبة الوفيات في مشافيها عالية مقارنة بالنسبة العالمية، والتي تصل إلى نحو ٢٪ من بين المصابين بالمرض إذا كانت الجائحة شديدة، إلا أن هذه البيانات لا يمكن تعميمها على سكان سورية، إذ إن تقييم هذا الأمر يعود إلى وزارة الصحة الحكومية إذا كانت الجائحة في البلاد شديدة أم ما زالت ضمن حدودها الطبيعية، فيما يغيب دور الوزارة عن مناطق كثيرة من البلاد.

وشككت مصادر في وزارة الصحة التابعة للنظام بأرقام الوزارة الرسمية، داعية إلى محاولة السيطرة على الحالات المرضية في كافة المناطق، لا سيما المنطقة الشرقية والشمالية.
ورصدت الحالة الأولى لإنفلونزا الخنازير في سورية في شهر كانون الثاني/ يناير لعام ٢٠٠٩، إذ تبينت إصابة مرافق لامرأة ثلاثينية قادمة من أستراليا تمت معالجتها في سورية، وظهر مجدداً في عام ٢٠١٤، إذ أعلنت وزارة الصحة السورية عن إصابة ٣٩ حالة والاشتباه في ١١٧ حالة أخرى، ومؤخراً وثقت أولى حالات المرض في مدينة اللاذقية بعد وفاة الطبيب طوني سابا، البالغ من العمر ٢٦ عاماً والعامل في مشفى تشرين العسكري، وبعدها تم الإعلان عن نبأ وفاة ٦ مدنيين في مشافي حلب الخاضعة لسيطرة قوات النظام، في حين سجلت مشفى أطمة بريف إدلب الشمالي ٣ حالات وفاة لأطفال سوريين، أصيبوا بالمرض.

مصاعب التشخيص والعلاج
منذ بداية ظهور عدوى إنفلونزا الخنازير في سورية، والتي أطلق عليها شعبياً اسم الإنفلونزا «المميتة»، واجهت الطواقم الطبية والمؤسسات الصحية العاملة في مناطق سيطرة المعارضة صعوبات في تحديد حجم المشكلة وتشخصيها وحتى علاجها، ويعود هذا إلى صعوبة وضعف التنسيق في ما بينها؛ بسبب تقطع أوصال هذه المناطق وتعدد الجهات المسؤولة عنها، ما تسبب بغياب إحصائية جامعة لعدد الإصابات بهذا النوع من الإنفلونزا، أو تحديد دقيق لحجم المشكلة، واكتفت بتقدير عدد الوفيات بها بالعشرات.

وحتى نهاية كانون الثاني/ يناير الماضي لم تستطع أي جهة طبية في مناطق سيطرة المعارضة تحديد سلالة الإنفلونزا المنتشرة، لأنها لم تستطع إجراء الفحوصات المخبرية لأي من المرضى، كما يقول الطبيب عبد الله الحافي من ريف حلب، قبل أن يضيف «لتحديد نوع الإنفلونزا نحتاج إلى إجراء تحليل لسلالتها، بعد أخذ مسوحات بلعومية للمرضى. في الواقع آخر مخبر كان يجري هذا النوع من الفحوصات في مناطق المعارضة كان في مشفى الكندي في حلب ودمّر منذ سنوات، لذا لم يكن بوسعنا التأكد من أنها إنفلونزا الخنازير».

وفي ٣٠ من كانون الثاني/ يناير الماضي أعلن مركز الإنذار والرصد المبكر التابع لوحدة التنسيق

والدعم (وحدة مستقلة لا تتبع الحكومة السورية المؤقتة)، أنه تلقى أخيراً نتائج فحوصات مخبرية لـ٤ مرضى بالإنفلونزا من مدينتي حلب وإدلب، تم فحصها في مختبر تركي، وجاءت نتائج عينتين إيجابية، إذ حملت إحداهما فيروس من النمط (أتش ١ إن ١) والأخرى فيروس كورونا، وأخذت العينتان من مريضين من مدينة عفرين في ريف حلب، فيما جاءت نتيجة عينتين أخريين تم الحصول عليهما من محافظة إدلب سلبية.

ويواجه المرضى في مناطق سيطرة المعارضة صعوبات في الحصول على العلاج المضاد للفيروس المعروف بـ«تاميفلو»؛ بسبب عدم توفره وصعوبة الحصول عليه بسبب إغلاق الحدود، كما يقول محمد أحمد من عفرين، والذي أصيب شقيقه بإنفلونزا شديدة قال له الأطباء إنها إنفلونزا الخنازير في الغالب لكن الدواء لم يكن موجوداً في الصيدليات، يضيف محمد لـ«العربي الجديد»: «حاول أحد أقاربنا الحصول عليه من تركيا وكان الأمر صعباً جداً لأنه لا يصرف بلا وصفة طبية، مع هذا لم يستطع إرساله لنا لأن الحدود مغلقة ولم يسمح له بإدخاله، بعد فترة دخل عدد محدود من الأدوية وأعطيت للمرضى في الحالات الخطرة، كان أخي قد تحسنت صحته حينها، لكن نحو ٨ آخرين ماتوا بسببها خلال شهر واحد».

من جانبه يوضح الطبيب عبدالله الحافي، أن أبرز الإجراءات الطبية التي تقوم بها الكوادر الطبية هي «محاولة عزل المريض في حال توفرت أسرة في المشفى، أو عزله في منزله، واتخاذ إجراءات الوقاية بالنسبة للكادر الطبي كالتعقيم المستمر ووضع الكمامات، وإعطاء المريض الأدوية المضادة للالتهاب والسيرومات، فمعظم المرضى الذين يصلون إلى المشافي أو النقاط الطبية يكونون في حالة حرجة جداً، ويعانون من التهابات تنفسية وإنتانات حادة».

الجميع اتفق على التكتم حول المرض

ووفقا لما وثقه معدا التحقيق، فإن الجهات الطبية المسؤولة في جميع المناطق، واجهت حالة الخوف المتزايدة من فيروس إنفلوانزا الخنازير بالتكتم والتقليل من أهمية العدوى المنتشرة، وإلى حين نشر نتائج العينات المخبرية استمرت الجهات الطبية المسؤولة في مناطق المعارضة بإعلان عدم تأكيد وجود إصابات بالإنفلونزا، وهو ما فعلته أيضاً جهات طبية مسؤولة في مناطق سيطرة القوات الكردية في كل من عفرين والقامشلي، واستمر مسؤولو حكومة النظام بدورهم في نشر التطمينات حول المرض، بالرغم من تزايد أعداد الوفيات في مناطق سيطرة النظام، وهو ما عده ناشطون في العمل الإغاثي عاملا مساعدا على نشر الجهل حول العدوى وبالتالي انتشارها بشكل أوسع.

مثال:

«الحياة»

**أين الطيران الروسي في معارك دير الزور**

عبد الناصر العايد

في ساعة مبكرة من فجر السبت ١٦ كانون الثاني (يناير)، اطلق تنظيم الدولة الإسلامية «داعش»، واحدة من أهم معاركه في سورية، استهدفت السيطرة على الرقعة الواقعة تحت سيطرة النظام السوري في دير الزور.

تكتسب دراسة هذه المعركة التي لم ينجل غبارها بعد، أهمية استثنائية لوقوعها في توقيت عسكري وسياسي حاسم، ولما قد يترتب عليها من نتائج آنية وبعيدة المدى على الوضع المتفاقم تعقيداً في كل من العراق وسورية، كما تلقي الضوء على حال تنظيم «الدولة»، مالئ الدنيا وشاغل الناس في هذه الأيام.

تكتيكات متنوعة:
منذ أن سيطر التنظيم على محافظة دير الزور صيف ٢٠١٤، بعد أن طرد الفصائل الإسلامية والجيش الحر، لم يحرز تقدماً ملموساً ضد قوات النظام في محافظة دير الزور على رغم محاولاته العديدة والمستميتة، ويعود السبب في ذلك إلى كون المناطق التي تخضع لسيطرة النظام هناك مدججة بالأسلحة والجنود، ومحصنة بشكل استثنائي، فالمنطقة من أوائل المناطق السورية التي اندلعت فيها المقاومة المسلحة، وحشد فيها النظام جميع قواته المتمركزة في الرقة والحسكة المجاورتين، وبسبب هذا الحشد سقطت محافظة الرقة لاحقاً بسهولة في أيدي الفصائل المقاتلة العام ٢٠١٣.

من ناحية أخرى، لعبت هجمات قوات التحالف الدولي على أرتال التنظيم المتجهة إلى دير الزور في أوقات سابقة، دوراً في عدم وصول المهاجمين إلى اهدافهم، وكانت عملية رصد المطار العسكري هناك، وحركة مقاتلي «داعش» إليه وحوله، كافية على ما يبدو لكشف الكثير من الأهداف الكبيرة للتنظيم وتدميرها، ويبدو أن الوجود الروسي ومعارك العراق، قد قلصت الرقابة الأميركية في دير الزور، وهو ما دفع مخططي التنظيم إلى وضع خطة عسكرية معقدة، احرزت الكثير من النجاح حتى الآن، وعلى أقل تقدير مكنته من خرق القلعة المترابطة التي أقامها النظام حول قواته وترسانة سلاحه هناك، والوصول إلى مستودعات عياش الاستراتيجية، الأضخم في شمال شرقي سورية.

لم تبدأ المعركة كالمعتاد حول المطار العسكري شرق المدينة، بل في غربها الذي لم يشهد الكثير من المواجهات لوجود نهر الفرات كحاجز يفصل بين الطرفين من جهة الشمال، لكن «داعش» ارسل دفعات عدة من جنود النخبة لديه المعروفين بالانغماسيين، برفقة ادلاء من بلدة البغيلية غرب

دير الزور، عبر نهر الفرات في ساعة متأخرة من الليل، والبلدة هي خاصرة النظام الرخوة، إذا يتولى حراستها مجندون من أهالي المنطقة منضوون تحت ما يعرف باللجان الشعبية، وهؤلاء ميليشيا غير منضبطة وغير ملتزمة، ويقول بعض الخارجين من البغيلية، أن انغماسيي «داعش» ألقوا القبض على قادة هذه اللجان وعناصرها في فراش النوم، ليتم ذبحهم مباشرة.

في هذه الأثناء كان التنظيم يقوم بمناورات تضليلية في الأحياء الشرقية من المدينة، وفجّر سيارتين مفخختين يقودهما انتحاريان، لإيهام قوات النظام بأن المحور الرئيسي للهجوم يقع في هذه الناحية، وتحت جنح الظلام وفي ظل ارتباك عناصر النظام، تدفقت اعداد كبيرة من عناصر «داعش» عبر الفرات، استعداداً للمرحلة التالية بعد السيطرة على قرية البغيلية.

استخدام الطقس كسلاح: عاصفة غبارية كثيفة جداً هبت على المنطقة صباح يوم الإثنين وأمّنت غطاءاً جوياً كاملاً لمفارز التنظيم المحتشدة التي تقدمت إلى الأهداف الأهم، في ظل عجز كامل من الطيران الروسي عن فعل أي شيء، وتوجهت مجموعات من الانغماسيين، إلى معسكر الصاعقة الواقع على طريق حلب/ دير الزور، وتمكن نحو عشرة انتحاريين فجروا أنفسهم من اختراق المعسكر الحصين وفتح الطريق إليه، وبعد الاستيلاء على بعض اسلحته الثقيلة، ووصول قوات للتنظيم من الريف الغربي لدير الزور الذي أصبح الطريق إليه سالكاً، وجه الجميع ضربة مركزة إلى مستودعات الذخائر في عياش، واستولوا على الجزء الشمالي منها، وهو الرئيسي، بينما صمدت قوات النظام في الجزء الجنوبي حيث يتموضع اللواء ١٣٧، بأسلحته الثقيلة، ولا يزال تحت تهديد الاقتحام.

تكتيك الالتحام:
لا يمكن اتقاء هجمات الطيران في ظل تفوّق الخصم جوياً سوى بالالتحام المباشر مع قواته، الذي يجعل مهمة رصد وانتقاء الأهداف وتدميرها شبه مستحيلة، لذلك نقل التنظيم معاركه إلى حدود مناطق سيطرة قوات النظام، وبوجود الأسلحة والذخائر بالقرب منه، حيث ترك جنود النظام الهاربون كميات كبيرة منها، لم يعد «داعش» في حاجة إلى إمداد يمكن رصده، وامتد الهجوم شرقاً أيضاً باتجاه حي الجورة ومعسكر الطلائع، وامتد جنوباً وغرباً ليسيطر عناصر التنظيم على أعلى مرتفع في المنطقة الشرقية.

نجح التنظيم في هذه المعركة باستخدام معظم التكتيكات البرية المعروفة، من المباغتة إلى تركيز القوى، إلى التطويق إلى الالتحام، بينما فشلت قوات النظام في استخدام التكتيك الوحيد الذي اتبعته، وهو الحرب الدفاعية في الخنادق ووراء المتاريس، إذ يقول المبدأ العسكري إنه في ظل تسليح متكافئ يحتاج المهاجم إلى عدد مقاتلين يفوق بثلاثة أضعاف عدد المدافعين كي يتمكن من الانتصار عليهم، لكن الحال هنا أن المدافعين كانوا أكثر بكثير من المهاجمين وأفضل تسليحاً منهم بخاصة لجهة امتلاكهم الدبابات والمدرعات والمدفعية الثقيلة، ومع ذلك خسروا المعركة. والسبب الرئيسي في ذلك يعود إلى قوة الروح القتالية لدى عناصر التنظيم، الناشئة من تصاعد حدة التشدد

الأيديولوجي بين عناصره، بعد نحو سنتين من سيطرته وفرض مناهج متشدّدة عند تنشئة وتعليم منتسبيه، في ظل عزلة شبه تامة عن العالم الخارجي، وتحت ظروف حياتية ويومية قاسية جداً.

فقد سجلت في هذه المعركة أكثر من ثلاثين عملية انتحارية، استخدمت فيها الأحزمة الناسفة والعربات المفخخة، وشكلت مفاتيح الاقتحام الرئيسية لإحداث ثغرات في دفاعات النظام، وسّعها الانغماسيون، وهم عملياً نوع آخر من الانتحاريين الذين يقاتلون في ظروف ميدانية تقترب فرصة النجاة فيها من الصفر فعلياً. ومردود هذه الأسلوب القتالي لا ينحصر في خطوط النار الأولى، بل إنه يمتد إلى قطاعات في العمق، على شكل حالة هلع ورعب، ألقت بظلالها على وحدات النظام، ومن اللافت في المعركة الأخيرة أيضاً أن معظم قتلى جيش النظام هم من الضباط، بل إن بينهم ثلاثة برتبة عسكرية عالية (عميد)، ويبدو أن جنودهم فروا عند بدء المعركة وتركوهم في مقرات القيادة بلا أي مساندة.

لماذا دير الزور الآن؟
صحيح أن محافظة الرقة السورية هي المقر الإداري لتنظيم «داعش» في سورية، لكن دير الزور هي مركز التنظيم اقتصادياً، إذ يستخرج من آبارها نحو ٦٠ في المئة من مجمل إنتاج التنظيم النفطي في سورية والعراق، كما أن لها أهمية عسكرية وإدارية فائقة تتمثل بكونها قلب الدولة جغرافياً، متوسطة مناطق الأنبار والرقة وحلب والموصل، لكن مشكلة «داعش» هي الرفض الاجتماعي لها من طرف سكان المنطقة، الذين حاربوه وقاوموا سيطرته التي لم يتمها حتى اليوم، على رغم محاولاته العنيفة لفرضها منذ البداية عبر مجازر وعمليات قتل بدأت بمجزرة الشعيطات التي قضى فيها نحو ١٧٠٠ شاب، وانتهاء بالإعدامات اليومية بتهمة الردة، التي تطاول كل من يعتقد بأنه يناهضه، بخاصة من عناصر الجيش الحر السابقين.

وكانت النقيصة الرئيسية الموجهة للتنظيم من قبل خصومه المحليين هو عدم تقدمه شبراً واحداً في مناطق سيطرة النظام بعيداً عن الحدود التي رسمها الجيش الحر سابقاً، بل إنه خسر بعض المناطق بخاصة حول المطار العسكري، وفي ظل خسائره المتوالية في سورية والعراق، أصبح خيار إخراج النظام من المحافظة وإحكام قبضته عليها هو أفضل الممكنات، سواء لناحية كسب وإقناع المجتمع المحلي به وبإمكانية انتصاره، أو لتأمين مركز قيادة جديد في وسط مناطق سيطرته، يضاهي في أهميته الموصل، مع احتمال خسارته للأنبار والرقة. كما تشكل ترسانة السلاح التي يملكها النظام في مواقعه، بخاصة اللواء ١٣٧، والمطار العسكري، سبباً كافياً للمخاطرة بكل قواته هناك، بعد التضييق على مصادر تسليحه.

نجاح التنظيم غير راجح
مع وجود احتمالات لا يمكن حسابها أو التكهن بها مسبقاً، كما حدث بالنسبة للعاصفة الغبارية، فإن حظوظ التنظيم بالتقدم أكثر في معركته الحالية، تبدو غير ممكنة، فعناصر النظام يتوافر لديهم كل أدوات الدفاع عن أنفسهم، وليس لديهم أي فرصة للنجاة فيما لو انهزموا، كما أن الضغط

السياسي المتمثل في إحراج الروس، سيدفعهم إلى الزج بكل ثقلهم لمنع سقوط هذه النقطة، لكن يستطيع التنظيم استثمار نقطتين لاستنزاف قوات النظام في المرحلة التالية، هما الأسلحة الثقيلة التي استولى عليها مؤخراً، حيث يمكن في حال رميها بعيداً أن تطال كل مناطق سيطرته، كما يستطيع إدامة العملية من خلال الاشتباك القريب والالتصاق بقوات النظام للحد من فاعلية الطيران. أما النظام وحلفاؤه فليس أمامهم سوى محاولة عزل الطلائع المتقدمة عن قواعدها الخلفية بالقصف الجوي، وعبر سياسة الأرض المحروقة، أو القيام بإنزال جوي في المناطق الصحراوية الشاسعة الخالية من أي وجود عسكري فعلي للتنظيم، والقيام بمناورات من هناك لفك الحصار أو تخفيفه بإشغال قوات التنظيم.

النتيجة المباشرة التي يمكن استخلاصها من هذه المعركة سواء تمكن التنظيم من حسمها أم تماسك النظام وحافظ على وجوده، هو أن جيش النظام يترنح وغير قادر على الصمود، ولولا الدعم اليومي والتغذية الإسعافية له من مصادر عدة، لسقط من تلقاء نفسه، أما الدعم الجوي الروسي، فهو عدا عن كونه لا يحفل بمحاربة «داعش»، فإنه لن يحدث فرقاً ميدانياً كبيراً حتى لو قرّرت قيادته فعل ذلك، فالعمليات الإنقاذية للطيران الروسي في محيط دير الزور لم ينجم عنها سوى عشرات الضحايا من المدنيين، بينما نجح التنظيم بإخراج الأسلحة من مستودعات عياش، وأكد ذلك في إصدار مصوّر، واستطاع استقدام تعزيزات كبيرة، منها كتيبة البتّار المعروفة، والتي شوهد عناصرها وهم ينتقلون من الرقة إلى منطقة الاشتباكات غرب دير الزور، بل إن قوات النظام كانت ستهرب من المدينة فيما لو توافر لها أي سبيل للنجاة، لكن وقوعهم في عمق مناطق «داعش» أجبرهم على الثبات والدفاع عن أنفسهم إلى آخر لحظة.

ويبقى الخطر المحدق بالمدنيين هو أسوأ ما في تلك المعركة، إذ يقال إن التنظيم أعدم العشرات منهم بتهمة التعاون مع النظام بعد سيطرته على البغيلية، بينما قصف الأخير مناطق سيطرة «داعش» مخلّفاً عشرات الضحايا المدنيين، وخلّفت الغارات الروسية حتى الآن نحو أربعين قتيلاً، معظمهم عائلات كاملة قضت في بيوتها، ويلوح في الأفق احتمال استخدام قوات النظام الأسلحة الكيماوية فيما لو ضيّق عليها أكثر، ويقول نشطاء أنه سبق أن استخدمها على نطاق محدود في معارك المطار العسكري، ولن يتورّع بطبيعة الحال عن استخدامها على نطاق واسع ونسب هذه الجريمة إلى «داعش»، بخاصة أنه تم التمهيد لذلك من النظام وروسيا بالحديث أكثر من مرة عن امتلاك «داعش» أسلحة كيماوية.

مثال:

«سوريتنا»

**الشرطة الحرة في حلب: صعوبات ونجاحات والتحدي مستمر**

منصور حسين

تتولى الشرطة الحرة في حلب مهمة حماية المدنيين وممتلكاتهم، وتسيير الدوريات لضبط الأمن ومراقبة المحالّ التجارية والمنازل من أجل حمايتها من السطو، كما تم الاتفاق مع معظم الفصائل العسكرية على أخذ جهاز الشرطة دورها بشكل كامل في تطبيق القانون على الجميع، بمن فيهم العسكريون.
لكن إلى أي حدٍّ نجحت تجربة الشرطة الحرة في القيام بهذا الدور؟، وما هي أبرز الصعوبات التي تواجه عملها؟، وما هي أهم احتياجاتها؟

مهام وأعمال
أبو رحمو رئيس قسم الشرطة في حيي سيف الدولة والإذاعة، يتحدَّث عن عمل الشرطة، خاصة بعد انضمام الجهاز إلى مجلس القضاء الأعلى مؤخراً، ودورها في المجلس، فيقول: "يبلغ عدد عناصر الشرطة الحرة في حلب ما يقارب ٣٠٠ عنصر، بينهم عدد من ضباط وصف ضباط وعناصر شرطة المنشقين عن النظام".
وتقوم الشرطة الحرة وفق المصدر بحماية المدنيين وممتلكاتهم من السرقة، بعد هجر معظم العائلات منازلها بسبب القصف، كما تقوم بتسيير الدوريات وفضِّ التجمعات المدنية في حال وجود أي قصف للمراكز المدنية، إضافة إلى نشر الحواجز في حال وجود أي اشتباك من أجل تحذير المدنيين وعدم تعرضهم للخطر، وكذلك في حالات القصف التي تتطلب إيقاف السير كي تتمكن سيارات الإسعاف والدفاع المدني من الوصول بسرعة أكبر.

وأضاف أبو رحمو "وحَّدْنا جهودنا مع الفصائل العسكرية ذات السمعة الحسنة في حلب، من أجل ضبط الأمن بشكل أكبر وأفضل، وبعد أن تم توحيد المحاكم القضائية في المحافظة تحت مسمى مجلس القضاء الأعلى، قمنا بتنظيم المهام وتحويل جميع المتهمين والأسرى الذين تم إلقاء القبض عليهم إلى القضاء من خلال الشرطة الحرة، كما نقوم بحماية المباني العامة، والمحاكم التابعة للمجلس، وفرز عناصر ودوريات تكون مستعدة لأي طارئ قد تواجهه هذه المحاكم".

مع ذلك هناك بعض الصعوبات والاحتياجات التي يجب توفيرها، وفق رئيس قسم سيف الدولة والإذاعة حيث "هناك بعض الأقسام في الأحياء الشرقية التي لم يفعّل دورها بعد، بسبب هيمنة الفصائل العسكرية بشكل كلي على هذه المناطق، وفي بعض الأحياء التي ما تزال الشرطة في نظرهم ذلك الجهاز الذي يثير الرعب، كما كان إبان سيطرة النظام على المدينة، كما إننا نواجه صعوبة في تأمين مستلزمات الأقسام، والحاجة إلى زي رسمي، وأيضاً مستلزمات الشرطة من سيارات وسلاح وغيرها من المتطلبات التي يفرضها الواقع الذي نعيش فيه داخل حلب".

## نجاح وملاحظات

يمكن أن نلمس الاستحسان الذي يلاقيه عمل الشرطة الحرة بين المدنيين والناشطين، الذين يرون أن هذه المؤسسة يجب أن تأخذ دورها بشكل كامل بعد النجاح الذي حققته في المناطق المحررة. أبو رضوان صاحب محل لبيع الخضروات في حي الزبدية يبدي رأيه في عمل الشرطة الحرة ويقول: "للأمانة نشاهد دوريات الشرطة على مدار الساعة، يقومون بحماية الممتلكات والمنازل التي تركها أصحابها، حتى إننا نشاهدهم أثناء القصف يحاولون إبعاد المدنيين عن الموقع المستهدف خوفاً من معاودة القصف، خاصة أنَّ معظم شوارعنا مكشوفة لقناصة النظام، كما أنهم أثبتوا أنفسهم في كثير من الحالات، وخاصة عمليات السطو التي تقع أحياناً".

لكنَّ أبا عمرَ، وهو أحد سكان حي سيف الدولة، يبدي، رغم تأكيده على الدور الجيد الذي يقوم به قسم الشرطة الحرة في الحي، العديد من الملاحظات على هذا العمل، وخاصة لجهة "القصور في القيام بالدور الكامل المفترض للشرطة أن تقوم به، ما يؤدي إلى استمرار لجوء العديد من الأهالي إلى الفصائل العسكرية".

ورغم تفهم أبي عمرَ أنَّ هذه الحالة ناتجة عن حضور العسكر القوي في المناطق المحررة خلال الفترة السابقة، إلا أنه يعتقد أنَّ "على الشرطة الحرة أن تبذلَ جهوداً أكبر لفرض نفسها حتى على العسكريين أنفسهم، وعدم التساهل في ترك ملفات مدنية تعالج لديهم".

## العنصر النسائي

بعد أن أصبح جهاز الشرطة مُعتمَداً بقوة في معظم المناطق المحررة، بات من الضروري وجود العنصر النسائي للمساعدة في عمليات تفتيش النساء والقيام ببعض عمليات المداهمة للمنازل المشبوهة، إضافة إلى اعتماد العنصر النسائي في التحقيق مع النساء المشتبه في تعاملهن مع النظام وتنظيم الدولة الإسلامية بعد كثرة وجود هذه الحالات في المناطق المحررة.

السيدة حميدة المسؤولة عن قسم التحقيق النسائي المؤسس حديثاً في الشرطة الحرة تشرح طبيعة عملها في جهاز الشرطة بالقول: "طبيعة مجتمعنا تفرض وجود العنصر النسائي في هذا المجال، فللمرأة الحقُّ بأن يتم استجوابها من قبل امرأة، ولها الحقُّ أيضاً بألا يتم اقتحام مكان إقامتِها من قبل الرجال مهما كانت الأسباب، وهو الأمر الذي دفع بعض النساء التي تمتلك خبرة جنائية، ومنهن النساء المنشقات عن سلك شرطة النظام، إلى تشكيل مفرزة نسائية مدربة من أجل مساعدة رجال الشرطة على بسط الأمن الذي يمكن أن يكون مهدَّداً من قبل النساء أكثر من الرجال، حيث يستغل من يريد خلق المشاكل أو القيام بعمليات مخالفة، حالة التهاون في تفتيش، أو ملاحقة، أو استجواب النساء من قبل الرجال، وقد حصلت الكثير من العمليات المضرة التي نفذت على يد سيدات، الأمر الذي استدعى وجود العنصر النسائي في قسم الشرطة".

جهاز الشرطة الذي شكل على أسس قوية بقيادة ضباط وصف ضباط منشقين عن شرطة النظام، وضمَّ مدنيين أيضاً تمَّ تدريبهم، وبعد تعرض هذا الجهاز للكثير من الهزات، ومواجهته العديد من الصعوبات، يحاول اليوم الاستفادة من تماسكه واستمراره رغم هذه الهزات والمعاناة، للقيام بدوره الكامل، وهو أمرٌ ليس من السهولة بمكان، لكنَّ الإصرار على تحقيق النجاح، يعني قطع أكثر من نصف الطريق إلى ذلك.

أنشئ أول مركز للشرطة الحرة في المناطق الخارجة عن سيطرة النظام بحلب مطلع عام ٢٠١٣ في حي سيف الدولة، ليتم بعدها بفترة قصيرة الإعلان بشكل رسمي عن مؤسسة الشرطة الحرة في محافظة حلب.

مثال:

«أريج / العربي الجديد»

**الحرب السورية تدمّر «المدن المنسية»**

علي الإبراهيم، فراس فياض

لم تتوقع الطفلة الشقراء، مرح، انتقال مسرح أحلامها المستقبلية وملاعب طفولتها، بعدما هُدم منزلها نتيجة النزاع الدائر في سورية، إلى مواقع أثرية مبنية بالحجر في شمال البلاد.
تتقافز الطفلة ذات العشر سنوات مع أقرانها فوق ثلاثة توابيت حجرية أثرية داخل مدفن روماني ضخم منحوت داخل حجارة المنطقة.
شكل التوابيت مخروطي وتعود لإحدى الأسر الثرية في تلك الحقبة. لكنها بدون رقيب الآن ومهددة بالاندثار، مذ باتت مأوى آمن لخمس وستين عائلة سورية لجأت إليها هرباً من نيران المعارك المشتعلة في بلادهم منذ أربع سنوات.

تعيش مرح، الطفلة النابضة بالحياة، ضمن قصر أثري ذي تصميم روماني أعادت أسرتها تأهيله ليتناسب مع متطلبات السكن في هذه المناطق الشامخة منذ القرن الثاني الميلادي. وهي من أهم الآثار في العالم، بحسب المؤرخ والعالم الفرنسي جورج تات، المدير السابق للبعثة الأثرية الفرنسية في سورية (بين منتصف التسعينيات إلى منتصف العقد الماضي).

أقدمت الأسرة النازحة على تقطيع الموقع إلى أكثر من غرفة وبناء جدران إسمنتية داخل القصر حتى يتلاءم مع عدد أفرادها. وفُتحت نوافذ وأبواب جديدة، ما أدى إلى تغيير شبه كامل لمعالم المكان في بلدة سرجيلا، وهي جزء من سلسلة البلدات الأثرية التي يطلق عليها اسم "المدن المنسية".

معظم القاطنين في هذه المدينة التاريخية أحدثوا تغييرات في شكل الأبنية، من إزاحة أحجار أثرية داخل الأبنية، وصولاً إلى طلاء إسمنتي للجدران. وهكذا تحولت آثار البارة وسرجيلا وغيرها ضمن سلسلة من ٤٠ قرية إلى مخيم إيواء ارتجالي لعشرات النازحين، حسبما وثّق معدا التحقيق في سلسلة جولات ميدانية في المنطقة.
وتضررت معظم نفائس هذه القرى التي تضم خمس كنائس عتيقة، وسبعة عشر قصراً ونحو مئة منزل أثري

سرجيلا
في سرجيلا، أحدث السكان الجدد تغييرات في ملامح الحمامات الملكية والكنيسة الأولى، بما في ذلك تشييد جدار إسمنتي داخل البناء الاثري وتقسيم الباحات الواسعة إلى غرف صغيرة تعلوها شوادر للحماية من الأمطار وحرارة الصيف. معظم الموائل العتيقة والقصور الأثرية غير مسقوفة.
ورصد معدا التحقيق عملية تدمير وتجريف خمسة أبنية أثرية تقع ضمن أراضٍ زراعية قريبة من المنطقة، بشكل شبه كامل.

ولم يكتفِ القادمون الجدد بتأهيل مساكن تناسب احتياجاتهم، بل ذهب بعضهم إلى تحويل حمامات رومانية تتميّز بها هذه القرى الأثرية التي تخفي أسراراً وحكايات خمسة قرون إلى أماكن تتناسب مع مشاريع تجارية على أنقاض هذا الإرث الإنساني، بدءاً بتركيب صالونات حلاقة مروراً بدكاكين وانتهاءً بالمقاهي.

بعيداً عن أي رقابة رسمية أو حل بديل لسكن هؤلاء، ينهمك القاطنون الجدد بتجهيز موائل لفترات طويلة المدى.

هذه التعديات غيّرت ملامح المدن الأثرية بما في ذلك معابد، كنائس وأحواض وحمامات عمومية وبقايا أديرة ومقابر، وذلك بعد أن صمدت في وجه الحروب والزلازل خلال الفترتين الرومانية والبيزنطية بين القرنين الثاني والسابع بعد الميلاد. كوّنت الأسر النازحة مجتمعاً جديداً مؤقتاً، أُجبرت عليه بسبب الحرب التي لا ترحم، لكن على حساب إرث سورية الحضاري وذاكرة التاريخ.

ثمّة عائلات أقدمت على تقسيم قصور أثرية إلى غرف ومنافع متعددة. فالقصر الأول في منطقة سرجيلا، والذي يتميّز بصالونه الكبير، تعرّض للتقسيم إلى صالون ضيافة وعدة غرف بما يناسب عدد أفراد العائلة القاطنة، وفق رب الأسرة أبو سالم. وشيّدت عائلة أخرى غرفاً جديدة من الإسمنت داخل المواقع الأثرية وطلت جدرانها الحجرية بالطين.

ولم تسلم جدران الكنيسة الآرامية المتميزة بهيكلها الكامل في منطقة سرجيلا من الطلاء المنفّر.

تقطن هذه الكنيسة بقايا عائلة كان عائلها وابنته الصغرى قتلا بصاروخ قذفته مقاتلة تابعة لقوات النظام السوري. تلك المأساة دفعت مَن بقي على قيد الحياة منها للنزوح إلى هذه المناطق وتأهيل ما يمكن للسكن، حسبما تقول أم مرهف.

وتضيف هذه الخمسينية التي تقطن الكنيسة مع من تبقى من عائلتها: "وضعنا الطين لصد دخول الهواء لهذه الأبنية التي نعيش بداخلها، كونه لا يوجد لدينا خيار ثان. نحن لا نستطيع العودة لبيوتنا المهدمة بسبب قصف الطيران".

شملت التعديلات غير المسبوقة فتح أبواب جديدة وإغلاق أبواب كانت قائمة، لكي تتلاءم مع احتياجات العائلات السكنية، حسبما لاحظ معدا التحقيق. إذ أقدمت عائلة بديع عبود على فتح باب بالواجهة الأمامية للبيت الأثري من طرف الطريق العام في منطقة (شينشراح)، بحسب أحد أفرادها. هذا التعدي أدى إلى تغيير معالم البيت الأثري.

البارة... تكسير وتجارة

في بلدة البارة الأثرية، أقدم قاطنون على تكسير المدفن الملكي بهدف بيع قطعه الأثرية. يتميّز هذا المدفن بجمالية وزخرفة فريدة، وهو من أهم المدافن الملكية في العالم، بحسب تشخيص عالم الآثار الفرنسي جورج تات في مجموعة دراسات قدمها لجامعة باريس، الأولى تحت عنوان: "القرى المنسية في شمال سورية".

وتستخدم حجارة هذه المواقع في بناء ملحقات إسمنتية، بحسب ما ورد في دراسات هذا الأستاذ المتخصص في تاريخ سورية والعصر البيزنطي. ووثّق أيضاً المناطق المستباحة، ومنها المدفن الملكي، باعتباره طرازاً معمارياً فريداً حافظ على شكله ومحتوياته منذ القدم.

إلى ذلك، رصد معدا التحقيق تكسير ثلاثة قبور ضمن الهرم الملكي بشكل كامل.

المجلس البلدي الثوري
ممدوح النصوح، رئيس المجلس المحلي لبلدة البارة التابع للحكومة السورية المؤقتة، يقول لـ"العربي الجديد": "إن البلدية رصدت عدة انتهاكات للمناطق الأثرية في بلدة البارة، وسرجيلا"، التابعة إدارياً لبلدة البارة. تتنوع التعديات بين تعرّض الآثار لقصف قوات النظام السوري وإنشاء مخيم للنازحين ضمن آثار سرجيلا، ما شوّه الجدران وأدخل إلى الأبنية العتيقة (شوادر) وإنشاءات من الطين. "ولدى مراجعة هؤلاء النازحين، أخبرونا أنه لا يوجد لديهم سكن بديل عن بيوتهم التي دمرت نتيجة القصف المباشر"، بحسب ما يقول النصوح، قي مقابلة مع معدي التحقيق.

أقدمت عائلات على تكسير عدد من الحجارة الضخمة في المنطقة القريبة من سرجيلا، وتجريف الأراضي في محاولة لاستصلاحها، بعد تحطيم الأبنية ضمن أراضٍ زراعية تبعد عن البلدات الأثرية نحو كيلومترين، في محاولة للبقاء على قيد الحياة.

شينشراح
في موقع شينشراح الأثري، رصد معدا التحقيق تغييراً في ملامح الموقع من خلال عمليات رصف طرق ضمن المنطقة الأثرية بهدف وصل مخيمات النازحين، حيث يقدم القاطنون الجدد على تكسير عدد كبير من الحجارة لشق الطرقات.

وأقدم صائدو نفائس على تقطيع حجارة ضخمة تتشكل منها البيوت الأثرية إلى حجارة صغيرة ثم بيعها بدون رقيب أو حسيب.

في مارس/ آذار ٢٠١٣، اضطرت منظمة اليونسيكو لإدراج هذه المدن إلى جانب خمسة مواقع أثرية داخل سورية: في حلب، دمشق، بصرى، تدمر وقلعة صلاح الدين ضمن لائحة المناطق الأثرية المهددة بالزوال. وجاء ذلك القرار بعد عامين على تصنيفها ضمن المعالم الثقافية على لوائح اليونيسكو للتراث العالمي.

رامي دياب، شاب ثلاثيني يعيش مع أفراد عائلته في بيت أثري بعد أن دمّر منزله في حي السلام ببلدة كفرومة القريبة من معرة النعمان/ ريف إدلب بفعل قصف طيران النظام السوري. أقدم رامي على تقسيم قصرأثري يعود للحقبة البيزنطية يطلق عليه (قصر الدير)، وهو يتميّز بجمالية طرازه المعماري واحتفاظه بهيكله كاملاً، بحسب أحد المخطوطات القديمة. يقول رامي إنه أحال هذا القصر إلى مقهى بعد أن وضع به طاولات وكراسٍ بلاستيكية ليوفر "ملاذاً للشباب".
يزيد الطين بلّة أن عمليات الطهي وتسخين المياه باستخدام الفحم والحطب تتم ضمن المباني الأثرية أو بجانبها، ما يتسبب في تشققات وتشويه لهذه المباني. إذ رصد معدا التحقيق تفسخات في عدد من الجدران بسبب إشعال النيران بجانب الحجارة المبنية منها هذه البيوت والقصور الأثرية في المنطقة.

جميع القاطنين في المناطق المسجلة ضمن لائحة التراث العالمي لا يملكون مجارٍ للصرف الصحي ومياه شرب صالحة للاستخدام المنزلي أو للاستحمام وغسل الأواني والملابس، بل يسحبون مياهاً جوفية من الآبار الرومانية الصخرية المنتشرة في هذه المناطق، ما يعرّضهم والأبنية الأثرية لمخاطر عدّة، بما في ذلك تفسخات في الأبنية وتسريب مواد سميّة لداخل الآبار.
الخبير في سميّة المياه والمياه الجوفية، الأستاذ فادي العبد (من منطقة معرة النعمان)، يقول في مقابلة أجراها معه معدا التحقيق، شمال سورية قرب المناطق الأثرية، إن "الصرف الصحي يحتوي على مواد سامة، مثل كبريتات ونترات كلوريدات، وعندما تتغلغل في التربة تتطلّب فترة زمنية طويلة حتى تفقد سميتها".
ويشرح العبد ـ الذي يحمل ماجستير في الكيمياء التحليلية من جامعة حلب ـ المشكلة قائلاً، في تصريحات خاصة لـ"العربي الجديد": "تسرّب مياه الصرف داخل التربة في هذه المنطقة التي تحتوي على آبار جوفية ومياه سطحية يستخدمها الناس للشرب، قد يؤدي لأخطار وأمراض غير قادرين على مقاومتها في الوقت الراهن". كذلك "تسبب تفسخات وتشوّهات للحجارة المبنية عليها هذه المناطق الأثرية".

يلجأ الأهالي لتجميع المياه ضمن آبار نظراً لكثافة النازحين، ما يؤدي لزيادة الرطوبة النسبية، وبالتالي يصعد منسوب المياه الجوفية إلى التربة المتموضعة عليها الآثار، ولا سيما أن "الدراسات التي أجريت في المنطقة تدل على وجود المياه في هذه المناطق على مسافات منخفضة تصل لحد العشرين متراً تقريباً"، حسبما يضيف.

قسم آخر ترك استخدام هذه المياه الجوفية وشرع في حفر الأرض لمد أنابيب تخدم كل منزل موصولة بخزانات لتتحول إلى شبكة مياه بدائية تخدم هذا المجتمع الجديد. الحفر أثّر على الاثار وغيّر ملامحها.
في غياب البدائل، لا إمكانيات لدى المجلس البلدي لمنع النازحين من الإقامة هناك أو تشويه الآثار أو القيام بعمليات فردية لتكسير المدافن والتيجان الأثرية. "ليس لدينا أي قوة أو لجان مختصة للمراقبة ومنعهم من القيام بذلك"، وفق ما يشتكي النصوح، رئيس مجلس بدلي البارة وسرجيلا.

الأستاذ السابق في كلية الآثار بجامعة حلب، وليد سلوم، يقطن بجوار هذه القرى، وهو يصر على أن "إشعال النيران داخل هذه المناطق أو بجانبها تسبب في تغيّر كبير في التراث الحضاري. فالقيمة التاريخية للبناء الأثري تتمثل في شكل البناء والطراز المعماري في تلك الحقبة، ومن الممكن أن تتسبب هذه النيران في تغيّر وطمس هذه المعالم الأثرية".

مسؤولية الحكومة السورية المؤقتة

تقول د. تغريد الحجلي، وزيرة الثقافة في الحكومة السورية المؤقتة، إن الحرب وعدم القدرة على توفير حماية دولية هي السبب الرئيس وراء تدمير التراث الثقافي والإرث التاريخي والمتاحف التي أفرغت بالكامل. وتضيف الحجلي: "هناك مناطق كاملة مهددة بخطر الزوال والسقوط، مثل الأعمدة الموجودة في مدينة تدمر التاريخية. فهي مهددة بالهدم، إضافة لعمليات النبش غير الشرعي في أكثر من ١٥ ألف موقع أثري".

وتؤكد وزيرة الثقافة في الحكومة المؤقتة، في مقابلة مع "العربي الجديد"، أن "الآثار السورية هي ملك للجميع وهي تاريخ سورية، وليس لها أي علاقة بالسياسة أو العسكرة. فيجب علينا الحفاظ على هذه الابنية لأن التاريخ لن يرحمنا".

في زمن الحروب تعود مسؤولية حماية الآثار إلى السلطة الموجودة على أرض الواقع. وفي حال المدن التراثية فإنها تقع اليوم تحت سلطة مشتركة بين تنظيم جبهة النصرة وعدد من الفصائل المعارضة للنظام السوري.

مواجهة مع المحكمة الشرعية لجبهة النصرة

واجه معدا التحقيق المحكمة الشرعية في جبل الزاوية، المسؤولة عن إدارة هذه المناطق تحت سيطرة النصرة وفصائل أخرى، بالحقائق التي جمعاها على مدى ثلاثة أشهر.

وردَّ عبد المنعم زين الدين، المسؤول عن المكتب الأمني في المحكمة، بالقول: "عندما يتم رصد أي اعتداء يتم تنبيه الأهالي بعدم تكرار الأمر. لكن لا يمكننا التواجد بشكل مستمر في هذه المناطق، بل نقوم قدر المستطاع بمنع الأهالي من التخريب".

ومضى إلى القول: "هناك فكرة لتوعية الناس بأهمية هذه المناطق وضرورة الحفاظ عليها، فهي تراث بلدنا، لكن الحرب تفرض على الجميع التجاوزات". لكنه يستبعد حل هذه المشكلة إلا من خلال "عودة الأهالي لقراهم. وهذا لن يتحقق بدون سقوط النظام وأركانه".

اليونسكو: التأثير الأكبر من الحرب

تقول ندى الحسن، مسؤولة الدول العربية في منظمة اليونيسكو والمقيمة في باريس، في مقابلة عبر (سكايب)، إن البارة كانت أول موقع تضرر بعد مارس/ آذار ٢٠١١ - تاريخ اندلاع الثورة السورية - بسبب التكسير والتخريب واجتياح دبابات النظام لتلك المناطق. وأوضحت أن وجود سكان بين هذه الآثار، المفترض أن تكون آمنة، يعرّضها للقصف.

وهناك مشكلة أخرى تتمثل بالتشويه، بحسب الحسن: "فعندما يسكن الأهالي هذه المناطق ويبنوا حمامات ومطابخ، سيكون لذلك تأثير على هذه الآثار. لكن التأثير الأكبر يأتي من الحرب

على هذه المناطق وليس الناس". وبينما تؤكد أن اليونيسكو على تواصل مع جميع فرق النزاع في سورية لتحييد هذه المناطق، تقول الحسن إنها تدرك صعوبة التواصل مع أطراف مثل جبهة النصرة أو إرسال فرق إلى مناطق خارج سيطرة النظام، لمواجهة التحدي.

حاولت اليونيسكو تنظيم ورشة تدريب ـ من خلال مكتبها في بيروت ـ لتأهيل متخصصين وفنيين على حماية المواقع التي تضررت والمتاحف والمناطق الأثرية، ولكن لم يتمكن سكان شمال سورية من السفر لبيروت لأسباب أمنية.

وتفيد الحسن بأن اليونيسكو تدرس "إمكانية تفعيل المجتمع المدني والأشخاص والهيئات في المناطق الخارجة عن سيطرة النظام للمشاركة والعمل معهم في حماية هذه الآثار".

وتقول: "نحن مهتمون بحماية هذه المناطق. وبحسب اتفاقية لاهاي والقوانين الخاصة بهذا الموضوع، فإنها تخوّلنا العمل مع كل الأطراف المتنازعة لحماية هذه المناطق".

من الصعب تقدير أكلاف إعادة ترميم آثار المدن الشمالية بموجب خطة، بسبب تعذّر زيارة خبراء للمنطقة لغرض حصر الأضرار وتقييم الأكلاف. ولكن الحسن تشتكي من أن "بعض الأشياء لا يمكن ترميمها، خاصة عندما تكون متضررة من قصف أو تكسير أو يكون هناك شيء متعمّد".

"كمّ الدمار الحاصل في سورية يقارن بالحرب العالمية الثانية، وخصوصاً دمار حلب وحمص وإدلب"، وفق تقييم الحسن، "وإذا أردت ترميم منطقة أثرية، كالبارة، فهي بحاجة لأموال ضخمة إضافة لمتخصصين وعلماء آثار وخبراء ومرممين. فالعمل دقيق جداً".

مناطق آمنة تطرحها اليونيسكو

تأمل اليونيسكو في أن يتم التعامل مع تراث سورية وآثارها من خلال ثلاثة محاور: اقتراح قُدم لبعثة السيد دي مستورا، المبعوث الأممي الخاص لسورية وفريقه كمدخل لتحييد هذه المناطق عن الصراع، كذلك التواصل مع فنيين وتدريبهم على حماية الأماكن وصيانتها. والمحور الثالث طرحته رئيس اليونيسكو حين طلبت من الأمم المتحدة توعية الدول الأعضاء بأهمية الحفاظ على التراث.

البشر أهم من الحجر

ثلاث سنوات كانت كفيلة باستباحة هذه القرى الأثرية وتحويلها مستقراً للنازحين، حيث يقول أحد النازحين إن البشر يبقى أهم من الحجر. البيانات التي جمعها معدا التحقيق تؤشر إلى أن

الأيام القادمة قد تحمل المزيد من الانتهاكات والتشويه ما لم تسارع الأطراف المعنية كافة للعمل باتجاه منع اندثار هذا الكنز، في ظل غياب المنظمات الدولية والمحلية وعدم القيام بواجباتها الخاصة بحماية هذه المناطق.

في الأثناء، يستمر تشويه وتكسير وانتهاك هذه المواقع الأثرية. وليس ما يحدث في البارة أو سرجيلا سوى شاهد على ذلك.

# أنسنة الإعلام

طفل
!.....

قتيل
٨٠....

١٢٥....

نازح
١٥٠...

شهيد
٢٠..

جريح
١٠.

## أنسنة الاعلام:

تحويل خبر القتلى والمخطوفين والمعتقلين واللاجئين من مجرد أرقام مجهولي الهوية، إلى قصص وحكايات:

في الحروب والأزمات والثورات، تتصدر الأخبار الميدانية والمجريات وسائلَ الإعلام، بينما تهمَّش القصص الإنسانية، ويتحول الأشخاص إلى أرقام (قتلى– مُعتقلون – ضحايا– جثث..)، ما ينفي عن الأحداث واقعها الإنساني، «لجان التنسيق المحلية: مع انتهاء يوم الخميس استطاعت لجان التنسيق توثيق ثمانية وثلاثين شهيداً في سوريا بينهم ثلاثة أطفال، وسيدتين».

ضحايا الحروب ليسوا سوى أحداث عابرة بالنسبة لبعض وسائل الإعلام التي تهتم بالحرب القائمة والصراعات المتجددة، أكثر من نتائجها أو تداعياتها وسلبياتها على المجتمع، فيكون حق الإنسان مُنتَهَكاً مرتين، المرة الأولى عندما بقي تحت رحمة القذائف والصواريخ، والمرة الثانية عندما تجاهلته الصحافة.

تعتمد أنسنة الإعلام على تحويل الأحداث من أرقام ومعلومات مجردة إلى قصص وحكايات لأشخاص من لحم ودم، الدخول من الخاص إلى العام، أي أن تغطية الحدث تبدأ من الفرد، لا من الصورة العامة التي تنقلها وسائل الإعلام ومنه إلى الأجزاء الأخرى.

إن الدعوة لإعادة النظر في طريقة عرض الأخبار باستخدام الشخصية ليست مجرد دعوة لتطوير فنون الصحافة، بل لإعادة النظر لما يجري حولنا ببعد إنساني، وصياغة شكل معياري يمكن من الاحتكام له بشكل محايد وموضوعي، ما يتطلب منك جهداً مضاعفاً في استكشاف الشخصيات، ومتابعة تداعيات الحدث عليهم.

مثال:

الخبر.. أحرق جيش النظام السوري اليوم ثلاثة مدنيين في معضمية الشام بريف دمشق.
الخبر.. بثَّ تنظيم الدولة الإسلامية اليوم شريط فيديو لإعدام الطيار الأردني معاذ الكساسبة الأسير لديه حرقاً داخل قفص حديدي.

يشترك كل من الخبرين بعناصر كثيرة؛ الموت، القتل، الحرق، بل إن الأول يحمل في متنه خبر مقتل ثلاثة من المدنيين حسب الوصف، والذي من المفترض أن يعطيه وقعاً أكثر ثقلاً على المتلقي من الخبر الثاني، إلا أن ذلك لم يحدث.

لم يستطع الخبر الأول أن يجذب المتلقي المعتاد على تعرضه لأخبار مقتل المدنيين في سوريا من قبل النظام السوري.. إنه خبر تتألف عناصره من قواعد مكررة، جامدة إلى حد ما، ومقتضبة، على عكس خبر إحراق الكساسبة، الذي أحيط بحملة إعلامية واسعة، محملة بقصة إنسان، له اسم علم، وعائلة، وحكاية، ما جعل المتلقي ينتقل من الخبر الذي سمع عنه إلى الخبر الذي يراه.

وعلى الرغم من أن تغييب أسماء الأشخاص الثلاثة وهويتهم الفردية لا ينفي فداحة مقتلهم، إلا أن ذلك لم يعد كافياً في زمن الموت اليومي لاستقطاب الملتقي وإثارة اهتمامه.
لنحاول كتابة الخبر مجدداً:

أحرق الجيش السوري صباح اليوم الأم الثلاثينية مها هاشم وطفليها محمد البالغ من العمر خمسة أعوام ، وفرح التي تبلغ من العمر سبع سنواتٍ حتى الموت، بعد تقييدهم داخل منزلهم في معضمية الشام بريف دمشق، أثناء اقتحام البلدة.
وكانت قوات النظام اعتقلت زوج مها في حملة اعتقالات ومداهمة شنتها العام الماضي.

مثال:

العربية نت – كشف فريق من المحققين بجرائم الحرب، وخبراء الطب الشرعي عمّا أسموها «أدلة مباشرة» لعمليات «التعذيب التي يقوم بها نظام الأسد، وذلك من خلال ٥٠ ألف صورة مروعة لجثث معتقلين لدى النظام السوري مورس عليهم أشد أنواع التعذيب، سربها منشق عن الشرطة العسكرية كان مسؤولاً عن تصوير وتوثيق تلك الجثث وترقيمها، ونشرتها شبكة الـCNN.

أثبتت جميع الفحوصات التي أجريت على ٢٦ ألفاً، من أصل ٥٠ ألف صورة، أنها كانت حقيقية، ولم يجر عليها أي تعديل، وأظهرت الوثائق بعد التدقيق، أن الضحايا في الصور، تعرضوا للتعذيب الممنهج، وهم مقيدو الأيدي والأرجل، مع وجود حالات خنق متعمد، بواسطة أسلاك أو حبال. وقدرت اللجنة عدد الأشخاص الذين لقوا حتفهم، وتم توثيقهم في ٥٥ ألف صورة ملتقطة، بقرابة الـ ١١ ألف شخص.

الجزيرة نت – كشف فريق من المحققين الدوليين في جرائم الحرب وخبراء الطب الشرعي عما سموها أدلة مباشرة لعمليات التعذيب والقتل الممهنج التي يقوم بها نظام الرئيس السوري بشار الأسد، ورأوا أنها تشكل أدلة دامغة لإدانة النظام بارتكاب جرائم حرب وجرائم ضد الإنسانية. وقال فريق المحققين إنه تلقى صورا بلغ عددها نحو ٥٥ ألف صورة لـ١١ ألف ضحية لعملية تعذيب وقتل ممنهج.

وأشاروا في تقريرهم إلى أن مصدر الصور ضابط شرطة سوري يعمل في توثيق قتلى التعذيب سلّم هذه الصور إلى المعارضة السورية.

تعاملت وسائل الاعلام مع صور جثث المعتقلين على أنها أرقام وصور، وعلى ذلك أطلق ناشطون حملة على وسائل التواصل الاجتماعي «السوريون ليسوا أرقاماً»، في محاكاة للصور المسربة من السجون السورية، والتي تظهر مئات الجثث التي تعرضت للتعذيب والتجويع، وقد ألصق على جبهة كل منها رقماً، انطلقت حملة «السوريون ليسوا أرقاما» بصور لناشطين سوريين وعرب ألصقوا أرقاماً على جباههم للتضامن مع ضحايا التعذيب بسوريا.

في هذا الخبر، لدينا ٥٥ ألف صورة لـ ١١ معتقل، أي ١١ ألف إنسان، ١١ ألف قصة وحكاية، ١١ ألف خبر عن ١١ ألف شخص، من خلال كل منها يمكننا إلقاء الضوء على الانتهاكات التي يقوم بها النظام السوري.

تعرف الشاب حمزة على إحدى الجثث الموجودة في الصور المسربة، فروى قصته لـ«زمان الوصل»، قصة الفتاة «٢٩٥٣». شقيقته رحاب العلاوي، تحدث عن حياتها، اعتقالها عام ٢٠١٣ من قبل قوات النظام السوري، وإلى تلك اللحظة التي رأى فيها جثتها قابعةً بين جثث كثيرة، لمعتقلين مدنيين قتلوا جراء التعذيب في السجون السورية.

ما إن توضع القصة الإنسانية «كقصة رحاب العلاوي» في سياق سردي مناسب، متضمن للحدث العام، مدعماً بالأرقام، والإحصائيات والأدلة، ستخرج وسائل الإعلام نفسها من الإفراط في التعميم أثناء نقلها لأحداث القضايا الكبرى، وتترك أثراً أكثر قوة وديمومة عند المتلقي.

اعتقل النظام السوري مئات الآلاف من المواطنين السوريين منذ بداية الحراك الشعبي في سوريا، في البداية كنا نلحظ ردود فعل جماهيرية وإعلامية كبيرة جراء خبر اعتقال أحدهم، تلك التي ظهرت جليةً في وسائل التواصل الاجتماعي من صفحات تطالب بالإفراج عن المعتقل فلان، إلى حملة إعلامية تطالب بإطلاق سراحه، وبيانات ..، كما كان خبر الإفراج عن المعتقلين أمراً جللاً يتابعه الجمهور بتأهب وانفعال، لكن ردود الأفعال هذه أخذت بالتلاشي خلال العامين الأخيرين في معمعة تكرار الحدث، وتفاقم المجريات وتسارعها، في حين لعب الإعلام دوراً أساسياً عبر الانتقاء المتعمّد لبعض المشاهد والمفاهيم والكلمات والصور وتكرارها، واستبعاد غيرها، إلى أن يشعر المتلقي بأن ما تعرضه وسائل الإعلام هو ذلك الانعكاس الحقيقي للواقع المحجوب.



القصة الصحفية الإبداعية
المقارنة بين التغطيات و القصص الصحفية

## القصة الصحفية الإبداعية:

يعيش المواطن الصحفي في قلب الحدث، يرى، يسمع، يراقب، بل يمتد الأمر إلى أكثر من ذلك، كونه جزءاً من الحدث نفسه، وعلى هذا يستطيع أن يحمل المتلقي عبر الحدود الزمنية والجغرافية إلى موقع الحدث من خلال الدمج بين الكتابة الإبداعية والصحفية.

تعتمد الكتابة الصحفية على إيصال المعلومات المرتبطة بالحدث، عبر الإجابة عن الأسئلة الستة المعروفة في الصحافة (من، ماذا، أين، لماذا، متى، كيف؟)، بينما الإبداعية تتطلب استخدام أسلوب شيّق في الكتابة مثل الروايات، من حيث التركيز على المشاعر الإنسانية، ونقلها للقارئ كي يشعر أنه مكان الكاتب وليس مجرد قارئ يستمع من راوٍ، لذلك فهي تتطلب وصفًا كاملاً أو شبه كامل لظروف الحدث، وبيئته، ومكانه، وتوقيته، ما يحرّر ً القصة الصحفية من الجمود.

في المرحلة الأولى عليك أن تختار الحدث والشخصيات، وأن تحدِّد الجوانب التي تحمل الطابع التقريري في القصة، وفي المقابل تحدد أيضاً الجوانب التي تحمل الطابع القصصي في التقرير..
وبموجب ذلك يمكنك طرح مجموعة من الأسئلة أثناء القيام بالعمل:
- من سيتحوَّل إلى شخصية قصصية؟
- أين هو مكان القصة؟
- متى تمت الأحداث، وما هو التسلسل الزمني لها؟
- لماذا (ماهي الدوافع لحدوث الأفعال في القصة؟)
- كيف حدث كل شيء؟

فتصبح الأسئلة الستة بمثابة أسئلة حول قصة منبثقة أصلاً عن تقرير واقعي حقيقي دقيق.
بعد الإجابة عن الأسئلة السابقة عليك أن تستحضر الصور في رأسك، مكان ووقت الحدث، ووجوه المتواجدين، وردَّات أفعالهم...، لتقوم بعد ذلك، بكتابتها كما لو أنك تكتب مشهداً سينمائياً، لكن هذا المشهد عليه أن يكون إلى حد ما وصفاً واقعياً لما شاهدته.. أنت الآن جزء من قصتك الصحفية!.

يساهم الوصف في تنظيم هيكل قصتك، اختيار الحبكة وتوجيه دفتها، كما أنه ينقل الأحداث ويطورها، يكشف عن أبعاد الشخصية ويجلّيها، يحدد إطار القصة بزمانها ومكانها، ويعبّر عن المعاني، ويصور الانفعالات، ويرسم الخلفيات، ما يعطي النصَّ حيويةً أكبر.

تتميز مقدمة القصة الصحفية بالاختصار، والوضوح والجاذبية، وسواء كانت المقدمة وصفيّةً أم خبريةً..، عليها أن تكون الطُّعم الذي تلقيه لإثارة اهتمام القارىء، وتدخله إلى قلب مجريات القصة.

مثال:

في أحد جوامع منطقة الشيخ محي الدين، تجمّع أقرباء وأصدقاء العم للصلاة على الميت، دخل عناصر الأمن إلى الجامع وطلبوا منهم التصريح الأمني الذي يخولهم فعل ذلك، طلب أخ الميت من الحضور الانتظار ريثما يذهب لإحضار الموافقة الأمنية من فرع الأربعين، وهو «فرع مكافحة الإرهاب»، ويقع في منطقة الجسر الأبيض في وسط دمشق.

مثال:

سيطرت قوات النظام السوري مدعومة بمقاتلين من حزب الله وميليشات عراقية أمس على معلولا في ريف دمشق بشكل كامل، بعد انسحاب مقاتلي المعارضة منها. قناة «المنار» التابعة لحزب الله دخلت معلولا أيضاً، «ببركة دماء الشهداء، وعزيمة المقاتلين الأبطال».

مثال:

يحمل بندقية فوق كتفه الصغير، مرتدياً ملابس عسكرية في ذلك المكان شبه المهجور إلاّ من عناصر «لواء التوحيد» (أحد الألوية الأساسية المقاتلة في الجيش السوري الحر)، الذين يحمون ما تمّ تحريره من النظام السوري. أحمد البالغ من العمر خمسة عشر عاماً، هو واحد من مقاتلي الجبهة، القاطن على مرأى قنّاصة النظام بين المباني والشوارع المهدمة.

مثال:

علمتُ منذ أيام أن الدولة الإسلامية في العراق والشام خطفت قائد «جبهة سيف الدولة» في حلب «أبو علي»، الرجل الذي كنتُ سجّلت مقابلة معه في تموز ٢٠١٣ ولم أنشرها. أتذكّر انطباعي الأول حينها جيداً. حدّثني عن الموت باستهتار وشجاعة. شعرتُ يومها بمزيج من الإعجاب والمبالغة.. صوته العالي وكلماته الواثقة تُشبه خطواته.

قمْ بكتابة الخطوط العريضة لقصتك الصحفية، حدد النقطة المركزية، اكتب من هذه النقطة إلى ما قبلها وما بعدها. بعد ذلك اختر الحبكة، أي طريقة المعالجة الفنية التي ستستخدمها في الكتابة عن الأخبار والأحداث التي قمت باختيارها، بأسلوب مشوق، متسلسل ومترابط، لتتشابك أحداثها حتى تبلغ الذروة.

يرتبط التسلسل السردي للقصة بالمكان (أين؟) والزمن (متى؟) ارتباطاً وثيقاً، لذا عليك أن تمنحهما اهتماماً كبيراً، وأن تصور مفردات المكان، ما يساعد القارئ على استشفاف دلالات عديدة، تفسّر له أموراً تتصل بالحدث، في حين يكون الزمن العلامة الدالة على الوقائع اليومية، المسافة الفاصلة والموضحة للأحداث المختلفة في القصة، التي تتشكل عبر الماضي، والحاضر والمستقبل.. الزمن إيقاع نموٍّ وتطور الحدث.

كما لا تقل الشخصيات (من؟) أهمية عن المكان والزمن في قصتك الصحفية، الشخصيات هي العمود الفقري لقصتك، الرئيسية منها والثانوية. بحيث يجعل وصفك لمجموع الصفات

الاجتماعية، والمهنية، والعقلية، والنفسية والجسدية للشخصية، أكثر حقيقةً وألفةً من قبل القارئ.

لا ينتهي عملك على الشخصيات بوصفها وإظهار خصائصها فقط، فالشخصية لا يمكن أن تبدو كاملة الوضوح والحيوية إلا إذا سمعها القارئ تتحدث، وعلى هذا عليك أن تختار من حديثها ما يخدم قصتك، وبثه بعد صياغته، وتكثيفه في سياق سردك للحدث.

الآن وصلت إلى المرحلة النهائية، كتابة نهاية قصتك الصحفية وختام مجريات أحداثها، خلاصة عملك، لذلك عليها أن تستوعب كل عناصر القصة، النهاية تجعل من نصك، قصةً كاملة، منطقية ومقنعة.

مثال– نص كامل:

«ناو ليبانون»

**حين يقاس القبر بجسد حيّ**

ضحى حسن

حدّقَ في وجوه مَن حوله، نظرَ إلى الجسد المغطّى بالكفن، وجه صديقه النائم؛ قفز إلى الحفرة أمامه، مدّ جسده بالكامل فيها، لامس بأطراف أصابعه حواف القبر، وحفّ بقدميه التراب، عيناه تحفران السماء، غطّى بكاءه. تأكد من اتساع القبر لجثمان صديقه «جفرا، سامحني، السما ما بتسعك حتى يسعك القبر».

«كل شبّ استشهد بالمخيم هو جزء من حياتي، خسارتن خلّتني فكّر بقيمة الحياة وبأهمية إنّو عيش أو موت»، عبد الله الذي يبلغ من العمر ١٨ عاماً دَفن مع محمد وابراهيم أصدقاءَ كثراً، «علاقتي مع الشهداء ما بلّشت مع الثورة. بسّ الثورة قرّبتنا من بعض أكتر. كنا نحاول خلق طقوس لكسر الحصار، مرّات بقعدة إبريق شاي، بسّ الصواريخ كانت دايماً تاخد صديق ورا صديق، ونحن نغيّر البيت ورا البيت».

حاصر النظام السوري مخيم اليرموك لما يقارب العام، تعرّض خلالها المخيم لقصف عنيف أدّى إلى مقتل العديد من المدنيين. كما أغلق النظام كل منافذ إدخال المواد الغذائية والطبية ما أسفر عن مقتل المئات جوعاً.

تتسع حدقتا عينيه، قلبه يدق بهدوء، ببطء شديد، كأنّه على وشك أن يتوقف؛ الرصاصة تقترب أكثر وأكثر حتى اقتحمت رأس الشاب، الكاميرا مازالت تدور، قفز ليسحب جثة صديقه، وإذ برصاصتين تُخرجان «أمعاءه» إلى خارج جسده؛ يجرّ نفسه للأسفل سانداً بكفّه ما يخرج من معدته، «استشهد منير».

«خسرت كتير.. يمكن الخسارة تبعي هي ربح لإلن، لأنو الموت ما بوجّع غير الأحياء»، أُصيب الفتى العشريني في بطنه أثناء قيامه بتصوير الاشتباكات. «إسمي ابراهيم، فلسطيني سوري من حيفا»، هكذا عرّف عن نفسه، «أنا ولدت بسوريا، بحس حالي إبن القضية، إذا السوري عندو مبرر ليكون بالثورة أنا عندي اتنين، أول واحد لأني فلسطيني وتاني واحد لأني سوري».
عاش اليرموك ٣ محاولات لـ«الهدنة»، كانت نتيجة الأخيرة منها فكّ الحصار التمويني فقط عن المخيم، في حين مازال المخيم يقبع في الظلام بعد مغيب الشمس، إذ لا كهرباء إلا عبر مولدات يتمّ تشغيلها بفترات محددة بسبب نقص المازوت والبنزين، كذلك الماء ومعظم الخدمات الأساسية.

ليلة هادئة للغاية. يقترب من المجموعة التي تقوم بخَبْزِ «خُبز العدس»، يأكل قضمةً منه، يلتفت نحو صديقه أحمد الذي يجلس قريباً منه يعمل على حاسوبه الشخصي، وإذا بصوت صاروخ يقترب بسرعة هائلة منهم، يهتزّ المكان، يدير وجهه نحو باقي أصدقائه، يلتفت مجدداً ويرى الصخرة الكبيرة تتهاوى على أحمد، ينظر إلى الأعلى وإذا بصخرة أقل حجماً تهجم على رأسه، يسقط. دقائق ويُحمل جسده، «مجد، أحمد.. أحمد»...
«المخيم بالنسبة إلي هو وطن بكل معنى الكلمة، فيه انولدنا، وتربّينا، ودرسنا، وبنينا فيه علاقات صداقة، وفيه حبّينا»، قال محمد، الصديق الثالث الذي شهد أيضاً الموت حيّاً، «كل ما يستشهد واحد من صحابي كان يصير معي رهاب من المكان، بس بنفس الوقت كنت إتمسّك فيه أكتر».
في أحد شوارع الحي، تجلس المنازل المدمرة على طرفي الطريق، تحمل بين شقوقها حكايات وذكريات وبقايا قذائف، وفي المنتصف تماماً هناك، تلتف مجموعة من الشبان والأطفال حول «أيهم»، تعلو الموسيقى شيئاً فشيئاً، كذلك أصواتهم، مشهد سوريالي، الأسود يتلاشى، ويتحول المكان إلى حديقة تعود فيها الحياة لدقائق.

«أيهم» يجول اليرموك مع البيانو في محاولة للاستمرار، وكذلك عدد كبير من الشبان والشابات الذين يحاولون بشكل يومي من خلال نشاطات مع الأطفال والمسنين، إلى جانب قيام المؤسسات الموجودة في المخيم بإقامة ورشات تدريبية وتعليمية تتعلق بمهارات التفكير والعمل الجماعي والمواطنة والإعلام والتمريض.

«تعلمنا بالحصار إنّو ٥ ساعات كهرباء إذا انوجد المازوت، أحلى من ٢٤ ساعة، وصوت المولّد حنون»، يقول عبد الله، «صرنا نحسّ بقيمة الأشياء، بقيمة الاعشاب يلّلي على الارض، بقيمة الورق على الشجر، بقيمة البسينات والكلاب، لأنو ممكن يكونوا وجبة إلك بيوم ما»، ويكمل: «الحصار علّمنا إنّو لواح الصبّار بتصير أكل. بس الضربة على الشيف. وإنّو الشاي بلا سكر أطيب، والناس هبل ما بتعرف هاد السر».

عبد الله، محمد، وإبراهيم، يكملون اليوم ما بدأوه مع رفاقهم، بالقرب جداً من شواهد قبور الأحبة، «أهم قرار أخدناه نحن ٣ الأخيرين، إنو نروح سوى ونيجي سوى، بحال صار شي، يصير لإلنا مع بعض، ما عاد نتحمل خسارة جديدة بالمطلق».

مثال: .

«الحياة»

**هنا «دولة دمشق الكبرى»... وهناك سورية قلقة**

ابراهيم حميدي

على سطح أحد فنادق وسط عاصمة «دولة دمشق الكبرى»، يتربع مطعم دائري. لا ينافس قمة جبل قاسيون المجاور في الارتفاع، بل في القدرة على الدوران وتفقد حال أحياء دمشق بعيون زجاجية تطل على أهل المدينة. اسمه «المطعم الدوار»، حيث ينقل الزبائن خلال تناول الطعام من حي إلى آخر، يريهم حالياً ما يسمعونه ويشمّونه. عين سينمائية تعرض دمشق من وراء عدسة.

قبل أيام، كان بعض الأشخاص يتناولون العشاء فيه. قطعوا الحواجز النظامية واخرى تابعة لـ «قوات الدفاع الوطني» وما يرافق تلك الحواجز من مسافات زمنية وليس جغرافية. مروا أمام الأعلام السورية المرسومة على الجدران الإسمنتية والدكاكين. أرادوا «التمتع» بعشاء هادئ في مكان بعيد من الأرض. أقرب إلى السماء. أن يروا دمشق من فوق كما يراها الطيار في الطائرات.
في «المطعم الدائري» حيث يتميز الزبائن بالدوران مع عقارب الساعة ببطء، يسمح بمشاهدات دقيقة للأفق البعيد بتوازٍ مع ارتفاع أعمدة الدخان. كانت في ذروتها حملة القصف على حي جوبر الدمشقي. أثارت حممُ النار المتصاعدة المختلطة بالنجوم، مع أعمدة الدخان المتداخلة بالغيوم وومضات الضوء في سماء عاصمة الأمويين، فضول بعض الزبائن. بدأ بعضهم بتصوير هذا المشهد «السينمائي». أشبه بجمهور يجلس في صالة سينما ويشاهد فيلماً.

أخذوا صورة، صورتين، ثلاث صور. بعض الصور كان بأسلوب «سيلفي». ابتسامة وفي الخلف أعمدة الدخان والنار على بعد مئات الأمتار. تركيز العدسة على الوجوه مع تعتيم على البعيد. المطلوب ملامح وليس تفاصيل. فقط صورة تذكارية. تماماً كما يتصرف السياح لدى زيارة معلم سياحي في دولة أخرى.

لم يرق هذا المشهد لأحد الزبائن. أحد رجال الأعمال الجدد. ضيوفه ورائحة التبغ، لا المازوت، ونوع المشروب والسلاح المرمي على الطاولة، تحكي عنه وعن ارتقاءاته المستعجلة وقفزاته الاجتماعية. لوّح بعينيه وشفتيه إلى النادل. الأخير كان وجهه من شمع. من دون ملامح. بشرة خشنة وجسم خشبي مربوع. جاء بهدوء، كعامل يمرّ في صالة السينما بين الصفوف والمدرّج. بحركة يبدو أنه معتاد عليها، أنزل الستائر. تأكد من كتم جميع نوافذ الضوء. بات حي جوبر بعيداً جداً. بات أقرب إلى مطار الطبقة العسكري في الرقة على بعد مئات الكيلومترات حيث قتل وذبح تنظيم «الدولة الإسلامية» (داعش) عشرات الجنود والضباط النظاميين. أقرب إلى درعا جنوباً وإدلب وحلب شمالاً حيث تمطر السماء «البراميل المتفجرة». لم يشاهد الزبائن بقية «الفيلم». اكتفوا بالسماع. العين مؤذية. الكاميرا توثيقية أكثر. يصعب تكذيبها. أكمل الدمشقيون وضيوفهم عشاءهم على «أنغام» الأصوات ورقصات البناء.

ألف ساكنو دمشق الأصوات. الصوت يفتح الخيال. الصوت من عند «نا» يخرج إلى «الإرهابيين». من هنا إلى هناك. من عند «نا» إلى عند «هم». نحن نسمع وهم يرون. من سمع ليس كمن رأى. لا غرابة في أن يكون الحديث: ليست هناك أصوات اليوم. كانت الأصوات قوية أمس.

في صباح اليوم التالي، أراد أحدهم التجوّل كعادته على خط النار مع «الآخر» في جوبر. في الطريق من مركز دمشق إلى شرق المدينة حيث تبطئ الحواجز سير السيارة. لم تتوقف المدفعية عن الرمي. من كتف قاسيون إلى «هناك» في أطراف العاصمة... وما بعد العاصمة. أما قاذفة الصواريخ، فإن هذا «السائح» كان محظوظاً لأنها دشنت على شرف زيارته نوعاً جديداً من الصواريخ: يرتفع الصاروخ إلى السماء. يصحبه أزيز يحفر في الجسد ويشقه نصفين من الرأس إلى القدمين. في السماء تتفرّع منه بضعة صواريخ. وتخترق الأرض وتنتشر رائحة وتمتزج مع الهواء... وتجرح الأنف.

في الطريق إلى جوبر، أشعل الزائر سيجارته عسى أن تهيمن رائحة الدخان على البارود. فاحت في سيارة الأجرة.. فاحت كثيراً. توقف سائق التاكسي. نظر في المرآة. توقف عند الإشارة الحمراء قرب الشرطي. الشرطي كان للتو قد أنهى محضراً بحق شخص كان يحكي على الهاتف النقال، وآخر بحق شخص عبرَ إشارة المرور الحمراء. حدّق السائق في عين زبونه: ممكن تطفئ السيجارة. ممنوع التدخين. لا أحتمل رائحته!

ساحة العباسيين المجاورة لحي جوبر، حصن عسكري. تحتوي كل أنواع السلاح بما في ذلك الدبابات. ينهض خلفها ساتر ترابي وجدران إسمنتية. يفصل بين دمشق هنا وجوبر هناك. في الكيان الآخر، أبنية يتحصن فيها «المسلحون». يطل على المنطقة من بعيد برج الزبلطاني حيث يتمترس القناصة. يرون ولا يُرون. ينظرون من خلال منظار إلى اهدافهم.

الحرب تحت الأرض

هذا فوق الأرض وفي السماء. أما تحتها، فهناك عالم آخر. الحرب بين القوات النظامية ومقاتلي المعارضة انتقلت إلى أعماق الأرض. المقابر ليست فقط حيث يتنافس الطرفان في حفر القبور وتقطيع الأوصال وتمزيق الأشلاء. بل يتنافسان أيضاً في حفر الأنفاق وتعميقها. النظام يحفر أنفاقه ويسعى إلى تفجير أنفاق المعارضة. ومقاتلو المعارضة يحفرون أنفاقاً لتجنّب القصف ونسف مراكز تابعة للنظام.

باتت الأنفاق كابوساً للنظام بعد تعرّضه لخسائر كبيرة في حلب شمالاً وإدلب شمال غربي البلاد وفي دمشق. عالج الهاجس باستيراد نوع جديد من الصواريخ المحمولة على راحة المظلات وأجهزة لكشف الأنفاق وأخرى لحفر أنفاق بسرعة فائقة وحملات تفتيش ودهم في المنازل الأرضية في بعض أحياء العاصمة، خصوصاً تلك القريبة من مراكز أمنية وحكومية. المعارضة هربت إلى الأمام. بعض مقاتليها لجأ إلى أنابيب الصرف الصحي. الهجوم «الانتحاري» الأخير الذي نفذه مقاتلون معارضون، جاء عبر استخدام شبكة الصرف الصحي في حي الميدان في دمشق.

قلق سكان عاصمة «دولة دمشق الكبرى» كان قصيراً. بعض سكان «المنطقة الخضراء» في بضعة أحياء من دمشق، كانوا قلقين من وافدي الريف. فبالنسبة إليهم «الدولة تخوض حرباً ضد مسلحين». حيث حي جوبر «لم يبق فيه سوى المسلحين». لم يبق فيه أحد من الأهالي. بعضهم يذهب إلى القول إنه «في الأصل لم يكن فيه مدنيون». تبخّر أهل جوبر كما تبخر قبلهم أهالي أحياء ومناطق أخرى نزوحاً ولجوءاً. وبقي فقط «المسلحون». لذلك، لا مانع، بل من الواجب، القيام بحملة قصف عنيفة لـ «تنظيف» الحي و «تطهيره» من وباء «الآخر». التعايش مع السرطان لم يعد ممكناً. لا بدّ من استئصاله. بتر جزء من الجسم لحماية ما تبقى منه. وظهرت دعوات كثيرة على مواقع التواصل الاجتماعي من سكان أحياء مجاورة إلى القوات النظامية لـ «محو» حي جوبر عن الأرض و «إبادة المسلحين». بعضهم يرى أن هذا الحي بات «المصدر الوحيد» لقذائف الهاون التي تقع على دمشق... وتحديداً المدنيين. دائماً يتصاعد سقوط قذائف الهاون على دمشق مع تصاعد قصف جوبر وتأييد الحملة!

سقوط قذيفة هاون على خزان وقود في أحد أحياء «المنطقة الخضراء» ورسمها عموداً من الدخان، يشغلان ساكني دمشق أكثر مما يحصل في باقي سورية من جنوبها إلى شمالها.. من شرقها إلى غربها. وكما أن وفاة الشاب سمير الجعفري في ظروف غامضة قبل أيام في دمشق، باتت همّ أهالي هذه المدينة وساكنيها، في سورية المتبقية، بينما قد يكون قُتل حوالى مئتين من الموالين والمعارضين، مدنيين وعسكريين. غير مهماً للبعض.
جريمة القتل تلك (قتل سمير الجعفري) كانت الشغل الشاغل أيضاً لكبار المسؤولين. حيث تنافس المسؤولون فيها بين من انحاز إلى الضحية، ومن انحاز إلى مشتبه في أنه القاتل. فيما انحاز آخرون إلى مشتبه به ثانٍ. نفوذ أهله ومن وراءهم سهّل هروبه إلى تركيا.
هنا أيضا في العاصمة، انشغلت «قوات الدفاع المدني» نهاراً كاملاً بإنقاذ قطة (نعم هرة) في حي دمّر الدمشقي.

رياح قلقة
هذا بعض من حال دمشق. لا شك في أنه يختلف كثيراً عن بقية أنحاء سورية. ويختلف أيضاً عن الجناح الآخر في «دولة دمشق الكبرى». في الساحل، يزداد يوماً بعد يوم وصول جثامين قتلى الجيش. بعض الجثامين وصل من دون رؤوس. كونها بقيت عند «داعش».

قرية ساحلية واحدة قُتل فيها ١٧٠٠ عسكري ومدني في معارك أرض بعيدة. بعض المصادر يتحدث عن مئة ألف قتيل من الساحل. علويون بالمعنى الطائفي. هناك أيضاً، بوادر قلق من وجود مليون ونصف المليون نازح من مدن أخرى في طرطوس وحدها. إنهم موالون للنظام ورجال أعمال، لكنهم بالنسبة إلى البعض هم «سنّة في النهاية» و «يغيّرون التوازن الديموغرافي» وفق بعض آخر. النزف البطيء مستمر في جسد القاعدة الطائفية – السياسية للنظام. وهناك شقوق محكومة بضيق الخيارات والبدائل والاكتفاء حالياً في خوض المواجهة بسيطرة على دمشق وتحالف مع دمشقيين وخوض «معارك استباقية» في الأرض المجاورة. تهبّ أحياناً على مزاج النواة الموالية

رياح قلقة وبعض من تساؤلات، لكنها صلبة في خوض المواجهة. «معركة البقاء» ضد «المجموعات الإرهابية المسلّحة». ساحة المعركة إلى الآن، هي «هناك»، حيث بادر «هم» في الهجوم على «نا».

أما «هنا» وفي قاموس الخطاب الرسمي، فهي «معركة إنقاذ المواطن ووحدة الوطن» وتوفير «الأمن والأمان». معركة يخوضها «حماة الديار» ضد «عملاء المؤامرة الصهيونية – الإخوانية – الإمبريالية». وهناك تصميم على النطق والاعتصام باسم «الجمهورية العربية السورية» والتمسك برموزها من العلم وفرض تطبيع للحياة من مفردات الخطاب السياسي إلى إشارات المرور، وتركيز إضافي حالياً على «السيادة الوطنية»، خصوصاً في هذه الأيام حيث يعرض الـ «هناك» من البلاد لغارات من قوات حليفة على مواقع «الدولة الإسلامية» (داعش). لذلك، لا بأس ان يكون الآن «الجيش السوري والجيش الاميركي في خندق واحد».

في الخطاب الشفوي، ليس عجباً تداول عبارة «دولة دمشق الكبرى». تسمية جديدة على شفاه عدد من أهالي عاصمة سورية وساحلها. وهي عبارة مستحدثة لـ «سورية المفيدة» وتمتد من بعض درعا والسويداء جنوباً إلى حمص وريف حماة في الوسط وانتهاء بطرطوس ومدينة اللاذقية غرباً بعدما فقد هذا الشريط خزانه الاقتصادي في شمال شرقي البلاد. تختصر «دمشق الكبرى» ضمناً علاقة بعض من أهل دمشق المدينة، خصوصاً بعض رموز الطبقة الاقتصادية والتجارية مع السلطة والنظام. زواج مصلحة ليس فيه أي بعد أخلاقي أو طائفي. هكذا، كانت في عقود سابقة. «لهذا، صمدت ١٢٠٠ سنة عبر التاريخ» وفق أحدهم حيث «مرت حضارات وعبر غزاة وفاتحون وبقي الدمشقيون». هكذا هي الآن. في بعض الجوانب، يتضمن الانحياز إلى اعتبار فئة من أبناء دمشق أن الحراك منذ بدايته في عام ٢٠١١، هو «ثورة ريفية». من أبناء ريف دمشق ضد أبناء المدينة. الفلاحون ضد التجار. الحرفيون ضد الصناعيين. العمال ضد المتعلمين والأكاديميين و «الأنتلجنسيا العضوية». أيضا، من استفاد من سنوات الانفتاح الاخيرة وتجلياتها الاقتصادية... والدينية التي ترى من «وراء حجاب».

«أهلا بكم في دولة دمشق الكبرى»، لم تكتب على بوابة العاصمة بعد، لكن باتت محفورة في جيوب عدد من التجار ووشماً على عضلات معسكرة. كما هي موجودة في خزائن فئة أخرى لم يكن أمامها خيار آخر. خيار دفاع المرء عن مدينته بالبقاء. حق عدم ترك مسقط الرأس والإفادة من فشل تجربة من ترك المدينة بعد التأميم في ستينات القرن الماضي، وبعد الصراع بين النظام و «الإخوان المسلمين» في الثمانينات. الرغبة في الحفاظ على توارث المهن والخبرة والمال. دمشق موجودة أيضاً، في مخيلة آخرين فشلت المعارضة فشلاً ذريعاً في كسب عقولهم وقلوبهم. فشلت وأُفشلت في تقديم نموذج – منارة في «المناطق المحررة».

التاريخ سهّل هذا العقد المتجدد بين «مواطني» هذه «الدولة». وجد بعض المحللين أساساً له. ذلك، أن هذا الكيان جمع لكيانات كانت قائمة مع بدء الانتداب الفرنسي عام ١٩٢٠. «دولة دمشق» كانت تضم حمص وحماة في الوسط، فيما كانت «دولة العلويين» تضم طرطوس واللاذقية وصولاً

إلى جسر الشغور في ريف إدلب. في حين ضمت «دولة حلب» أعزاز وإدلب والشرق، في مقابل إسكندرونة وعاصمتها أنطاكيا و «دولة جبل الدروز» وعاصمتها السويداء. وكان الفرنسيون اخترعوا وسمّوا المسلمين «المحمديين» والنصيريين بـ «العلويين».

وخلال مسيرة الانتداب لحوالى ربع قرن، تأرجحت الكيانات السورية بين الوحدة والفرقة. في عام ١٩٢٣ وحدت فرنسا دول حلب ودمشق والعلويين، وعاصمتها حلب وليس دمشق، الأمر الذي لم يرق للدمشقيين ضمن المنافسة التقليدية بين «الشوام» و «الحلبيين». منافسة أضافت جانباً إلى الصراع الراهن في السنوات الثلاث ونصف السنة السابقة. كثير من الدمشقيين، كان يقول: «نريد تجنيب دمشق مصير حلب».

في بداية عام ١٩٢٥ ألغت فرنسا نظام الدويلات وأقيمت «دولة سورية» وتضمّ فقط دولتي حلب ودمشق. وبقي الدروز والعلويون مستقلين إلى عام ١٩٣٦ عندما أعيد ضمّهم عام ١٩٣٩. وانفصلتا وقتذاك إلى عام ١٩٤١ عندما دمجتا بالدولة السورية وعيّن منير العباس الوزير العلوي الأول وعبدالغفار باشا الأطرش الوزير الدرزي الأول، علماً أن الرئيس هاشم الأتاسي كان عيّن الشخصية المحترمة عزيز هوّاش المحافظ العلوي الأول لدمشق لفترة قصيرة عام ١٩٣٦، ضمن جهد للتقريب بين الطوائف.

التاريخ لا يكفي كي ينام بـ «راحة ضمير» مواطنو عاصمة «دولة دمشق الكبرى» ليلاً مع الأصوات ويشيّع آخرون في الطرف الآخر من أرجائها جنودهم وضباطهم جهاراً نهاراً او ينتظرون بفارغ الصبر زيارة عودة ابنائهم المجندين قطعة واحدة... من الشرق الاقصى. لذلك، لا بأس بذخيرة إقناعية أخرى: في منتصف عشرينات القرن الماضي كانت هناك «معارك» في ريف دمشق، كما هي الحال الآن. وقتذاك، شارك بعض من أبناء دمشق في القتال. كانت المدينة تشيّع قتلاها. أما الآن، لا تشييع لقتلى داخل المدينة. لم يقاتلوا في الغوطة الشامية. مناقبية القتال تبقى فقط أسيرة مسلسل «باب الحارة» قبل تعديله في نسخته الأخيرة. أقصى ما يمكن فعله، هو تعليق حمال الأوجه على «فايسبوك» أو مغادرة العاصمة. أما حمل السلاح، فلا.

كما حاول بعض المدافعين عن هذه «الدولة» الانطلاق من أن سورية التي كانت موجودة انتهت، وأن صفحة الدولة المركزية طويت، وأن الحلول التي يجرى تداولها تتناول العلاقة بين المركز والأطراف وطبيعة النظام السياسية وحصص الأطراف والجغرافيات فيه. حكومة وحدة أو محاصصة في دمشق وإدارات محلية في الأطراف. «لا غالب ولا مغلوب». يحاولون أيضاً قراءة الواقع الراهن من التاريخ غير البعيد في ضوء «تشابه» الحدود بين الدويلات في هذا القوس الممتد بمحاذاة البحر المتوسط.

كثير من التغيرات التاريخية تبدأ في العقل ومن الشفاه ووراء الجدران قبل أن تنفذ على الخرائط والجغرافيا. تغيرات أخرى تحصل في الواقع ثم تشرعن. في سورية، الجغرافيا تغيرت. الديموغرافيا تغيرت وتتغير. الحفاظ على سورية موحدة جغرافياً وسياسياً ومجتمعياً بعد كل ما حصل ويحصل، واجب، لكنّ المهمّة لن تكون سهلة.

مثال:

«ناو ليبانون»

**على الحدود السورية – اللبنانية: توقّفْ ممنوع الدخول**

ضحى حسن

تعميم رقم ١ – لبنان – الأمن العام

«تعميم إلى جميع شركات الطيران – الموضوع: عدم السماح بنقل أي مسافر فلسطيني لاجئ في سوريا– يُطلب إليكم عدم نقل أي مسافر فلسطيني لاجئ في سوريا إلى لبنان، مهما كانت الأسباب، وأياً تكن المستندات والوثائق الثبوتية التي يحملها، تحت طائلة تغريم الشركات الناقلة في حال المخالفة وإعادته من حيث أتى».

دمشق– يلدا

المشهد – أصابع قدم صغيرة تتشبث بـ«شحاطة» تلامس «كرة» ملوّنة وتلقي بها باتجاه الحائط.
يُسمع صوت قصف من بعيد، يلتفت الطفل نحو نافذة منزله، يرى والدته وهي تُعدّ طعام الغداء.
صوت آخر مختلف قليلاً عن الذي سبقه، لكنّه صوت قذيفة بالتأكيد، يبقى محدّقاً في النافذة يتابع خيال والدته المرتمي على زجاج النافذة، «أسامة، يالله أمسك الطابة»، يدير وجهه نحو أخته الصغيرة التي تحمل الطابة وتركض باتجاهه مبتسمة، صوت قذيفة قريبة جداً، تقع الكرة على الأرض وتتدحرج، يتابعها بعينيه، يشد بأصابعه الصغيرة على أنف أخته ممازحاً إياها، يمسك يدها ويهرعان إلى المنزل.
عاجل– اقتحم النظام السوري بلدة يلدا بريف دمشق صباح اليوم بالدبابات والمدرّعات بعدما قام بقصف الأحياء السكنية فيها.

بيروت – عين الحلوة

فُتح الباب، جرّت الحقائب والأكياس، اللاجئة نفسها، إلى إحدى الزوايا. نظروا حولهم، منزل آخر في مدينة أخرى، وبلد آخر، تشدّ مي طرف كنزة أمها «وين بدنا ننام؟»، تنظر الأم حولها، تتنهد. ودون أن تنظر إلى ابنتها «هلق بنشوف يا بنتي». تحوم هي وزوجها في أرجاء المنزل القديم الصغير جداً، يفتحون النوافذ لتخرج رائحة العفن من المنزل، ٤ ملاعق ٤ شوك، صحون، ثياب قليلة، سكين، دمية فتاة مُخاطة بشكل رديء. تخلع الأم حجابها وتضعه جانباً، تدخل إلى المطبخ، تخرج طنجرة يكسوها الصدأ على طرف «المجلى»، يجر زوجها الحقائب الفارغة ويلقي بها خارج المنزل.

دمشق
«خسر زوجي شغلو بالمعمل، والأولاد راحت عليهن المدرسة»، عادت أم أسامة إلى دمشق قبل ٣ أسابيع لإحضار بعض الأوراق من هناك، «وصلت إلى دمشق، وصدر قرار من الأمن العام اللبناني بمنعنا من العودة، حاولت المستحيل لنرجع بس ما في أمل. عم يقولوا ممنوع دخول فلسطيني سوري على لبنان».

المصنع – بيروت
يحكّ ذقنه، يفتح عينيه بجهد كبير، جفناه منتفخان. أمال رأسه قليلاً نحو اليمين ليشتم نفسه، فيبعد أنفه فوراً عن جسده. يسحب الحقيبة من تحت رجليه، يخرج منها فرشاة يمشط بها شعره، يخرج مزيل العرق ويرطب بها تحت إبطيه، ينفض الغبار عن قميصه، ويقف، يتجه مجدداً نحو رجال الأمن اللبنانيين: «صباح الخير معلم»، ومن دون أن ينظر إليه رجل الأمن من خلف الزجاج: «ممنوع تفوت على لبنان، فلسطيني سوري ممنوع يفوت. خبرتك هالشي من مبارح»، يلصق وجهه بالزجاج، ويتحدث بصوت متوتر «صرلي يومين نايم على الرصيف، عيلتي كلها بلبنان وبيتي تدمّر ما في مكان روح عليه بالشام، وين بدي روح، عم قلك عيلتي كلها بلبنان». يضع كفيه على الزجاج ويشد بقوة، ينظر إلى رجل الأمن الذي تجاهله تماماً، سحب كفّيه عن الزجاج الذي تعرق من شدة ضغطهما، جر حقيبته وعاد إلى المجهول.

دمشق
«معي أوراق تسجيل الأولاد في المدرسة، وعقد أجار البيت، وعلى حدود سورية ما كان في مشكلة»، تؤكد أم أسامة، «المشكلة كانت على حدود المصنع، يا بنتي نحن قاعدين هلق ببيت اختي هون بالشام عشرين شخص ببيت صغير، وضعنا كتير صعب، فكري نروح على لبنان، هون ما عنّا شي، وأنا عيلتي الكبيرة من فلسطينية لبنان يعني على الأقل هونيك إلنا حدا».

المصنع – بيروت – ٢٠١٤/٥/١٧ – الرابطة الفلسطينية
طابور طويل من النساء والأطفال ومتاعهم. تدخل هي وابنها ذو الـ١٣ عاماً، تقف في الدور المتزاحم، تمتمات وغضب، وجوه متجهمة وحزينة، صراخ يعلو من المرأة التي أمامها: «أهلي جوّا مش منطقي ما تخلوني فوت»، تقترب أكثر، تمد يدها المرتجفة، يمسكها، ينظر إليها، «مدام ممنوع تفوتي على لبنان»، تجيبه بتأتأة واضحة جداً: «أنا مقدمة على فيزا لـمّ شمل، زوجي في لبنان»، أخذت نفساً عميقاً كي تكمل حديثها وفي محاولة لأن تتمالك نفسها وتأتأتها المفاجئة.
وقبل أن تكمل ألقى بجواز سفرها من النافذة الصغيرة: «إذا رح تضلي تتأتئي ما عاد إلك فوته على لبنان بحياتك. فهمانة، ارجعي على الشام»، حملت أوراقها، نادت ابنها، نظرت إلى موظف الأونروا الواقف هناك والذي قال على الفور «ارجعوا إلى سوريا وانتظروا قرارات جديده بخصوصكم، ممكن بعد أسبوع، عشر أيام، شهر، شهرين ... آسف كتير».

تعميم رقم ٢ –  لبنان – الأمن العام
على جميع شركات الطيران السماح بنقل اللاجئ الفلسطيني في سوريا الذي يحمل: بطاقة إقامة سنوية لبنانية (سنة واحدة، ٣ سنوات مجاناً)، سمة خروج مع عودة عدة سفرات غير منتهية الصلاحية. منح الفلسطيني اللاجئ في سوريا سمة مرور لمدة ٢٤ ساعة بحال: كان قد غادر سابقاً عبر مطار رفيق الحريري الدولي، ولديه إقامة صالحة في الخارج ويرغب بالعودة إلى سوريا عن طريق لبنان.

الداخلية اللبنانية توضح
علّق مستشار وزير الداخلية خليل جبارة لموقع NOW حول قرار عمّمه الأمن العام في ما يتعلق باللاجئ الفلسطيني السوري بالقول: «لقد تم إصدار تعميم بمنع اللاجئ الفلسطيني في سوريا من الدخول إلى لبنان، ومن ثم قامت وزارة الداخلية بالتعاون مع الأمن العام بإصدار تعميم آخر يسمح لدخول الفلسطيني في سوريا ضمن بنود وآلية محددة».

ويكمل جبارة: «تقوم وزارة الداخلية اليوم مع الأونروا بإعادة النظر بهذه الآلية واتخاذ الإجراءات اللازمة ضمن النتائج التي ستصدر ضمن إطار نقاش اللجنة الوزارية المعنية بشؤون النازحين السوريين والفلسطينيين».
وأضاف: «نحن ندعو أصحاب الشكاوي بالتوجه إلى الأونروا والابلاغ عن مشاكلهم ونحن سنقوم بمعالجتها لأننا في تنسيق مستمر مع الأونروا».

دمشق
«رحت على عين الكرش بالشام لطالع أوراق التصريح لهم، قالولي لازم تجيبي موافقة من الأمن العام اللبناني»، أم مجد، سورية يحمل أولادها وثيقة سفر لاجئ فلسطيني سوري. أعمارهم ٢ و٤ و٦ سنوات، تقول: «السفارة اللبنانية في لبنان قالولي ما دخّلنا، بعتت حدا من الأقرباء على الأمن العام في لبنان، وبعد مفاوضات طويلة، طلبوا على كل ولد ٥٥٠ $ رشوة، اللي عرفتو إنو لازم ندفع على الولد ١٠٠ $ بس هني بدون أكتر لجيبتون».

دمشق
«كان موعدنا التلاتا ٦ أيار، وصلت على المصنع، قالوا طالع قرار تعميمي بمنع دخول الفلسطيني السوري إلى لبنان، لو بتشوفي كيف المعاملة هونيك، ٤ ساعات عالحدود بدون أيا نتيجة»، فدوى الفتاة العشرينية كانت في لقاء مع زوجها الذي يسكن في أميركا وذلك لإجراء الأوراق في السفارة الأميركية لتنضم إليه بعد غياب عام ونصف: «جرّبت كل شي السفارة اللبنانية بسوريا، المصنع كل شي.. ما في نتيجة، ما بتعرفي أديش مجروحة ومزعوجة، يعني معقول كل واحد يضل منا ببلد، ما بدي إبقى بلبنان بدي روح قدّم أوراقي بالسفارة وإرجع لتطلع النتيجة هاد كل شي».
أمّ أمجد، أمّ أحمد، مجد، أسامة، مي، أسماء وهمية لأشخاص حقيقيين وأحداث حقيقية، حدثت ومازالت تحدث على الحدود بين سوريا ولبنان – المصنع.

مثال:

«ناو ليبانون»

**أم حمزة «الذباحة» سجانة النساء في سجن الرقة الشرعي**

ضحى حسن

جاءت «أم حمزة» إلى الرقة بعد تحريرها، مرتديةً اللباس الباكستاني الشرعي، تغطي وجهها «بالنقاب» الأسود ما يجعله مقتصراً على نظارات طبية وسط قناع مشدود داكن. فوق الكتف، علّقت بندقية «روسية» وعلى خصرها ربطت السكين والـ«الكلبشات» وفي يدها كابل كهرباء، وفق وصف كثير من الشهود، وعلى رأسهم رمال نوفل، الصبية ذات الـ٢٦ عاماً، والتي كُتب لها أن تخوض جولات عدة معها بعدما تحولت قصتها إلى قضية رأي عام.

«أم حمزة» السجانة الملقبة بـ«الذباحة»، «تشبه نساء الكوابيس» على حد تعبير رمال، فهي لا تتجول في شوارع المدينة كثيراً إذ تمضي معظم نهارها في حراسة المعتقلات في سجن الهيئة الشرعية في الرقة.

ولكنها كما يصفها «أبو ابراهيم»، القاضي في الهيئة الشرعية، «امرأة مسلمة تسهر على حماية النساء في السجون والاعتناء بهن ليس إلا».

بين «سجانة ذباحة» و«امرأة حارسة» تتسع مساحة الإشاعات في المدينة المحررة، تغذيها ظروف صراع مستتر ومعلن بين طرفين يتفقان على أمر واحد: كراهية نظام الأسد، ويختلفان في كل ما عداه تقريباً. الأجندات المختلفة، الاستقطاب الإعلامي الهائل، الجوع إلى السبق الصحافي، الرخيص أحياناً، كل ذلك يجعل إمكانية توخي حدود الموضوعية المعقولة مسألة صعبة.

كثيرون ممن التقيت في الرقة يتحدثون بصراحة عن حالات الجلد التي حدثت والتي ظلت طي الكتمان منذ دخول الكتائب المتشددة، وتعززت هذه الحوادث بمقاطع فيديو رشح بعضها إلى مواقع الانترنت، لكن وجهة نظر أخرى تنفي حدوث مثل هذه الوقائع جملة وتفصيلاً. فالقاضي الشرعي «أبو ابراهيم» ينفي ذلك بذريعة أن «الحد لا يقام في الحروب»، مضيفاً أن «من المستحيل حدوث حالات كهذه، حتى أن رجالنا يمارسون ضبط النفس إلى أقصى الدرجات». ويبرهن على ذلك أن إحدى الفتيات قامت بإرتداء ملابس فاضحة و«التمختر» أمام مقر جبهة النصرة في محاولة لاستفزاز الحراس، فما كان منهم إلا أن أغلقوا الأبواب وانسحبوا داخل المقر».

في بيت يشبه معظم بيوت الرقة التي زرت، استقبلتني رمال، الفتاة المحجبة التي صارت القصة في ذلك الأسبوع على لسان أهل المدينة، ورشحت بعض من تفاصيل «حادثة الفناجين» إلى الفضاء الالكتروني.

ملخص الحادثة أن مجموعة من الناشطين، أطلقت مع رمال نوفل مبادرة خيرية «رمضان الخير وزكاة الخير»، حيث قاموا برسم علم الثورة على فناجين قهوة وبيعها في أحد الحدائق بهدف جمع

بعض النقود لتمويل سلل غذائية توزع على العائلات الفقيرة خلال شهر رمضان.
تقول نوفل إنهم أثناء العمل، تقدم إليهم أحد الملثمين وطلب منهم جمع الأغراض وإخلاء الحديقة خلال نصف ساعة، معرّفاً عن نفسه بأنه من الهيئة الشرعية. بالطبع لم تمتثل رمال وزملاؤها لهذا القرار التعسفي، فما كان من المسلحين المدججين بالسلاح وعددهم ١٥ إلا أن هاجموهم. تروي رمال «أحد الأصدقاء المشاركين في المبادرة ادعّى بأنه المسؤول خشية إيقافي، فقاموا باعتقاله وجروه إلى السيارة وهو يتلقى ضرباً مبرحاً خلال الطريق».

تشرح رمال وقد علقت ضحكة مُرّة على وجهها: «تمّ اتهامنا بجمع مال المسلمين من دون إذن، وأن علينا التقدم بطلب للهيئة الشرعية كي نحصل على الموافقة؛ كانت تلك تهمتنا التي أدت إلى اعتقال صديقي وضربه، واستدعائي في اليوم التالي وجلدي».

بهدوء، تكشف رمال عن القسم الأسفل من جسدها، علامات السياط تغطي الجزء الممتد من الخاصرة حتى أسفل القدمين. تقول بأسى «لم يكتفوا باعتقالي، لقد قاموا بجلدي أيضاً».

على صفحتها على موقع «فايسبوك»، كتبت رمال تفاصيل ما حدث معها بعد الاعتقال، تماماً كما روتها لنا: «بعد الاعتقال طلب المحقق تسليمي لأم حمزة، قامت الأخيرة بترك «الروسية» مع الحارس الموجود على الباب قبل أن تجرني إلى الزنزانة. هناك قامت بتقييدي، وبدأت بضربي بكابل الكهرباء على قدميّ وساقيّ. لقد كان شعوري مرتبكاً بين الصدمة والألم. لم أصدق أن هذا يحدث معي في الرقة وأن من يقوم به ليست قوات النظام السوري». تضيف رمال بصوت مخنوق: «سحبت أم حمزة سكينها المعلق على خاصرتها وقالت: «أخرجي لسانك، سأقطعه لك. أدرت وجهي إلى الحائط، فعادت أم حمزة إلى التأكيد: أنا أذبح فعلاً، اطلبي من الله ألا تبقي الليلة هنا كي لا أعلقك على الحائط وأتسلى بك. كل ذلك حدث على مرأى ومسمع الحارس الواقف عند الباب».
مكثت رمال في زنزانتها ساعات قليلة، قبل أن يُتخذ قرار الإفراج عنها، لكن مع وصولها إلى بوابة المقر، تقول رمال: «سمعت صوت أم حمزة تناديني وقد وقف بجانبها أحد الملثمين، لقد طلبوا مني العودة إلى الداخل بذريعة أن أحد الشيوخ أقسم بعدم خروجي اليوم من زنزانة الهيئة، حاولت التملص لكن لم يكن هناك مفر من العودة إلى الزنزانة نزولاً عند قسم الشيخ!». تضيف رمال: «أمسكت أم حمزة بيدي وقالت لي بصوت هادئ: ما بدي أسمع صوتك مشان ما ضايقك، بتقعدي بالزنزانة بدون ما تعملي شي ما بقرب عليكي، إذا سمعت صوتك بدبحك، وجعلتني أعيد الدرس من ورائها». بعد ساعات، خرجت رمال من السجن تتابعها كلمات أحد أعضاء الهيئة الشرعية. «لم تقم بشيء، لكننا أردنا تأديبك، ولقد تمت مسامحتك».

على الطرف الآخر يصر قاضي الهيئة الشرعية أبو ابراهيم على نفي الحادثة من أساسها: «أقسم بالله أن ما تدعيه رمال ليس إلا كذبة، كل ما نريده هو الحقيقة، لقد ارتكبت خطأ أن تحدثت مع المحقق والقضاة بطريقة جارحة، ورفضت تمثيل الهيئة الشرعية لها، لقد كانت تصرخ بصوت عال

«الهيئة الشرعية لا تمثلني» ورغم ذلك سامحها الجميع» ويضيف القاضي موضحاً: «نوفل لا علاقة لها بالأمر، ونحن لم نقم باستدعائها، بل اعتقلنا صديقها وهو مشتبه به» يختم أبو ابراهيم حديثه: «علينا أن نكون صادقين مع أنفسنا أيضاً، الأهالي يريدون فصل الدين عن السلطة وهذا أمر يستحيل حدوثه».
بين هذين الطرفين تقف «لجنة الحكماء» وهي لجنة مؤلفة من ٨ أشخاص تضم أعيان مدينة الرقة، والذين يقومون بتحضير الانتخابات الخاصة بالمجلس المحلي ويلعبون دوراً توفيقياً بين الأهالي، ليتحول اسمهم إلى اللجنة التحضيرية للمجلس.

يعتقد «أبو مهيار»، أحد مؤسسي هذه اللجنة، بأن «النصرة والأحرار أقوياء، ولا يمكننا إنكار حاجتنا لهم اليوم، وبخاصة أن قوات النظام ليست بعيدة عنا، فضلاً عن عدم وجود ضغط مدني كاف لتسلم السلطة»، موضحاً أن الهيئة الشرعية هي «حالة صحية في حال وجود توازن قوى بين الكتائب، وسيادة الحالة السلمية، لكن في الرقة من الواضح أن هذا التوازن معدوم ما يجعلها تحت سيطرة النصرة والأحرار، وما يجعل قوانين الهيئة تطبق على الضعيف دون القوي، لذا لا يحق لنا التعليق على ممارساتهم طالما أننا عاجزون عن اقتراح بدائل».

لكن «أبو مهيار»، الرجل الخمسيني الذي اعتاد استقبال الأطراف جميعاً في منزله، بدءاً من شباب الحراك المدني ومقاتلي «الجيش الحر»، وأفراد الكتائب المتشددة، ما زال كما يبدو يتمتع بمخزون كاف من الأمل للخروج من هذه الأزمة، حيث يعلق مستدركاً: «لم يعد يخاف الشباب من شيء، يخرجون في اعتصامات وتظاهرات أمام مقرات هذه الكتائب ومقر الهيئة الشرعية، هناك أمل حقيقي في الشارع».

بالطبع، لا تقتصر انتهاكات الهيئة الشرعية وممارسات الكتائب المقاتلة على ذلك، حيث يعاني «الرقاويون» الأمرّين من استيلاء «النصرة والأحرار» على الأملاك التي نزح عنها سكانها وتركوها خلفهم. ينفي البعض وقوع مثل هذه الحوادث، فيما يشدد آخرون على وقوعها مرددين عبارة «بكبروا ع الملك وبياخدوه» . الناشط والمدرس فراس النايف كان شاهداً على أحد حوادث الاستيلاء التي وقعت في المدينة. أخبرنا أن أفراداً من «أحرار الشام» حاولوا «أخذ منزل جارنا الذي استأمننا عليه قبل سفره.

حاولت منعهم وذهبت إلى مقرهم. هناك التقيت بالأمير وأخبرني أنهم سيأخذون المنزل بالقوة. قلت لهم «مافي شي بيتاخد بالقوة» وسرت متجهاً نحو الباب، فهجموا علي وقاموا بضربي» يتابع النايف: «اقتادوني إلى غرفة التحقيق، ثم إلى الزنزانة. سمعت صوت أخي في الخارج وخشيت أن يقوموا بضربه». يتابع النايف بمرارة: «انتهى الموضوع بأن قاموا بالإفراج عني بعد ساعة، بعدما قام أميرهم بجلدي». يضيف النايف أن «هناك ٥ زنازين مليئة بالمعتقلين، من بينهم جنود منشقون، كبار في السن وشباب».

مثال:

«الحياة»

**إدلب: اللحية المحلية لـ«كتائب أحرار الشام» تعيق التحاقها بـ«الجهاد العالمي»**

حازم الأمين

حسن، الشاب من مدينة حماة السورية، الذي كان منتظراً في مركز للجيش الحر في بلدة أطمة على الحدود مع تركيا، ليس إسلامياً، على عكس ما اعتقدنا، ذاك أنه أطلق لحيته الحمراء وحلق شاربيه، فقط لأنه يريد أن يفعل ذلك وليس لأنه إسلامياً. لم يكن صائماً، وهو اقترب من محدثته الصحافية على نحو ما لا يقترب الإسلاميون من الصحافيات. كان ينتظر غاضباً وصول من ينقله إلى الجهة الأخرى من الحدود، ويقول إنه متوجه إلى بلدة الريحانية التركية للقاء عضو في المجلس العسكري للجيش الحر.

حسن طالب هندسة في جامعة بيروت العربية، وهو استدعي إلى الخدمة الإلزامية في الجيش السوري، الذي ما لبث أن انشق عنه والتحق بالجيش الحر في حماة. يقول: «أنا جندي في الجيش الحر لا أملك سلاحاً. أنتظر في المعركة أن يُصاب أحد أو أن يتعب لأستعير سلاحه. أريد سلاحاً، ولهذا أنا متوجه للقاء عضو المجلس العسكري في الجيش الحر». وحسن كان على عجلة من أمره، لم يشعر بأن سؤالنا عن لحيته، هو غير الإسلامي، يستحق انتظاراً. الأرجح أنه لا يعرف سبب إطلاقه لحية من دون شارب. استغرب السؤال، لكنه أجاب عن سؤال آخر بسرعة حاسمة، وكان السؤال عما إذا كان مناصراً لجماعة الإخوان المسلمين الذين تُعتبر مدينته حماة عاصمتهم في سورية، قال: «لا إخوان مسلمين في حماة، فهؤلاء غادروها في الثمانينات. تركونا لوحدنا في مواجهة هذا النظام، لا بل إنهم ورطوا المدينة بمواجهة وغادروا. لقد دفعنا ثمن تهورهم».

لكن الإجابة عن سؤال اللحية من دون شارب، والتي بقيت معلقة في اللقاء السريع مع حسن، ستكون ضالتنا التي لن نعثر عليها طوال رحلتنا إلى ريفَي إدلب وحلب في سورية، ذاك أن منطق اللحية والمظهر الذي يرصد عبره المرء الملامح الأولى للجماعات الإسلامية وأنواعها وفروعها، يخضع في سورية إلى منطق مختلف. اللحية من دون شارب ليست إشارة أكيدة إلى إسلامية المرء، وأحياناً لا تكون إشارة حتى إلى التزامه فروض الصلاة أو الصوم. والعكس صحيح، إذ إننا التقينا بعشرات من السلفيين لا يمتون لهيئة السلفيين الذين نعرفهم بصلة. بعضهم حلق لحيته وشاربه، وبعضهم أطلق لحية خفيفة غير سلفية، وجميعهم من دون استثناء لا يعتمدون الثوب الذي يعتمده السلفيون.

تعتبر «كتائب أحرار الشام» الفصيل السوري الجديد الأبرز الذي يشيع خبر انتمائه إلى «السلفية الجهادية»، هذه الجماعة الجديدة التشكل والتكوين تنتشر في الكثير من المدن والقصبات السورية، وهي غير منضوية ضمن كتائب الجيش السوري الحر على رغم أن مسؤوليها يؤكدون أنهم يُنسقون أنشطتهم مع هذه الكتائب.

و«كتائب أحرار الشام» جماعة سلفية على ما قال لـ «الحياة» مسؤولها الشرعي في ريف إدلب أبو زيد، واسمه الحقيقي أسامة العبود. والعبود الذي قرر في اللقاء الثاني معه أن يكشف عن اسمه الحقيقي، يقول إن قائد «كتائب أحرار الشام» اسمه أبو عبدالله وإن أحداً لا يعرف اسمه الحقيقي ولا أين يقيم في سورية.
الجميع، في ريفَي حلب وإدلب يتحدثون عن تمتع «كتائب أحرار الشام» بدعم خارجي. ويقول قائد كتيبة في الجيش الحر في سراقب: «الأحرار متقدمون علينا في تسليحهم وفي عتادهم، وهم لا يشاركوننا في كل الأعمال العسكرية، ويُفضلون أن ينفذوا مهمات تُخاطب الإعلام، ولهذا السبب احتلوا معبر باب الهوى على الحدود مع تركيا».

وأبو زيد، المسؤول الشرعي في كتائب أحرار الشام شاب من مواليد عام ١٩٨٧ درس الشريعة في جامعة حلب، يقول إن كثيرين من زملائه في الجامعة هم اليوم مسؤولون شرعيون في الكتائب، وهو إذ أكد في اللقاء الأول أن جماعته سلفية في العقيدة، لم يشأ أن يجيب عما إذا كانت سلفية في الممارسة، على رغم تأكيده «جهادية كتائب أحرار الشام» ما يعني أنهم ليسوا من السلفية التقليدية التي تتجنب العمل العام و«الجهاد بالسلاح».

لا ينفي أبو زيد وجود «متطوعين» غير سوريين في الكتائب لكنه يؤكد أن نسبتهم قليلة إذا ما قورنت بوجودهم في كتائب أخرى. وهو يرفض الإجابة عن سؤال ما إذا كان يعني بالكتائب الأخرى جماعة «النصرة» التي يقول معظم سكان ريف إدلب إنهم قريبون من تنظيم «القاعدة» وإن بينهم مقاتلين غير سوريين من ليبيا والأردن والسعودية واليمن.

لكن المتجول في ريفَي حلب وإدلب لن يشعر بأن «كتائب أحرار الشام» هي جماعة نخبوية منكفئة عن الممارسات الاجتماعية اليومية للناس في المدن والقرى السورية، على نحو ما تفعل الجماعات السلفية الجهادية التي عهدها المرء في مناطق أخرى من العالم. يشعر المرء بأن هؤلاء هم ممثلون للإسلام التقليدي وللممارسة الدينية الاجتماعية الشائعة والسائدة منذ ما قبل الثورة، وإذا ما بالغ المرء يمكنهم أن يقولوا إنهم يمثلون هذه الممارسة في لحظة تكثيفها وشحنها سياسياً، وهم لا يضيفون للطقس الديني الشائع ما يزيد عنه أو ما هو غريب عنه. هذا الأمر الذي غالباً ما يمارسه الإخوان المسلمون في المجتمعات التي ينتشرون فيها، تفعله هذه الجماعة في ريفَي حلب وإدلب، ذاك أنه لا أثر ظاهراً للإخوان المسلمين في هذه المناطق على مختلف الصعد.

يقول أمجد وهو حلاق رجالي وجندي في الجيش الحر في بلدة بنش إنه لا يتحفظ عن انتماء شقيقه الصغير أحمد إلى «كتائب أحرار الشام»، فـ «الجميع يريدون أن يُقاتلوا، وجميعنا نصلي»، أما أحمد الذي يبدو أنه لا يميز بين سلفي وغير سلفي في إيمانه والتزامه، يقول إنه لم يُطل لحيته لأن «الكتيبة لم تُبلور بعد هويتها الدينية» ولم يُطلب منه ذلك حتى الآن. ويقول إنه يتقاضى راتباً متواضعاً نتيجة تفرغه للعمل في الكتيبة، يكفيه مصروفاً شخصياً، خصوصاً أنه لا يُدخن، في حين يُشكل التدخين عبئاً أساسياً لأصدقائه من الشباب.

من الواضح أن إشارة أحمد إلى أن جماعته لم تبلور بعد هويتها كجماعة إسلامية سلفية، تجد صداها في الكثير من وجوه أداء الجماعة. فها هو منشد التظاهرة في بلدة جرجاناز أنس حامد المنتمي إلى كتائب الأحرار حليق اللحية ويُقدم ماءً لضيوفه في يوم صيام، ويقول إن جماعته سمحت له بالغناء في التظاهرة لضرورات الثورة. وأنس الذي التقيناه في التظاهرة الكبيرة التي كان يقودها، كان شقيقه قُتل في اليوم السابق عندما دخل خطأ في منطقة يسيطر عليها الجيش النظامي.

وعناصر «كتائب أحرار الشام» متفاوتو الالتزام وقليلو الانسجام في مظهر واحد على ما يفترض انتماؤهم إلى جماعة «سلفية جهادية». إنهم من سوريي الداخل الذين لم تتح لهم خبراتهم المحدودة في العمل «الإسلامي» احتكاكاً بخبرات «السلفية الجهادية» العالمية، وهم في الوقت نفسه طامحون لوراثة جماعة الإخوان المسلمين، وهو ما يدفعهم إلى تفادي الانكفاء بمظاهرهم وأنشطتهم عن المؤمن العادي من السوريين وعن ممارسة طقس ديني تقليدي قد لا ينسجم مع الطقس السلفي في الممارسة، مع الإبقاء على «العقيدة» حبيسة النوايا، على ما تتيح السلفية من تقية.

الراية التي اختارتها كتائب الأحرار علماً لها استبدلت فيها اللون الأسود باللون الأبيض في راية تنظيم القاعدة السوداء، ولم تُجرِ تعديلاً آخر، ويبدو أن ذلك جزء من الحيرة والاضطراب في هوية الجماعة. فالكتائب قررت أنها جزء من مشهد قتال النظام السوري، وهو ما يملي عليها اتصالاً بأطراف في هذا القتال أكثر انتشاراً وقبولاً منها، وهي أيضاً تسعى إلى تمثيل الإسلام كممارسة يومية وكطقس اجتماعي ديني مع ما يملي ذلك من تفادي الاصطدام بتقاليد الناس وبعاداتهم، ما يعني أننا حيال جماعة سلفية ساعية للاستثمار في مزاج شعبي، وهو أمر جديد، ذاك أن تنازلات جوهرية من المفترض أن تقدمها هذه الجماعة في سياق اقترابها من «إيمان الشعب».

لكن، في مقابل هذا الميل ثمة مؤشرات أخرى قد تُفضي إلى انكفاء «كتائب أحرار الشام» إلى السلفية المعهودة في مناطق أخرى من العالم. إذ يبدو أن خطوطاً بدأت تتفتح مع «شقيقات» للكتائب من خارج سورية، وهو ما قد يُفقد الجماعة بعضاً من هويتها المحلية، وهو ما يعني أن بدء تسرب اللحى والأثواب الأفغانية قد يحدث.

ولعل خبر انشقاق مجموعة من «كتائب أحرار الشام» والتحاقها بجماعة «جبهة النصرة» الواضحة الوجهة السلفية الجهادية يبدو مؤشراً إلى بدء وصول «السلفية العالمية» إلى الكتائب. هذا الانشقاق حصل في مدينة سراقب، حيث لـ «جبهة النصرة» مقر في مدرسة تضمها إلى كتيبة أخرى من الجيش الحر. ويقول سكان في المدينة إن مقر «جبهة النصرة» يضم مقاتلين غير سوريين، ويُرجح أن يكونوا من ليبيا.
والانشقاق مؤشر في البيئة «السلفية الجهادية»، ذاك أنه المصير المحتوم الناجم عن «اكتمال السلفية» في جماعة غير مكتملة السلفية، فالأخيرة تدعو مريدها إلى الذهاب في إيمانه إلى أقصى النصوص، وهو ما يُفضي به لاحقاً إلى اعتقاد بتخاذل الجماعة عن اللحاق به، وسرعان ما يشرع بالبحث عن جماعة أخرى أكثر تشدداً.

من السهل أن تُصاب «كتائب أحرار الشام» بهذه المعضلة نظراً إلى هشاشة سلفيتها، ويبدو أن الطريق الوحيد لتفادي الانشقاق هو مزيد من الالتزام بالسلفية كنموذج كامل.

لكن، ثمة أيضاً شقوق محلية يمكن أن يتسرب منها الموديل العالمي للسلفية الجهادية إلى إدلب وحلب وريفيهما، تتمثل بالتجربة العراقية للكثير من الناشطين الإسلاميين من أبناء المنطقة. من سراقب وحدها قُتل ما لا يقل عن خمسة عشر شخصاً خلال سنوات «الجهاد في العراق» ويبدو أن عشرات آخرين ما زالوا على قيد الحياة، أمضى بعضهم سنوات في السجون السورية بعد أن اضطربت العلاقة بين النظام السوري وبين «المجاهدين في العراق»، ويبدو أن كثيرين من هؤلاء هم اليوم أعضاء في «جبهة النصرة» أولاً وفي «كتائب أحرار الشام» ثانياً، وهؤلاء احتكوا في العراق بخبرات «عالمية» في السلفية الجهادية، وهم مرشحون لأن يلعبوا دوراً في تزويد «المجاهد المحلي» بأذواق واعتقادات وطقوس.

لكن يبدو واضحاً للزائر أن الريف السوري ليس بيئة نموذجية لغير الإيمان المحلي، وهو لن يستدخل بسهولة الموديل السلفي. فهذه المدن الصغيرة والبلدات والقرى غير صارمة في ممارساتها اليومية، وقد يشعر المرء بأن النساء منكفئات في منازلهن لكنهن غير مقصيات ولا أثر في المشهد لمنقبات. لا فصل بين الجنسين في المنازل، والمجتمع الزراعي أخلى دوراً للمرأة في العمل.

من المرجح أن تتولى المدن الكبرى مهمة ضخ «الإيمان الجديد» إلى الأرياف، ويبدو أنها فعلت ذلك في الحقبة التي سبقت الثورة، فها هم مفتو «كتائب أحرار الشام» وقد جاء معظمهم إلى هذه البيئة الريفية من معاهد التعليم الديني في حلب وحماة، مزودين بغير النموذج المحلي في الممارسة الدينية، وبقابليات مختلفة ومتفاوتة لنقل خبراتهم إلى الريفيين.

مثال: .

«الجمهورية»

**الهوتة**

أحمد ابراهيم

لم أتخيل وأنا أقبض «مصاري» من السيّاح الألمان من أجل أن أنزل إلى قلب «الهوتة» لألتقط صوراً بكاميراتهم، أن يوماً سيأتي على معشوقتي وباب رزقي وموئل الحمام و«الطُّبَن» تكون فيه مقبرة للحم الآدمي، وخزّانَ أسرار المجرمين القتلة. الأنكى من كل هذا أنني سأنزل ليس من أجل التقاط صور لجمال الطبيعة وأسرارها؛ وإنما لالتقاط جسد أخي.

صمت عمر، عضّ على شفته السفلى وقطّب حاجبيه محاولاً تدارك دموعه. نهض.
«رايح أجيب الشاي».
احترمت لحظات إنسانيته، وألم التذكّر.
عاد وقد غسل وجهه حاملاً بيده إبريق شاي وأكواب. بادرني بالحديث: «لازم هالصندوق ينفتح. لازم تعرف الناس، كل الناس، اللي يصير علينا.. والكعبة هذا حرام».

عندما كنا صغاراً، كان الأهل يخوفونا من الهوتة والسِّعْلِوّة التي تسكنها، وكنا نتداول القصص ونجزم ونحلف أحياناً بأننا رأينا السعلوة وهي تدخل أو تخرج من الهوتة. وكان الحمام والطُّبَن يخرج رفوفاً من جوف الهوته ويعود إليها. وكنا نتداول أن الحمام لـ«السعلوة»، ومن يصطاد منه ستعرفه السعلوة وستأتي في الليل لتبتلعه بثيابه.

كنت متمرداً مثل كثيرين بعمر المراهقة. كان عمري خمسة عشر عاماً عندما قررت أن أصطاد من الحمام وليكنْ ما يكون. كبرت الفكرة في رأسي أمام تحدي أقراني. سرقنا حبالاً من أهالينا، وذهبنا إلى مسكن السعلوة. ربطت الحبل إلى خصري من جهة، وإلى صخرة كبيرة من الجهة الثانية. ونزلتُ. وهرب رفاقي باتجاه القرية. نزلت دون أن أنظر إلى الأسفل. عميقاً في جوف الهوتة بدأت أشعر بريح باردة رطبة. فكرت أنها أنفاس السعلوة. أغمضت عيني وتابعت النزول إلى نهاية الحبل. كانت الحمامات تفرّ من حولي، ويفرّ قلبي معها، ولكن ما كان يحفزني ويشجعني هو إصراري على أن أتفاخر بمغامرتي، وأن أكون محط إعجاب بنات القرية. فتحت عيني. ضوءٌ خافت جداً، أكاد لا أرى. وقفت على صخرة ناتئة. سحرني المنظر. جلست أتأمل، وتيار الهواء البارد يجتذبني إلى الأسفل نحو الجوف الأظلم. الآن أرى بيت السعلوة من الداخل: وسيعٌ عميق الجالات والمسارب. من جهة الشرق والشمال جدران مستوية لا نتوءات فيها، ومن الجنوب صخورٌ ناتئة ومغاور، ومن الغرب كذلك.

جلتُ بنظري مرات ومرات مستكشفاً، وأصغيتُ طويلاً إلى خرير المياه من الجدران، وإلى صوت تدفق نهر جارٍ يتناهي إلى سمعي من عمق الدهليز أمامي. لا أدري كم لبثت عندما قررت أن أصعد.

وضعت في حضني «جلاعيطَ» حمام، وبدأت بالتسلق. للأسف، انسحقت الكائنات الصغيرة ما بين ضغط جسمي والحائط، وسال دم على ثوبي وساقيّ.

بينما كنت أقترب من الوصول إلى فوهة الهوتة، أخذت أسمع لغطاً وأصواتاً كثيرة. بدأتُ بفكّ الحبل عن خصري، وأنا أغمض عيني وأفتحهما ليتأقلم بصري مع ضوء النهار. هناك على مدّ النظر كان أهل القرية مجتمعين، أطفال ونساء ورجال. لم يقترب أحد. فككت الحبل، وسحبته خلفي. اتجهت صوبهم. تراجع كثيرون، وهرب الأطفال. وحدها أمي ركضت باتجاهي، وعندما رأت الدم على ثيابي أغمي عليها. ووقع عليّ أن أتحمل لسعات عقال أبي على مغامرتي.

تفقدتني أمي بعد أن استرجعت وعيها في كل أنحاء جسدي، وأشاحت الفتيات بأبصارهن بعيداً عندما رفعت أمي ثوبي لتتأكد أن السعلوة لم تأكل عضوي.
مشت القرية كلها معي وأنا أسمع أحاديثهم عن البلاء الذي سيعمّ القرية بسبب اقتحامي بيت السعلوة، واعتدائي على حماماتها. أقسم بالله أكثر من عائلة هجرت القرية خوفاً.
كان ذلك صيف ١٩٩٠.

هذه أول مرة، حسب الجميع، ينزل أحد إلى جوف الهوتة. أيام ويتحول غضب أبي إلى مفاخرة. وشرع الناسُ ينسجون حكايات لم أحكِها. حكايات عمّا رأيت، وعما دار بيني وبين السعلوة، وشكلها، وعيونها التي هي بالطول، وبيتها منِ الداخل، وفراشها المكون من عظام آدمية.
هناك دائما مرة أولى لكل شيء، وهكذا تماماً هي الثورة: يجب أن ندخل إلى الهوتة، هوتة النظام و«التنظيم» (داعش)، وكل من هم على شاكلتهم. صدقني ما في سعلوة، السعلوة هي فقط خوفنا.
لم أنقطع عن الهوتة والسياح سوى للدراسة، ثم لخدمتي الإلزامية. أصبحت الهوتة مصدر رزقي من خلال الخدمات التي أقدمها للسياح.

لم أكن أعرف أن هذا الجمال سيتحول إلى مقبرة، وأن الحمام سيأكل اللحم الآدمي! أتصدق أن الحمام يأكل اللحم الآدمي؟

أول من قام برمي جثثٍ في الهوته كان فيصل البَلّو، أمير جبهة النصرة في سْلوك، وذلك يوم ٢٠١٢/٩/١٨ (صارَ من الدواعش اليوم، بعد أن اعتقلوه لشهور بتهمة السرقة. هو أمير مكتب العشائر الداعشي حالياً). أتذكر جيداً. لم نصدق وقتها. كانت اثنتا عشر جثة لعناصر من جيش النظام، قتلوا على حاجز«بير عاشق»، شرقي تل أبيض.

بعد أن ذهب فيصل ومجموعته، نزلت وثلاثة أشخاص آخرين. لم تتوقف على الحواف الداخلية للهوتة سوى جثتان؛ الأولى على عمق حوالي عشرة أمتار، والثانية على عمق خمسة عشر متراً. وفي الليل أخرجناهما ودفناهما بصمت وسرية.

سيطر تنظيم الدولة عملياً على تل أبيض بداية تموز عام ٢٠١٣، عندما خُطف أعضاء المجلس

المحلي للمدينة. وبدأ مسلسل يومي لرمي الجثث والأحياء. في هذه الفترة انتسب أحد إخوتي لتنظيم الدولة. قال ذلك وأشار إلى زاوية الغرفة حيث جسد رجل نحيف، جلدٌ على عظم، أشيب الشعر تماماً، عيناه غائرتان وساقاه كساقي طفل أصابه جوع مديد.

أذكر تاريخ ذلك اليوم، الرابع عشر من تموز ٢٠١٣. عُيّن أخي في «الحِسْبَة» في سلوك، وهي أول حسبة للتنظيم في سوريا كلها، وصار مقرباً من أبو ياسر العراقي، الأمني الأول في تل أبيض. بقي أبو ياسر هذا في وظيفته منذ أواسط نيسان ٢٠١٣ وحتى انتقاله إلى الرقة في الأيام الأخيرة من العام. وكان مسؤولاً عن عمليات خطف واغتيال النشطاء ومنتسبي الجيش الحر والتجار وأي شخص يشتمّ منه أنه يعارض التنظيم، وكان مكانه المفضل لإخفاء أجساد الأحياء منهم وجثث الأموات هو الهوتة. هذا «الرجل»، وأشار إلى أخيه، «هو ذاكرة الهوتة، ولكن لا ذاكرة له الآن كما ترى. ورحْ أحكيلك قصته بعد شوي».

تصدّق.. أكثر من ثلاثة آلاف جثّة لسوريين.. علويين، وسنّة، ومسيحيين، وأكراد، ويزيديين، ومن سلمية، ومن عفرين، ومن السويداء. من مقاتلي الجيش الحر، ومن عساكر نظام، ومن «أخوة المنهج» في جبهة النصرة، وكل من يعارض.. سوريون، كلهم سوريون. ألقيتْ أجسادهم وجثثهم في بيت السعلوة.

السعلوة الحقيقية هي داعش.
إحدى المرات، وعلى ما أذكر كان ذلك في أواخر تموز ٢٠١٣، جاء أبو أنس العراقي إلى بيتنا كي يصطحب أخي، وكان معه مسلحون جالسين في صندوق سيارة البيك–أب يحيطون بأربعة شبان من كتائب أحفاد الرسول التابعة للجيش الحر. كان الأربعة معصوبي الأعين ومكبلي الأيدي. عندما عاد أخي، روى التالي: نقلناهم نحو الهوتة، توقفنا بأمر من أبو أنس العراقي وخَلَف الذياب «أبو مصعب» (الأخير كان أمير التنظيم في تل أبيض) على بعد عشرين متراً من الهوتة. وجهوا المختطفين نحو الهوتة بعد أن فكوا القيود، وتركوهم معصوبي الأعين. قرأوا عليهم بياناً ارتجلوه بالإعفاء عنهم من قبل أبو بكر البغدادي نفسه. وطلبوا منهم أن يركضوا بأقصى سرعة، وأن يعدوا للمائة قبل أن يزيلوا الأعصبة عن عيونهم. صدّق المخطوفون الأربعة، وركضوا، ليقعوا بعد خطوات في بيت «السعلوة» وسط ضحكات الدواعش وقهقهاتهم.

بعدها بأيام قليلة أحضر أبو ياسر العراقي، وأمير الحدود مصطفى العمر، الملقب بـ «التمساح»، وعبد العزيز العمر «أبو سليمان»، أمير الشركراك، وخلف الذياب «أبو مصعب»، مجموعةً من أكراد تل أبيض. ثمانيةٌ، خمس جثث، وثلاثة أحياء، وتم رميهم. أما التهم فهي أي شيء من العدة المحفوظة لديهم، مثل الردة، ومعاداة الدولة، و الزنا، والإلحاد، وسب الذات الإلهية، والفساد في الأرض، و العمالة، وكونهم ناشطين، وصحوات، و«جيش كر»، وبككه، وأحفاد إبليس، وحتى إعلاميين.. لمجرد أنهم إعلاميين. دكانٌ كبير رفوفه ممتلئة بالتُهم.
أكثر من أُلقي في جوف الهوتة هم من شباب الرقة، وكثير ممن جرى رميهم لم يكن من المسموح معرفة أسمائهم، وعلى الأغلب لا يحضر رميهم سوى كتيبة التماسيح التي يقودها أبو ياسر العراقي.

مع الزمن وكثرة الجثث فاحت روائحٌ قاتلة، تصل إلى مسافة كيلومترات. فأحضر التنظيم أربعة عشرَ صهريج نفط خام من دير الزور، وشاحنتي قلاب تحملان أكثر من ٣٠٠ جثة، وألقاها كالقمامة وصب فوقها النفط في فوهة «الهوتة». وكانت موقدة كبيرة استمر دخانها ونارها عدة أيام. وامتلأ جو المنطقة برائحة النفط واللحم المحترق. على بعد كيلومترات كثيرة كان بإمكان المرء أن يشمّ الرائحة.

لم يدم شهر العسل بين أبو ياسر وكتيبته وبين أخي طويلاً. فقد عرف أخي أن الصناديق التي يحملها إلى الحدود التركية ليست سوى آثار منهوبة تُباع لخواجات، ولم يكن الخواجات خبراء عسكريين كما أوهموه، بل تجار آثار. وعرف أخي أن «المهاجرين» الذين يقيمون مقراتهم فوق التلال إنما كانوا ينبشون عن آثار البلد ويتاجرون بها.

بث أخي شكواه لعدد من أصدقائه في التنظيم، فقرروا أن يرفعوا شكواهم إلى «أمير المؤمنين»، ولكن الأخبار وصلت إلى أبو ياسر. عندها قام أبو ياسر بحملة اعتقالات شملت الجميع، بمن فيهم أخي الذي همس في أذن زوجته: سيرموننا في الهوتة!

كانت الساعة العاشرة من صباح ٢٠١٤/٧/١٢. ركبت «البيك آب» وتوجّهتُ إلى بيت للبدو الرحل غير بعيد عن الهوتة، ومن هناك رحت أراقب. وفعلاً لاحتْ من بعيد ثلاث سيارات باتجاه القبر الذي لا يشبع. تتقدم السيارات سيارة أبو ياسر العراقي. أعرفها. توقفت السيارات عند الهوتة مدة لا تتجاوز نصف الساعة، وغادرت. ما إن غابت عن النظر حتى كنت على مدخل الهوتة.
وقفت أصيخ السمعَ علّني أسمع صوتاً أو أنيناً، ولكن صفير الريح لم يمكنّي من سماع أي شيء.
قدتّ السيارة مسرعاً إلى سلوك. أحضرت عدة بكرات حبال، ومجموعة أبيال و«جوب» حمّالة (طبقتان من اللباد معدتان بصورة خاصة لحماية ظهور الحمالين من أكياس القمح والشعير التي يحُمّلونها...)، ورجعت إلى الهوتة. ربطت الحبل بمقدمة السيارة، لبست الجوب، وحملت بيلاً بيدي وأخر عضضت عليه بأسناني، وثالث في جيبي، وانحدرت. أنينٌ مكتوم قادني إلى أول شخص على عمق ثلاثين متراً حسبما أقدر. ركّزتُ ضوء «البيل». كان وجهه للأسفل وشلال دم ينحدر من رأسه. مددت يدي لأقلبه وأرى وجهه، ولكنه سقط في الفراغ المعتم العميق. غير بعيد ، أمتاراً إلى الأسفل، كان هناك شخص آخر. عرفت من ثيابه إنه أخي. نزلت إليه. ربطته على «الجوب» الذي على ظهري. وبدأت أصعد وكأن وزنه ليس سبعين كيلو غراماً، بل كأنني كنت أحمل كيساً من ريش. صعدت وصعدت. أقدّر أنها أكثر من أربعين متراً. وفي الخارج أنزلت جسد أخي. أتاني إحساس أنه حي. عصفٌ من أفكار يضجّ في رأسي: إلى أين سآخذه؟

دون وعي وضعته في صندوق الشاحنة وانطلقت نحو الحدود التركية عبر الطرق الفرعية، وصلتها عند المغرب. ومن هناك، وبمساعدة أحد المهربين اجتزنا الحدود، ومنها إلى المستشفى.
بعد سبعة عشر يوماً قالوا لي إنه سيحيا، وإنه مصاب بالشلل من خصره وما تحت، وفاقد للنطق وللذاكرة. وها هو كما تراه، لم يشفع له انضمامه للتنظيم. ممنوع أن تنظر في جوف السعلوة المظلم، وإنْ تصادف ونظرتّ، فهكذا هو مصيرك.. وأشار إلى أخيه

مثال:

«ناو ليبانون»

**السوريون الخمسة الذين هربوا من «أبو الموت»**

رزان زيتونة

من بين جميع الأهوال والفظائع التي وثّقتُها في معرض عملي الحقوقي، تبقى حكاية «الهروب من الجحيم» بأبطالها الخمسة، وشخصية المسخ «المقدّم أبو الموت» الذي كان مشرفًا على تعذيبهم وإعدام زملائهم، من بين الحكايات التي أستعيدها يومياً، رغم غزارة الانتهاكات الأخرى وحجم فظاعاتها، وآخرها قتل العائلات بالجملة في الغوطة الشرقية بالسارين القاتل.

رغم قسوة الشهادات التي أدلى بها الهاربون الخمسة في معرض إعدادنا في مركز التوثيق لتقريرٍ حول ما حصل، كان الموعد معهم بمثابة إحساس بالخلاص! رؤيتهم على قيد الحياة، محاولة تفسير ما حصل، والذي لا يمكن أن يندرج إلا في إطار المعجزة، أو إرادة الحياة في وجه «أبو الموت» كممثل لما شكّله نظام الأسد طيلة عقود وخلال سنتين ونصف السنة من عمر الثورة.

من بين جميع الجلادين الذين نكّلوا بالمعتقلين الخمسة وبالمئات الآخرين في فرع جوية حرستا، كان «المقدم أبو الموت» رمزاً صافياً لجهنم التي فقد السوريون أكثر من مئة ألف روح في محاولة لكسر بواباتها ومغادرتها منذ بدء الثورة.
المقدم معن، الملقّب «أبو الموت»، هو عزرائيل، هو القوة المطلقة، مانح الموت بأشكاله الأكثر فظاعة. نقيض لكل ما هو إنساني ويمتّ للحياة بصلة.
كان «أبو الموت» يستدعي المعتقلين الذي مرّ على اعتقالهم أكثر من سنة في جوية حرستا، لإخبارهم بأنهم سيذهبون إلى الأعمال الشاقة لحفر الخنادق وبناء المتاريس لجيش النظام، حتى إذا انهارت قواهم الجسدية تحت وطأة التعذيب المستمر والشغل الشاق، قام بإعدامهم بعد «التسلية» بمزيد من تعذيبهم.
لكنه لا يفعل ذلك إلا ضمن طقوس خاصة، تقضي باستدعاء المعتقل الذي جرى اختياره للموت القادم، وإجباره على تقبيل يده جاثيا، ثم وضع يده على حنجرة المعتقل وحبس نفسه لعدة دقائق، في تدريب على الموت وتثبيت لسلطة قبض الحياة التي أوكله إياها نظام الأسد.

يقول أحد الناجين في شهادته حول لقائه الأول بأبي الموت: «وجاء ضابط قصير القامة ملتح يدعى معن، برتبة مقدم وكان يلقب بـ»أبو الموت»، عندما أطل علينا قال لنا: كيف الشباب؟ قلنا له الحمد لله، قال لنا: بحب عرفكم على حالي، أنا عزرائيل، أو ليش عزرائيل، أنا الله، ستذهبون معي إلى ديار الحق، لكن باعتبار أنني الله سأطيل بأعماركم بضعة أيام».

تمكن المعتقلون الخمسة من الهرب في ليلة القدر من رمضان الفائت، أثناء عملهم في الأشغال الشاقة بالقرب من الفرع. قال أحدهم إنه لم يكن لعاقل أن يحاول هذه المحاولة، كان ذلك جنونا

خالصًا، فنقاط الحرس من حولنا والنيران انهمرت علينا كالأمطار. لكنّ ما شاهدناه في الفرع جعلنا نفقد عقولنا. وإلا لما قمنا بمحاولة الهرب.

أليس السوريون الثائرون جميعا هم المعتقلون الخمسة كي يتمردوا على «أبو الموت» قبل سنتين ونصف؟ لم يكن لعاقل أن يفكر بالتمرد على أعتى الأنظمة وحشية، والاستمرار في هذا التمرد رغم ما أبداه العالم أجمع من رغبة في انتهاء الثورة واستنكاف عن دعم الثوار وضرب عرض الحائط بمعاناة شعب بأكمله.

ينشر الإعلام الغربي مؤخراً صوراً لجماعات جهادية تقوم بإعدامات بالسلاح الأبيض، ويرى في ذلك قمة البربرية، ويبدو مصدوماً ومخدوش المشاعر تجاه تلك القسوة. لكنّ أحداً لا يملك صوراً للمقدم «أبو الموت» وهو يربط كيساً مملوءاً بالمياه بالعضو الذكري لأحد المعتقلين أثناء تعذيبه.
لا أحد يملك صوراً للمقدم «أبو الموت» وهو يفرغ بارود رصاصة على صدر معتقل ويشعل بها النار. لا أحد يملك صوراً للمقدم «أبو الموت» وهو يشعل أكياس النايلون ويجعلها تنقط على جسد المعتقل. لا أحد يملك صوراً تفوح منها رائحة اللحم المحترق حين كان المقدم أبو الموت يفرغ العصا الكهربائية في جسد المعتقل. ولا أيضا صورا للمعتقل قبيل إعدامه وهو يتوسل شربة ماء.
جميع من أعدموا ماتوا وهم عطشى.

يفضل العالم التعامل مع بشار الأسد، النموذج الأعلى لـ«أبو الموت» ومانحه سلطة سلب الحياة من أصحابها، وأن يطيل بقاءه ويغضّ النظر عن آلاف من نسخ «المقدّم أبو الموت» التي أمعنت تنكيلاً وتعذيباً وقتلاً بالسوريين طيلة سنتين ونصف، ثم يتعجّب وتتأذّى مشاعره المرهفة من رؤية جماعات مرتبطة بـ«القاعدة» تنتشر ويقوى عودها في مناطق محررة، وتمارس إعداماتها الاستعراضية بشكل علني وبالسلاح الأبيض.

تمكّن أحمد حمادة، لؤي بللور، فواز بدران، حسان نصرالله، وموفق الجندلي من الهرب من جهنم «المقدّم أبو الموت». كان ذلك أشبه بمعجزة. بتنحية حسابات العقل جانباً والمغامرة بموت أقل قسوة من الموت عطشًا، وبأجساد مزقها التعذيب ورصاصات المقدم معن.
كلما لفّني اليأس أستحضر حكاية الخمسة الناجين، ربما، لعل وعسى، يكون لدينا الوقت لأن نشهد معجزة هروبنا الجماعي من جحيم «أبو الموت» في يوم قريب.

مثال:

«المدن»

**القتال الجميل**

ضحى حسن

السلاح يستقر على الكتف، البني غارق في بؤبؤ العين، الصحراء على الجسد المدفون بالأسود، ومثله مُغطّى بأخضر البدلة العسكريّة، جسد أنثى.. جسد أنثى آخر. ملامح الوجه بارزة كالشمس، والوجه الآخر يتوارى خلف القماش، تروي الأساطير «خرجت أثينا من رأس زيوس بكامل لباسها وأسلحتها، وهي تصرخ صرخات الحرب، وعرفت بأنها إلهة الحرب وحامية المدن».

سلّطت وسائل الإعلام العالمية والعربية في الآونة الأخيرة الضوء على المقاتلات الكرديات اللاتي يقاتلن تنظيم الدولة الإسلامية، «كرديات يزرعن الرعب في نفوس الدواعش». المقاتلات الكرديات في سوريا «حسناوات» في مواجهة «داعش»، و«داعش» تتقهقر أمام المقاتلين والمقاتلات الأكراد في كوباني. «جميلةٌ صورة المقاتلة الكرديّة»، تورد صحيفة التليغراف: «داعش تخشى النساء المقاتلات في الجيش الكردي».

لكن للمسؤولة الإعلامية السابقة في أحد ألوية الجيش الحر بالغوطة الشرقية، سارة فاضل، رأي آخر: «ليه لما حملنا سلاح لندافع عن حالنا ضد النظام السوري، هاجمنا العالم بحجة اللاعنف والسلمية؟ على عكس المقاتلات الكرديات وتسليح الأكراد، الذي اعتُبر فرض واجب وفعل بطولة؟ كنا عم نموت ونتحارب من الناس حتى الي كانوا مع الثورة».

لزوم العلة

لم يكن خفياً مشاركة النساء في جبهات القتال المختلفة داخل سوريا خلال العامين الماضيين، إذ نُشرت العديد من المقاطع المصورة، والصور والتقارير الصحافية والمقالات عن مقاتلات في كل من الجيش السوري الحر، وكتائب التنظيمات الإسلامية، والفصائل الكردية المسلحة والنظام.

في حمص شكّلت عشر نساءٍ أوّل كتيبة نسائية تنضم للجيش الحر، باسم «كتيبة بنات الوليد» قبل أكثر من عامين. كما شكّل جيش النظام السوري أول وحدة نسائية، أطلق عليها اسم «لبؤات الدفاع الوطني»، وتم تدريب ٥٠٠ امرأة وفتاة، تتراوح أعمارهن بين ١٨ و٥٠ عاماً قرب مدينة حمص. وفي الرقة تأسست أول كتيبة نسائية في تنظيم الدولة الإسلامية، أطلق عليها أهل الرقة اسم «كتيبة الخنساء».

لكل هذه التشكيلات النسائية، الصيغة البصرية نفسها، أي أنَّهن مقاتلات يحملن السلاح داخل الأرضي السورية، وفي حال نظرنا إليهن بالوصف هذا، فإننا نستطيع إخراج «المقاتلات الكرديات» من متن السياق الإعلامي الرومانسي المطروح. ما يسمح بمقارنتهن مع المقاتلات الأخريات؛

فالواقع على الأرض لا يقبل بصياغة قاعدة عامة، حيث يبدو أن الأجندات السياسية تحرض على الاستثناء عن تلك القاعدة. إذ أن الكثيرين يضعون العلة في الشخص المحارب للنظام السوري، وبأنه وحده يتحمل مسؤولية تسليح الثورة السورية، أما في حالة صراع المقاتلات الكرديّات ضد «داعش»، فإنَّ التسلح أمر بطولي وفعل تحرر. إنها الإزدواجية بعينها.

وتبعاً لذلك، يصبح مبدأ العلة المرافق لتسليح المقاتلات الأكراد، ودخول قوات البشمركة للأراضي السورية، مختلف عن تسلح المقاتلات أو المقاتلين في الجيش الحر. والذي لا يقتصر في تعليل رافضي التسلح له، على تغير متطلبات الظرف الحالي، بل يختلف أيضاً في أسلوب طرحه وقوله.

وعلى الرغم من أن المقاتلات الكرديات، كنّ موجودات في ساحات القتال ضد جيش النظام السوري، إلا أن ذلك لم يكن كافياً ليستأثرن على اهتمام الرأي العام ووسائل الإعلام. وكأن الفتاة ذات الملامح الحادة، والبشرة الحنطية، حاملة السلاح التي تخوض اليوم معارك شرسة ضد تنظيم الدولة الإسلامية، خرجت من الغيب.

في الغوطة الشرقية بريف دمشق تظهر ١٩ فتاة مسلحة في الكادر التدريبي، ١٨ منهن يرتدين الثياب السوداء، ملثمات ومحجبات. فيما تجلس فتاة بلباس مدني، محجبة تغطي وجهها، وهي تلقي أمام الكاميرا إعلان تشكيل كتيبة «حرائر الغوطة الشرقية في سبيل الحرية». الفتيات لسن ضمن تنظيم الدولة الإسلامية.

ألقت أم سعيد، ٣٤ عاماً، أثناء إعلانها عن تشكيل الكتيبة، خطاباً يحمل بشكل واضح أهداف تسلحهم «الدفاع عن النفس والمدنيين ومحاربة النظام السوري»، لكنه لم يخلُ من النَفَس الإسلامي، وإن لم يكن غريباً عن الكلمات المحكية في الحياة السورية التقليدية الإسلامية. إلا أن الوضع الراهن وتصاعد الخطاب الإسلامي المتطرف، وما يرافقه من ممارسات، قد يكون كافياً ليحيد النظر عنهن كمقاتلات يجابهن الموت يومياً في معاركهن ضد جيش النظام.

وقد أسست أم سعيد، كتيبة حرائر الغوطة الشرقية، مطلع شهر آذار/مارس ٢٠١٣، وكانت قد عملت قبل العام ٢٠١١ كموظفة في قسم المحاسبة بإحدى دوائر الدولة. حازت أم سعيد على بطولة الجمهورية بالدراجات، والحزام الأسود في الكاراتيه. ونشطت في مجال الإغاثة مع بداية الثورة، وشاركت في معظم التظاهرات السلمية ضد النظام، والتي اعتقلت على أثرها من قبل قوات الأمن.

«ترتكز مهمات الكتيبة على إقامة دورات متعلقة بالإسعاف والطبابة، إلى جانب التدريب على استخدام السلاح وذلك بشكل دوري»، قالت أم سعيد. «لو فينا نطلع على الجبهات مارح نرفض هاد الشي، بس الرجال بالغوطة ما قبلو، قالولي شو ما ضل رجال لحتى تطلعو انتو. قلتلم انتو إلي وصلتونا لهون، لأنكم ما أعلنتو الشام بحالة حرب». تضيف أم سعيد: «أنا ماني إسلامية، ما بلبس

مانطو، وبدخن على الطريق، وأسست كتيبتين للشباب، وكتيبة الحرائر بتتمركز على أحد حواجز الجيش الحر مع الرجال، لكن للأسف، اليوم لا بقبلني النظام ولا الإسلاميين».

ولأن الوقائع اليوم تحمل تفاصيل كثيرة، متناقضة، متماثلة ومتغيرة في الوقت ذاته، قد يجعل من إضافة تفصيل أو إلغائه أمراً كافياً لقلب الانطباعات وردود الفعل حولها. أي أنه من الممكن أن يكون خروج الكتيبة ذاتها «حرائر الغوطة» مثلاً، بالشكل نفسه، مع تغيير بسيط في ما يتعلق بمحاربة النظام والاستعاضة عنه بقتال تنظيم الدولة، كافياً لإبرازها إعلامياً بالشكل نفسه الذي حدث مع المقاتلات الكرديات، وحصد التوافق الجماعي على حملها السلاح.

ما لا ريب فيه، أن التمايز المبني على العرق والدين والسياسة والظرف الاجتماعي، مدعوماً بأجندات إعلامية سياسية معينة، أمر محوري في حشد الرأي العام. وذلك يشبه إلى حد ما كان سائداً في القرن التاسع عشر، زمان صعود التيارات العنصرية العرقية، أي العرق الأعلى والعرق الأدنى. وعلى هذا النحو يمكننا أن نفهم كيف أن هيئات التحكيم الاجتماعية تصدر أحكاماً كان يمكن أن تدينها سابقاً.

صور المقاتلات في الجيش الحر على سبيل المثال، ربما لا تحتوي على عناصر الاستقطاب الاجتماعي والسياسي والإعلامي، على عكس صور المقاتلات الكرديات. تعلق إحدى المقاتلات في حلب، أم محمد: «مع سيطرة الكتائب المسلحة الإسلامية على المناطق المحررة، اضطررت لوضع الحجاب. قبلها كنت أغطي وجهي وراسي، لحتى ما نكشف من النظام. وكتير مقاتلات وناشطات صار معن نفس الشي، ومع هيك في مقاتلات بالجيش الحر بمناطق كتير، مانون محجبات ولا بغطوا وجهن».

يقدم لنا أصحاب النفوذ ووسائل الإعلام، نماذج وخطابات وصور ضمن سياقهم الخاص؛ أجزاء من الحقائق والظروف، وكأن كل المعطيات مكتملة التفاصيل؛ ثابتة ونهائية، لينزلق المتلقي فيها. فيُقبل مناصرو اللاعنف على التسلح في ظرفه الحالي، وتُشرع كل أشكال القتال، مادامت ضد العدو المتوافق عليه. نتاج متموضع على سلبية مقصودة أو غير مقصودة، من قبل المتلقي، أو على الأقل موجّه في ظروف محددة: إنه ضرب من التكرار الذي لا ينتهي.

تنتهي الكتابة الإخبارية بانتهاء الغاية منها، أي إيصال الخبر إلى الجمهور المستهدف، على عكس الكتابة الإبداعية التي تدوم قروناً بعد نشرها.

## المقارنة بين التغطيات والقصص الصحفية:

**الإعلام العربي – الإعلام العالمي:**

**الموضوع الأول: اختطاف الأب باولو من قبل الدولة الإسلامية**
تاريخ الحدث: ٢٩ يوليو ٢٠١٣

**المادة الصحفية:**

– جريدة الحياة
**لماذا يُعتبر الأب باولو «أيقونة الثورة» السورية؟**
الإثنين، ٢٠١٣/٨/١٢
بيروت – منى حمدان

ليس جديداً خبر اختفاء الأب باولو دالوليو، الذي فقد في سورية منذ أسبوعين. وليس جديداً خبر وجوده مع أنصار الدولة الإسلامية في العراق والشام، الجديد هو خروج تظاهرات تطالب بإطلاق الراهب الإيطالي اليسوعي في مدينة الرقة السورية، ضد جهاديين مرتبطين بتنظيم «القاعدة».
يروّج هذا اليسوعيّ الإيطاليّ الّذي أعاد في الثمانينات بناء دير مار موسى الحبشي السريانيّ الكاثوليكيّ شمال دمشق، لحوار الأديان على أرض الإسلام. لكن رسالته أصبحت مهدّدة في حرب أهليّة تشهد فصولها سورية التي جاء إليها في أواخر السبعينات. إذ قرر مغادرة الجيش الإيطالي في بلاده، والذهاب شرقاً في رحلة تأمل. وكان أول ما فعله الإقامة على ارتفاع شاهق، جاء بمتطوعين من سكان الريف المحيط ومن شباب مسلمين ومسيحيين ليعيدوا النبض إلى الجبل. ثم أصبح دير مار موسى وكرم ضيافة الأب باولو وجمعيته معروفاً في سورية.

استضاف الدير في بعض الأحيان نحو ٥٠ ألف زائر سنوياً، وغالبيتهم من المسلمين. كان الدير أيضاً ملاذاً آمناً للشباب المسيحي والمسلم الذين حلموا بمستقبل حر وديموقراطي. ثم جاء ربيع ٢٠١١، وعُقدت اجتماعات في الدير حضرها شباب من مختلف الأديان للصيام والصلاة من أجل المصالحة. ومع ازدياد عنف النظام في قمع المتظاهرين، أصبح الأب باولو أكثر وضوحاً في دعمه للثورة، إلى أن أجبر على مغادرة البلاد في حزيران (يونيو) ٢٠١٢.

هو الذي قال يوماً: «نحن من خفقت قلوبنا وأرواحنا مع الانقضاض الهمجي لبشار الأسد وجيشه على سورية ومعالمها وتراثها وآثارها. لماذا تحزنون إذا سقطت القذائف على الجامع الأموي؟ أين المشكلة؟ الخرائط والمخططات القديمة عندنا، وسنقوم بإعادة إعماره وترميمه بعد سقوط النظام. المهم أن يسقط النظام ويذهب الديكتاتور والباقي سهل». إلا أن «أيقونة الثورة» الذي تواجد في كل نشاط سوري معارض يخدم الشعب السوري خلال أزمته، أصبح فجأة أجنبياً وغريباً بالنسبة إلى

النظام السوري، فطرد خارج البلاد لأنه «خرج عن نطاق مهمته الكنسية».

وفي ٢٦ تموز (يوليو) ذهب الأب باولو إلى منطقة الرقة في الشمال السوري في مهمة سرية، لمحاورة الجبهات كلّها، الإسلاميين والكرد، المتطرفين والوسطيين، حاملي السلاح والسلميين. وفي بداية زيارته، انتشر على مواقع التواصل الاجتماعي فيلم فيديو،يمكن رؤية أهل الرقة يرحبون به ويهتفون له بحماس. ثم كتب على صفحته الخاصة على موقع «فايسبوك»: «أشعر بالسعادة لأنني موجود في مدينة محررة ولأنني استقبلت بحماس. الناس تتنقل هنا بحرية وسلام في الشوارع. آمل أن يكون هذا ممكناً في كل مكان في سورية».

كانت هذه الكلمات هي آخر ما سمعه العالم من الأب باولو دالوليو وصمت بعدها. كما كتب على لوحة بيضاء على طريق دير مار موسى الحبشي: «من هنا الزيارة روحية... شكراً لالتزامك الصمت».

– نيويورك تايمز

**اختفاء راهب ناشط في سوريا يؤجج المخاوف حول احتمال موته**

٢٠١٣/٨/١٤

BEN HUBBARD

بيروت، لبنان – شرع كاهن يسوعي إيطالي قضى عقوداً في النداء للحوار الديني في سوريا ودافع عن الانتفاضة ضد الرئيس بشار الأسد، شرع مؤخراً في مهمة جديدة: إقناع جماعة إسلامية متطرفة بضرورة إطلاق سراح الأسرى، ووقف المعارك التي تنشر العنف عبر شمال شرق البلاد.
كان ذلك قبل بضعة أسابيع، وفقد الاتصال معه حينها وتتصاعد احتمالية ما تنشره تقارير غير مؤكدة أنه قتل.

أثار اختفاء القس باولو دالوليو قلق الزعماء الكاثوليك وصولاً إلى البابا فرنسيس، الذي دعا لإطلاق سراحه وأقام الصلوات والدعاء لسلامته. كما ترك هذا الحادث صدمةً لدى العديد من قادة وناشطي وأطراف المعارضة السورية لدلالته القوية على أي موقف تقفه الانتفاضة ضد الأسد ومدى انحراف بعض أطراف الثورة الرئيسيين عن أهداف الحركة الأصلية.

«كان يخاطب الناس في الثورة: لا يمكن أن تفقد هدفنا المتمثل في بناء سوريا حرة وديمقراطية» قال فواز تللو، أحد نشطاء المعارضة المقيم في ألمانيا والذي يعرف الأب دالوليو. ويضيف السيد تللو قائلاً إن القس ذهب بعيداً جداً عندما راح يسعى لوقف إطلاق النار بين الميليشيات الكردية وتنظيم الدولة الإسلامية في العراق وسوريا المرتبط بتنظيم القاعدة.

«إنهم ليسوا مع الثورة» قال السيد تللو وأضاف «كان يحاول أن يلعب دوراً بين هذين الجانبين، وكان هذا في غاية الخطورة.»
يعتبر دالوليو آخر رجل دين مسيحي اختفى خلال الحرب الأهلية في سوريا بين متمردين يغلب عليهم الطابع السني المسلم وقوات الحكومة التي تعتمد بشكل كبير على طائفة الرئيس الأسد العلوية، وهي فرع من المذهب الشيعي.

وقد تركت الحرب في سوريا الأقلية المسيحية – والتي تشكل حوالي ٨ في المئة من ٢٣ مليون نسمة – في موقع حرج.

وفي حين عارَضَ العديد جهود الرئيس الأسد لسحق المعارضة، إلا أن المسيحيين لم يشعروا بالطمأنينة اتجاه المعارضة التي يغلب عليها الطابع الإسلامي، ناهيك عن الجماعات المسلحة المرتبطة بتنظيم القاعدة التي أظهر مقاتلوها الكثير من الفعالية في العديد من ساحات القتال.
في حين أن معظم القادة المسيحيين حاولوا البقاء على الحياد، ولكن استهدف العديد منهم.

لم يسمع شيئٌ عن الأسقف السرياني يوحنا إبراهيم، ورئيس أساقفة الروم الأرثوذكس بولس يازجي منذ خطفهم في إبريل\نيسان من قبل المسلحين الذين قتلوا سائقهم في محافظة حلب. كما أنه تم خطف كهنة آخرين، دون وجود معلومات حول مصيرهم.

الأب دالوليو، الكاهن الملتحي والمحبوب في أوساطه، والذي بلغ أواخر الخمسينيات من العمر، وقف إلى جانب أقرانه لدعم الانتفاضة ضد الأسد بعد أن بدأت في مارس آذار عام ٢٠١١. كان معروفاً جداً وذائع السيط في سوريا. عاش فيها لمدة ثلاثة عقود، تحدث فيها العربية بطلاقة مع لهجة سورية، كما أشرف على دير مار موسى الصحراوي الأثري، حيث قام بتنظيم برامج لتعزيز التفاهم بين الأديان.

«لقد بنى علاقات جيدة جداً مع جميع الطوائف، وليس فقط المسيحيين»، قال السيد تللو. «كما أن العديد من شيوخ المسلمين كانوا يعرفونه ويحبونه» مع ذلك؛ قامت حكومة الأسد بطرد الأب دالوليو من البلاد في يونيو حزيران عام ٢٠١٢، بعد أن فقدت صبرها من تعاطفه مع الانتفاضة.

سافر دالوليو إلى الرقة شمال شرق سوريا في الشهر الماضي، والتي تعتبر مركز المحافظة الوحيد الذي يسيطر المتمردون عليه، حيث هتف النشطاء لوصوله بمظاهرة ليلية حاشدة.
«ستكون الرقة العاصمة الأولى لسوريا الحرة إن شاء الله » هذا ما قاله للحشود يومها، وفقاً لمقاطع الفيديو التي انتشرت على الإنترنت.

وفي مقابلة في الرقة مع وسيلة إعلامية معارضة، قبل اختفاءه بقليل، قال الأب دالوليو إنه كان صائماً في حركة تضامنية مع مسلمي سوريا. وأضاف «نحن هنا نمارس جهاداً ديمقراطياً لإسقاط النظام». ملمحاً إلى أنه كان يشعر بالقلق من أن الانتفاضة كانت تسير في الاتجاه الخاطئ، وقال إنه كان يعمل لإيصال رسالة إلى السوريين مفادها، «أرجوكم أن تفعلوا أي شيء لتضعوا علامة الطريق الصحيح أمامنا لتحقيق الحرية التي نسعى لها جميعاً».

في ذلك الوقت، كانت أكثر جماعات سوريا تشدداً –الدولة الاسلامية المرتبطة بتنظيم القاعدة في العراق وسوريا– تقاتل الميليشيات الكردية على امتداد مساحات واسعة من شمال سوريا، اعتقلت خلالها من عارض مشروعها.

وقال فريدريك بوكرن رئيس منظمة الإغاثة والمصالحة في سوريا، ومقرها في بروكسل، إن الأب دالوليو حاول مطالبة الدولة الإسلامية بالإفراج عن المعتقلين، والتفاوض على وقف إطلاق النار مع الأكراد. وأضاف فريدريك الذي كان قد تحدث مع الأب باولو قبل اختفائه بفترة وجيزة أنه «كان هادئاً جداً في مواجهة المخاطر» «لقد كرّس حياته لسوريا وللحوار مع الإسلام. إنها أحلك ساعات في سوريا، ويمثل هذا الفريق الوجه المظلم للإسلام كما يعتبره العديد. لذا كان عليه أن يذهب إلى هناك».

وقال السيد بوكرن أنه في يوم ٢٩ يوليو، دخل الأب دالوليو مقر المجموعة في الرقة ولم يسمع عنه منذ ذلك الحين، مشيراً إلى أنه لم يؤكد معلومات حول ما حدث له.

يوم الأربعاء، نقل المرصد السوري لحقوق الإنسان – ومقره بريطانيا–، الذي يتابع الصراع في سوريا، تقارير ناشطين تفيد بمقتل الأب دالوليو. وقال مدير المرصد، رامي عبد الرحمن، أن نشطاء في الرقة «تلقوا معلومات» أن مجموعة متشددة قد قتلته، دون معلومات مكان وطريقة قتل الكاهن. ذكر البابا فرانسيس خلال صلاة مع زملائه اليسوعيين في روما الأب دالوليو بعد أيام قليلة من اختفائه. وقالت وزيرة الخارجية الإيطالية إيما بونينو الأسبوع الماضي أن حكومتها تتابع الوضع عن كثب، ولكن ليس لديها معلومات مؤكدة. وقالت في مقابلة تلفزيونية «أنا متفائلة لأنه مناطق كهذه، إذا كان لديك أخبار مؤكدة، فعادة تكون سيئة».

قلة ممن عرفوا الأب دالوليو فوجئوا بقراره في التواصل مع أكثر الأطراف تشدداً في سوريا. ستيفاني سالدانا، كاتبة من القدس، عرفت الأب دالوليو لأكثر من عقد من الزمان. وكانت قد تحدثت إليه قبل رحلته قالت أنه كان مدركاً حجم المخاطر التي تنتظره، ولكنه كان مؤمناً بأن الحوار هو الخيار الوحيد. «كيف يمكنك أن تزرع الأمل في الأماكن الكالحة؟» سألت. «هذا كان اهتمامه الأكبر. كيف يمكن كسر اليأس؟».

**المقارنة:**

**الحياة:**

– نشرت بعد ١٥ يوماً من الخطف، وقبل يومين من تقارير أفادت بأنه قد قتل في الرقة على أيدي متشددين.

– تمت تغطية هذا الحدث عدة مرات في صحيفة الحياة منذ أن وقعت حادثة الخطف في ٢٩ يوليو، من خلال تقارير إخبارية متفرقة والتي كانت في معظمها وجيزة.

– جاء المقال الرئيسي بعد أسبوعين من اختطافه، والتي كانت مقالة تعرض تأثير باولو على الثورة السورية واختفائه في مدينة الرقة.

– بعض المعلومات الأساسية حول مار موسى الذي عمل فيه باولو وأداره.

– لا يوجد مقابلات.

**نيويورك تايمز:**

– نشرت بعد ١٧ يوماً من خطف الأب باولو، وفي نفس يوم إصدار المقالة أفاد المرصد بوفاته في الرقة بفعل داعش.

– بدأت المادة بذكر حادثة الخطف، وردود الفعل الدولية (الحكومة الإيطالية، بابا الفاتيكان..) على اختفاء الأب باولو.

– قدمت المادة مقابلات مع نشطاء سوريين عرفوا الأب دالوليو عن قرب.

– كما تحدثت الصحيفة إلى رئيس جمعية إنسانية تعنى بالمساعدات في سوريا، والذي كان على اتصال بالكاهن قبل وقت قصير من اختفائه.

– قامت الصحيفة أيضاً بالتحدث إلى كاتب من القدس، كان قد عرف الأب باولو لعقد من الزمن، وكان أيضاً على اتصال معه قبل رحلته إلى الرقة.

– ذكرت المادة أيضاً الدور الذي لعبه الأب باولو قبل وبعد الثورة السورية.

– كما أشار المقال بشكل مختصر عن وضع الأقلية المسيحية في سوريا وموقفهم من الثورة. بالإضافة إلى بعض المعلومات الأساسية لخلفيات الأحداث المذكورة بالعموم.

لاحقاً بعد عام من حادثة الخطف نشرت جريدة الحياة مقالة مطولة حول الأب بالو – سبتمبر ٢٠١٤، تحت عنوان «**عاشق الإسلام الأب باولو دالوليو متجولاً بين الجزائر وفلسطين وسورية**» للصحفي عبدالناصر العايد.

ركزت المادة على : الأصول التاريخية للحركة المسيحية التي ينتمي إليها باولو.
سيرته الذاتية وعائلته.
عمله والبلدان التي زارها في حياته.
مقارنة تجربته بأخرى مماثلة لكاهن غربي في الجزائر عام ١٩٠٨.
ملخص عن عمل باولو في سوريا، ومعاملة النظام السوري له قبل وبعد الثورة السورية.

**الموضوع الثاني: مجزرة الكيماوي – الغوطة**
تاريخ الحدث: ٢١ آب ٢٠١٣

جريدة الحياة:
**١٣٦٠ قتيلاً معظمهم من الأطفال في «مجازر كيماوية» في غوطة دمشق**
الأربعاء، ٢٠١٣/٨/٢١
لندن، دمشق، بيروت – «الحياة»، رويترز، أ ف ب

أعلنت المعارضة السورية أن اكثر من ١٣٦٠ شخصاً، معظمهم من الأطفال، قُتلوا في مجازر ارتكبتها قوات نظام الرئيس بشار الأسد بقصف مناطق سكنية في الغوطتين الشرقية والغربية لدمشق بصواريخ وقذائف مزودة بغازات كيماوية سامة. وأكد شهود عيان أن قوات النظام بدأت حملة قصف «غير مسبوقة» ليل الثلاثاء–الاربعاء من مطار المزة العسكري وجبل قاسيون على الغوطة الشرقية.

واتهم «الإئتلاف الوطني السوري» المعارض المجتمع الدولي بالمشاركة مع النظام السوري في قتل الشعب السوري بسبب صمته وعجزه. وقال رئيس «المجلس الوطني السوري» جورج صبرة في مؤتمر صحافي دعا اليه «الائتلاف» في إسطنبول، إن «ما يجري يطلق رصاصة الرحمة على كل هذه الجهود السياسية السلمية ويجعل الحديث عنها نوعاً من العبث».

وشبه معارضون الحملة التي بدأها نظام الأسد بـ «حملة الأنفال» التي شنها نظام الرئيس العراقي السابق صدام حسين على مناطق كردية عراقية في ١٩٨٨، مشيرين إلى أن قوات النظام بدأت عمليات برية في حي جوبر شرق دمشق تمهيداً لاقتحام باقي مناطق شرق دمشق.

وأوضحت «لجان التنسيق المحلية» أن حصيلة القتلى بلغت ١٣٦٠ قتيلا بينهم عشرات الأطفال والسيدات، وهم: ٤٠٠ في زملكا و٣٠٠ في حمورية و١٥٠ في دوما و١٥٠ في كفربطنا و٧٥ في عين ترما و١٠٥ قتلى في المعضمية وداريا و٦٩ في سقبا و٦٣ في عربين و١٦ في جسرين وخمسة في حرستا.

أفاد «المرصد السوري لحقوق الإنسان» أن القصف الجوي والصاروخي الذي تعرضت له أطراف العاصمة أمس «لا سابق له»، وهو مستمر منذ الفجر على مناطق عديدة في ريف دمشق، مشيراً إلى أن «عدد القتلى مرشح للارتفاع». وقال مدير «المرصد» رامي عبد الرحمن، إن «هناك قوة نارية ضخمة تستخدم في القصف»، وإن هناك محاولات من قوات النظام لاقتحام معضمية الشام الواقعة جنوب غرب العاصمة، حيث أفيد عن اشتباكات بين قوات النظام والمجموعات المقاتلة المعارضة. وقالت «الهيئة العامة للثورة السورية» في بيان: «حوالى الساعة الثالثة من صباح يوم الأربعاء، قامت قوات النظام بقصف مناطق واسعة من الغوطة الشرقية بالأسلحة الكيماوية»، وقصف معضمية الشام

في الغوطة الغربية بصواريخ كيماوية أيضاً. وأضافت: «نقلت مئات الحالات إلى المستشفيات الميدانية المختلفة في بلدات الغوطة الشرقية وحتى الكادر الطبي المسعف تأثر بالغازات السامة نتيجة عدم وجود أقنعة واقية واستشهد الكثير من المصابين نتيجة عدم وجود العلاجات المناسبة والكم الهائل من المصابين».

وتحدثت لجان التنسيق المحلية عن «استخدام وحشي للغازات السامة من قبل النظام المجرم على بلدات في الغوطة الشرقية». وأضافت أن «النظام وجه بإجرام لا يوصف أسلحته الكيماوية ضد العائلات في تلك المناطق ليخنق الأطفال في أسرّتهم ولتغص المشافي الميدانية بمئات الإصابات في ظل نقص حاد في اللوازم الطبية الكافية لإسعافهم وخصوصاً مادة الأتروبين».
وبث ناشطون أشرطة فيديو عدة على موقع «يوتيوب» الإلكتروني ظهر في أحدها أطفال يتم إسعافهم عبر وضع أقنعة أوكسيجين على وجوههم وهم يتنفسون بصعوبة، بينما بدا أطفال آخرون في شريط آخر مغمى عليهم من دون آثار دماء على أجسادهم، ويعمل مسعفون أو أطباء على رش الماء عليهم بعد نزع ملابسهم وتمسيد وجوههم وصدورهم.
وظهرت في أحد الأشرطة عشرات الجثث بعضها لأطفال مغطَّين جزئياً بأغطية بيضاء ممددة على أرض غرفة، في حين يصرخ المصور «إبادة مدينة معضمية الشام بالسلاح الكيماوي». ووسط حالة واضحة من الهلع، يسأل المصور أحدَهم: «أهلي؟ أبي وأمي؟ أين هم؟».

ودعا «المرصد السوري» اللجنة الدولية الخاصة بالتحقيق في استخدام الأسلحة الكيماوية الموجودة في سورية إلى «زيارة المناطق المنكوبة والعمل على ضمان وصول المساعدات الطبية والإغاثية لهذه المناطق في أسرع وقت ممكن» والتحقيق في ما ينقله الناشطون عن استخدام السلاح الكيماوي. وأفاد صحافيون في وكالة «فرانس برس» وسكان، أن أصوات القصف سُمعت في كل أنحاء العاصمة، وأن سحابة دخان كبيرة تشاهد فوق مناطق الريف القريبة من دمشق.

من جهته، طالب رئيس «الائتلاف الوطني السوري» أحمد الجربا مجلس الأمن الدولي بعقد «اجتماع عاجل» للبحث في «المجزرة». وقال في اتصال هاتفي مع قناة «العربية» التلفزيونية الفضائية: «أطلب من مجلس الأمن الانعقاد بشكل عاجل لتحمل المسؤولية إزاء هذه الجريمة». كما طلب من لجنة التحقيق الدولية حول الأسلحة الكيماوية الموجودة في سورية التوجه إلى «مكان المجزرة المروعة».

وقال قائد «الجيش الحر» اللواء سليم إدريس إن المجزرة «جاءت رداً على بطولات الجيش الحر في الغوطة وصموده أمام محاولات قوات الأسد وحزب الله اقتحام بلداتها على رغم كثافة النيران»، لافتاً إلى أن «النظام استخدم الكيماوي عبر صواريخ أرض – أرض أطلقها من مطار المزة العسكري». وزاد أن «النظام يريد استغلال وجود بعثة التحقيق لاتهام المعارضة، لكن تعليقات مؤيدي النظام على «فايسبوك» تؤكد أن استخدام الكيماوي جاء بأمر من رأس النظام».

ودعا «الائتلاف» مجلس الأمن الدولي إلى الانعقاد فوراً لـ «إدانة جرائم النظام الجماعية بحق المدنيين من أبناء الشعب السوري وإصدار قرار تحت الفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة المتعلق بحماية الأمن والسلم الدوليين، الذي لا شك أن نظام الأسد بات الخطر الأكبر عليه في القرن الحادي والعشرين. نظام الأسد يقصف ضواحي دمشق بالأسلحة الكيماوية ويوقع مئات الضحايا من المدنيين».

وزاد في بيان أن فشل المجلس في الاضطلاع بمسؤولياته تجاه الوضع في سورية «يطرح سؤالاً حول مغزى وجود هذا المجلس في المقام الأول، ويعبر عن عجز أعضائه، ويضع ما بقي من شرعية هذا الكيان في مهب الريح». وتابع: «بعد ارتكاب النظام لمجازر جماعية ليل أمس الثلاثاء بحق مئات المدنيين العزل بدمشق وغوطتيها الشرقية والغربية، مستخدماً الأسلحة الكيماوية، فإن الائتلاف الوطني السوري يدعو الدول الأصدقاء للشعب السوري للتحرك الفوري، من دون انتظار حق النقض (فيتو) الروسي الذي يغطي مجازر النظام منذ بدء الثورة. لقد بات لزاماً أن تتضافر الجهود الدولية الصديقة بما يفضي إلى بناء تحالف جاد لإنهاء هذه المأساة وكف يد النظام عن قتل الأبرياء، ووقف مجازره المتتالية في حقهم».

كما طالب التكتل المعارض لجنة التحقيق بالتوجه فوراً إلى المناطق التي استهدفتها قوات الأسد وأدت إلى «سقوط ١١٠٠ شهيد على الأقل، وُثّقوا بالأسماء، إضافة إلى مئات المصابين بحالات اختناق غالبيتهم من الأطفال والنساء، والقيام بما من شأنه توثيق هذه الجريمة وجمع الأدلة والشهادات مباشرة من المكان الذي لا يبعد سوى بضعة كيلومترات عن مقر إقامة اللجنة، ووضع تقريرها أمام المجتمع الدولي كحجة دامغة ودليل حاسم، لا يمكن استمرار الموقف الدولي بعده على النحو الذي سارت عليه الأمور طوال أكثر من سنتين».

وشدد البيان على وجوب «عدم تأجيل زيارة اللجنة تحت أي ذريعة أو مبرر يقدمه النظام» معتبراً أن «عدم توجه لجنة التحقيق اليوم إلى تلك المناطق سيكون فشلاً للمهمة لحظة بدئها، وجريمة إضافية بحق المدنيين السوريين».

وأشارت المعارضة السورية إلى أن طائرات النظام شنت غارات على مناطق جوبر وزملكا وعين ترما وكفربطنا ودوما وحرستا شرق دمشق، وكذلك على المعضمية وداريا غرباً، بالتزامن مع قصف سائر تلك المناطق بالدبابات وراجمات الصواريخ «في حملة استهدفت مناطق مدنية من دون تمييز، واستُخدمت فيها أسلحة كيماوية، بينما تعج النقاط الطبية والمشافي الميدانية حالياً بالمئات من المصابين في ظل حصار ونقص في المواد الطبية يتطلب تدخلاً إنسانياً عاجلاً»، مشيرة إلى أن قوات الأسد تسعى إلى السيطرة على المعضمية غرب دمشق وجوبر شرقها للسيطرة على «الغوطة الشرقية المحررة، مهددة بذلك حياة أكثر من ١.٦ مليون نسمة بعد أكثر من عام على حصار يزداد شدة كل يوم».

من جهتها، نفت قيادة الجيش النظامي استخدام «الكيماوي»، وأعلنت في بيان نشرته «وكالة الأنباء السورية» الرسمية (سانا)، أن «قنوات الفتنة والتضليل وسفك الدم السوري قامت كعادتها بالادعاء كذباً أن الجيش العربي السوري استخدم اليوم الأسلحة الكيماوية في مناطق ريف دمشق». وأضافت أن «القيادة العامة للجيش والقوات المسلحة تؤكد أن هذه الادعاءات باطلة جملة وتفصيلاً، وعارية تماماً من الصحة، وتندرج في إطار الحرب الإعلامية القذرة التي تقودها بعض الدول ضد سورية».
وأكدت قيادة الجيش «إصرارها على تنفيذ واجباتها الدستورية في تخليص الوطن من رجس المجموعات الإرهابية المسلحة»، مشددة «على استكمال مهامها الوطنية في مواجهة الإرهاب أينما كان على تراب الجمهورية».

وكانت «سانا» نقلت عن مصدر إعلامي، أن «لا صحة إطلاقاً للأنباء حول استخدام سلاح كيماوي في الغوطة. وما تبثه القنوات (...) الشريكة في سفك الدم السوري ودعم الإرهاب عار عن الصحة وهو محاولة لحرف لجنة التحقيق الخاصة بالسلاح الكيماوي عن إنجاز مهماتها».

نيويورك تايمز:

**صور من الموت في سوريا، ولكن لا برهان على هجوم كيميائي**

٢٠١٣/٨/٢١

BEN HUBBARD and HWAIDA SAAD

قتل عشرات من الرجال والنساء والأطفال قرب دمشق يوم الأربعاء في هجوم يحمل مؤشرات على استخدام أسلحة كيميائية.

أرتال من الجثث، مصطفةٌ دون أن يظهر عليها أي أثر لإصابة.. المستشفيات غرقت بوجوه شاحبة لضحايا ترتعش لالتقاط أنفاسها.

وبرغم كثافة الصور المنقولة من هناك، وروايات الشهود ومسعفي الطوارئ، كان من المستحيل تحديد عدد القتلى بدقة، ومعرفة ما الذي سبب ذلك بالضبط. ألقى المتمردون باللوم على الحكومة التي نفت تورطها في الحادثة، بينما اتهمت روسيا المتمردين أنفسهم بالوقوف وراء الهجوم لتوريط حكومة الرئيس بشار الأسد.

تسربت صور الموت والخراب من سوريا، فيما يعتبر أكثر هجمات سوريا فتكاً خلال الحرب الأهلية المستمرة منذ سنتين.

أظهرت بعض الفيديوهات المنشورة على شبكة الإنترنت أجساداً بدون حياة ملفوفة بأكفانها، يظهر فيها أيضاً رضَّع بين القتلى. بعض المشاهد أتت من داخل المستشفيات المنكوبة، هناك حيث المسعفون يكافحون لإحياء الضحايا الممددة على الأرض في الممرات وعلى النقّالات.
تبيان حقيقة الهجوم وملابساته قد يغير جذريّاً مسار الصراع، ويؤثر على مستوى الدور الغربي.

وقال الرئيس أوباما قبل نحو سنة تماماً إن استخدام الأسلحة الكيميائية كان خطاً أحمر، ولكن فرضية استخدام الجيش السوري للأسلحة كيماوية اليوم لم تتمكن من إحداث أي نقلة ملحوظة في قبل البيت الأبيض.

هذا الهجوم الأخير، إلى حد بعيد أكبر ضربة كيميائية، يمكن أن تقلب الموازين – كما يأمل العديد من خصوم الأسد– ولكن كما هو الحال في سوريا، تمنع الحكومة معظم الصحفيين من العمل، والمعارضة تضيّق أكثر فأكثر على المعلومات التي يسمح بنشرها من مناطقها، لتبقى الحقيقة بعيدة المنال.

برز هذا الهجوم في ضوء وجود فريق الأمم المتحدة في دمشق، للتحقيق في الهجمات الكيميائية التي قيل إنها شُنّت سابقاً خلال الحرب. ودعت الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي وغيرهما من

القوى العالمية، المحقّقين لزيارة موقع هجوم يوم الأربعاء.

أصدر مجلس الأمن في جلسة طارئة بياناً يدعو إلى إجراء تحقيق فوري في هذه المزاعم، ووقف إطلاق النار، بدون اتخاذ أي إجراءات أخرى تجاهه.

«أستطيع أن أقول أن هناك قلقاً شديداً بين أعضاء المجلس حول هذه المزاعم، والشعور العام أنه يجب أن يكون هناك وضوح حول ما حدث، وهذا الوضع يجب أن يتابع بعناية»، قالت ماريا كريستينا بيرسيفال رئيس المجلس، بعد الاجتماع. وأضافت «اتفق جميع أعضاء المجلس أن أي استخدام للأسلحة الكيميائية، من قبل أي طرف تحت أي ظرف من الظروف، يعد انتهاكاً للقانون الدولي.»

وقال فيليب برهام، دبلوماسي بريطاني رفيع المستوى، للصحفيين في وقت لاحق خارج قاعات مجلس الأمن أن ممثلي ٣٥ بلداً على الأقل قد وقعوا رسالة إلى الأمين العام بان كي مون، تطالب السلطات السورية بمنح فريق الأمم المتحدة للتحقيق إمكانية «لوصول العاجل «إلى موقع الهجوم. ولكن السيد برهام امتنع عن تحديد الموقعين، أو الكشف عمّا إذا كان أي من الخمسة عشر عضواً في مجلس الأمن اقترح أي تدابير أقوى خلال المشاورات المغلقة.

وفي رواية المعارضة فإن الهجوم نتج عن استهداف قوات الرئيس الأسد بالغازات السامة لعدد من ضواحي شرق العاصمة دمشق، والتي يسيطر عليها المتمردون. العديد من ضحايا هذا الهجوم وجدوا قتلى في بيوتهم بحسب رواية مسعفين.

ظهرت على الإنترنت العديد من الفيديوهات التي تصور الضحايا، معظمهم من الرجال والأطفال، لكن يقول نشطاء المعارضة أن العديد من النساء قتلوا أيضا دون أن يتم تصويرهن احتراماً لهنّ.
لازال عدد القتلى الفعلي غير واضح. وقال المرصد السوري لحقوق الإنسان مساء الأربعاء إن أكثر من ١٣٠ شخصاً قد تم التأكد من مقتلهم في الهجمات التي استهدفت مناطق قرب دمشق، دون أن يمكنه تأكيد استخدام الغاز. وتشير تقديرات مجموعات أخرى من المعارضة أن عدد القتلى تجاوز ١٠٠٠ ضحية.

«لقد رأيت العديد من الأطفال ملقيين على الأسرة وكأنهم كانوا نائمين، ولكن للأسف كانوا موتى.» . قال الناشط أبو ياسين من عربين في اتصال عبر سكايب.. «كنا نعتقد أن هذا النظام لن يستخدم الأسلحة الكيميائية، على الأقل في هذه الأيام مع وجود المفتشين الدوليين» ، قال أبو ياسين ولكن هذا استهتار... النظام يقول: لا يهمني».

وقال آخرون إن المستشفيات الميدانية كانت غارقةً بأعداد هائلة من المصابين، ونفذت هذه المستشفيات من الأدوية والمستلزمات الطبية.. ناشط اكتفى بذكر اسمه الأول (محمد)، قال إن

ضحايا بلدة زملكا وحدها ملؤوا الساحات أمام أحد المساجد، لتعلوا فوقهم مكبرات الصوت التي تدعو السكان للتعرف على أبنائهم.

وعلى خلاف الفيديوهات التي تخرج من مناطق سيطرة المعارضة، لم توفِّر الفيديوهات المتعلقة بهذا الهجوم التفاصيل اللازمة لرسم صورة كاملة عما حدث هناك، فإن الفيديوهات الصادرة من هناك يوم الأربعاء لم تظهر اللحظات الأولى بعد الهجمات.

وقال خبراء إن أشرطة الفيديو لم تقدم أي إثبات لاستخدام الأسلحة الكيميائية، التي تسبب تداخلاً مع الجهاز العصبي، ويمكن أن تؤدي إلى التغوط، والتقيؤ واللعاب الشديد والهزّات.. فقط بعض من تلك الأعراض كانت واضحة في بعض المرضى».

وقال جوين وينفيلد، رئيس تحرير مجلة CBRNE التي تغطي الأسلحة غير التقليدية، «إن الجهاز الطبي في حالات التعامل مع ضحايا هجمات كيميائية تظهر عليه أعراض المرض أيضاً، الأمر الذي لم يظهر في أي من مقاطع الفيديو القادمة من هناك». وقال «إن الضحايا قد قتلوا بالغاز المسيل للدموع في مكان ضيق، أو عن طريق شكل مخفف من مادة كيماوية أكثر قوة. واقترح آخرون أن المواد الكيميائية الصناعية السامة قد استخدمت».

قال شهود من السكان المحليين إن ما زاد الوضع سوءً هو هروب السكان إلى أقبية تحت الأرض تستخدم كملاجئ من القصف الحكومي والغارات الجوية. في أحد المشاهد المصورة هناك، قال أحد المسعفين أن السكان اختبؤوا في الطوابق السفلية، حيث تجمّع الغاز وأدى إلى اختناقهم.
وأضاف: «نزول المواطنين إلى الأقبية رفع عدد المصابين والشهداء»، قبل أن تنهال دموعه، مشيراً إلى أن العديد من زملائه في الفريق الطبي كانوا ضحية للغازات أيضاً.
ولم يتضح ما إذا كان الفريق التابع للأمم المتحدة سيكون قادراً على التحقيق في هذه الهجمات الجديدة. كان الفريق قد وصل دمشق الأحد بعد أشهر من المفاوضات مع الحكومة السورية، ويؤذن له بزيارة ثلاثة مواقع محددة سلفاً فقط.

وقال البيت الأبيض إن على سوريا السماح لفريق الأمم المتحدة بالوصول إلى المواقع، وعلى من استخدام الأسلحة الكيميائية أن يحاسب. وعبّرت دول أخرى كبريطانيا وفرنسا عن قلقها بطريقة مماثلة.

وصفت روسيا الهجوم بأنه «استفزاز معدٌّ سلفاً ومدبر من قبل المتمردين الذين أطلقوا الغاز بواسطة صواريخ محلية الصنع من المنطقة التي يسيطرون عليها.

وقال بيان صادر عن ألكسندر لوكاشفيتش، متحدث باسم وزارة الخارجية «كل هذا يبدو وكأنه محاولة لخلق ذريعة بأي ثمن يمكن على أساسها مطالبة مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة للوقوف

في صف معارضي النظام وتقويض فرص عقد مؤتمر جنيف»، كما دعا إلى «تحقيق مهني ونزيه.» وأظهرت صورة واحدة على الأقل نشرت في الفيس بوك من قبل ناشط، سلاحاً يشبه صاروخاً محليَّ الصنع. لكن الميليشيات الموالية وحزب الله على حد سواء، أطلقت صواريخ على مواقع المتمردين في هذه الحرب، ويمكن أن تكون فرضاً مشتبهاً بها في القيام بأية هجمات بصواريخ بدائية على الأحياء التي يسيطر عليها المتمردون.

الجيش السوري، في بيان تلي على التلفزيون الرسمي، نفى أن يكون قد استخدم أسلحة كيميائية، واصفاً الاتهامات بأنها جزءٌ من «الحرب الإعلامية القذرة « لصالح المتمردين. وقال البيان إن المطالبات «ليست سوى محاولة يائسة لتغطية هزيمتهم على الأرض، وتعكس حالة من الهستيريا والفوضى وانهيار هذه العصابات، وأولئك الذين يدعمونها».
وقال لؤي مقداد، المنسق الإعلامي للجناح العسكري للمجلس الوطني السوري المعارض، إن الهجوم أظهر أن الرئيس الأسد «لا يكترث بأي خطوط حمراء؛ بما أنه قد تجاوز الكثير منها دون أن يبدي العالم أي رد فعل».

ودعا السيد مقداد، مجلس الأمن والقوى الدولية إلى «الارتقاء إلى مستوى المسؤولية الأخلاقية والتاريخية» لحماية المدنيين في سوريا. وأضاف «إذا لم يتحرك المجتمع الدولي الآن، فمتى إذن!».

**المقارنة:**

**الحياة:**

–التقرير الإخباري قد يكون موسعاً ، جُمعت كل المعلومات من وكالات الأنباء والبيانات الصادرة عن الجهات المعنية المحلية والدولية.

–لا مقابلات أو شهادات.

– نشرت المادة الثانية على موقع الحياة في اليوم التالي تحت عنوان «طائرات حربية تقصف مناطق «المجازر الكيماوية» والمعارضة تتحدث عن مزيد من القتلى»، ولكنها كانت أيضاً مجرد مجموعة من التقارير الإخبارية التي تم تجميعها.

**نيويورك تايمز:**

تبدأ المقالة ببضع فقرات وصفية تروي المشاهد المروعة القادمة من الغوطة بعد هجوم الكيماوي.

(يقوم بإيصال الخبر ووصف المشهد مع بعض التفاصيل)

مناقشة الانقلاب المتوقع في الموقف الغربي تجاه الحرب في سوريا نتيجة هذا الهجوم.

التركيز على حقيقة وجود فريق للأمم المتحدة في دمشق حين وقع الهجوم.

تقديم بعض المشاهدات التي تدل على استخدام الأسلحة الكيميائية من خلال لقطات الفيديو والتحدث إلى خبراء CBRNE.

ادراج التصريحات والبيانات التي صدرت من قبل مجلس الأمن، البيت الأبيض، روسيا، الدبلوماسيين، المرصد السوري، المتمردين، إعلام النظام.

مقابلات مع أحد إعلاميي الجيش الحر. ونشطاء من عربين، وناشط من زملكا، ومسعفين من الغوطة.

**الموضوع الثالث: مجزرة الشعيطات**
تاريخ الحدث: ٢٠١٤/٨/٨

جريدة الحياة:
**ناجون يروون للمرة الأولى وقائع قتل ٨٠٠ في مجزرة عشيرة الشعيطات**
الجمعة، ٢٠١٤/١٠/٣
عمر كايد

قبل أسابيع ارتكب تنظيم «داعش» إحدى أكبر المجازر المروعة في سورية. قتل المئات ذبحاً من عشيرة الشعيطات أهم عشيرة في شرق سورية. أصدر حكماً بالقتل على كل من يتجاوز عمره الأربعة عشر ربيعاً. منذ أيام وصلت إلى الأراضي اللبنانية أم ومعها طفلتها ووالدها كانوا شهوداً على ما جرى لعشيرتهم.

يحكي لنا الجد أولاً عن جغرافية المنطقة وتاريخ العشيرة. يقول إن عدد أفراد الشعيطات يناهز المئة ألف. تهابهم كل العشائر في شرق البلاد. كانت علاقتهم بالنظام سيئة حتى قبل اندلاع الثورة. لم تستطع الدولة السورية إنشاء أي مركز عسكري أو فرع أمني داخل مدينة الشعيطات. كان وجهاء العشيرة هم من ينظمون حياة الناس ويحكمون في ما بينهم.

أهم القرى والبلدات التي يقطن فيها الشعيطات هي: الكشكية وأبو حمام وغرانيج. كانت من أوائل العشائر التي أعلنت تمردها على النظام حين خرجت التظاهرات في أكثر من مدينة سورية. حاول الجيش السوري اقتحامها مرات عدة لكنه لم يستطع. كانت عيون العشيرة تنظر إلى الذهب الأسود وتنتظر مثل هذه الأحداث. سيطرت بشكل سريع على أكثر من عشرين بئراً نفطياً، أهمها حقل العمر الشهير القريب من بادية ذبيان، وحقل التنك قرب سكة القطار.

منذ أكثر من سنة بدأ عناصر تنظيم «داعش» يتسللون من العراق إلى دير الزور. كان التنظيم يخشى الاصطدام مع عشيرة الشعيطات. أبرم معها اتفاقاً ينص على تسليم القبيلة الأسلحة الثقيلة وأن لا يتعرض أي منهما للآخر مقابل عدم تدخل «داعش» بشؤونها. لكن داعش على ما يبدو كان ينتظر الفرصة المناسبة للانقضاض على القبيلة بسبب سيطرتها على آبار النفط. كان أبناء الشعيطات يدركون نوايا داعش فلم يسلموا أسلحتهم الثقيلة. قويت شوكة التنظيم كثيراً بعد سيطرته على الموصل. بايع شخص من القبيلة اسمه أبو علي الشعيطي داعش في أوائل رمضان. كان للرجل ثارات مع أفخاذ أخرى من العشيرة. فاستغل التنظيم لتصفية حساباته الشخصية. أقدم التنظيم على اعتقال عدد من الأشخاص وتصفيتهم، بعد أن وشى أبو علي بهم.

ازدادت وتيرة التجاوزات الداعشية، والتحرش بأبناء القبيلة. كان آخرها ما حصل في التاسع والعشرين من تموز (يوليو) الماضي، حين اعتقل مسلحون تابعون للتنظيم شخصاً أثناء حفل زفافه. استشاطت العشيرة غضباً، فهاجم العشرات من أبنائها أحد مراكز تنظيم «داعش» وقتلوا أمير المجموعة وهو من الجنسية التونسية، ومعه ثمانية آخرون، ثم أحرقوا المقر.

أعلن «داعش» الحرب وبدأ هجومه الشامل. دعت الشعيطات جميع العشائر للوقوف إلى جانبها لأن الخطر سيصل إليهم. لم يستجب لها أحد إلا عشيرة شويط إخوة السمرة وإحدى كتائب الجيش الحر بقيادة ناصر السخني، بينما خذلتهم العقيدات العشيرة الأقرب التي تجمعها معهم صلات نسب وقربى. نصب عناصر التنظيم المدافع على أربعة محاور، في دوير وهجين والسكة والجرذ الغربي، وبدأوا بالقصف العشوائي والعنيف على كل قرى الشعيطات. استبسل أبناء العشيرة في الدفاع عن أنفسهم، فقتلوا المئات من عناصر داعش، ودمروا الكثير من آلياتهم ودباباتهم. بعد خمسة وعشرين يوماً نفدت ذخيرة الشعيطات فتمكن تنظيم «الدولة» من التقدم.

تقول الأم إن معظم الأهالي هربوا عبر الحقول، فهناك مزارع كبيرة عبروا منها إلى نهر الفرات. أما هي وطفلتها فلم تستطيعا الهروب بهذه الطريقة، ما اضطرها إلى الخروج من أنابيب الصرف الصحي إلى ضفة النهر، وهناك كان ينتظرهم قارب يقل الفارين إلى الضفة الأخرى إلى بلدة صبيخان. يقول الجد: إن المسلحين نهبوا البيوت وسرقوا المحال التجارية والمواشي. كانت المجموعة التي دخلت إلى القرى اسمها «فرقة القصاص»، معها عدد من العملاء التابعين لأبي علي الشعيطي. كانت مهمة هؤلاء إرشاد الفرقة على قادة المجموعات، ليفجروا بيوتهم أو يقتلوهم إن استطاعوا القبض عليهم.

انتهت المعارك لكن غبارها لم ينجل. لم يعرف حجم المجازر التي ارتكبها التنظيم داخل هذه البلدات. بعد مفاوضات متكررة استمرت أسابيع سمح التنظيم للنساء بالدخول لتفقد ذويهم. تروي هذه الأم وطفلتها أهوال ما رأت أعينهم. رائحة الموت تملأ المكان. مئات الجثث في الطرقات وفي خنادق المياه المخصصة للري. بعض القتلى تمت تصفيتهم بالرصاص. ومعظمهم قتل ذبحاً بعد أن ربطت أيديهم خلف ظهورهم، ثم وضعت رؤوسهم على ظهورهم. أما أغرب ما رأت أعينهم فهو صلب بعض الشبان على الأشجار وعلى الأعمدة، حيث وضعت أيديهم بشكل يحتضن الشجرة أو العمود من الخلف ومن ثم ربطت معاصمهم. قتل هؤلاء بالسواطير كما تقول. الآثار واضحة على رؤوسهم المهشمة. تروي الأم أيضاً أن أحد أقربائها أتى من الكويت لتفقد أهله. أوقفه حاجز في منطقة العشارة. قبضوا عليه وصلبوه على إحدى الأشجار وذبحوه.

تقول البنت لأمها التي انهمرت الدموع من عينيها. أخبريه يا أماه عن أولاد عمي حمدون وهدروس كيف فقأوا أعينهم ولم يتركوا إلا رؤوسهم. لم تستطع النساء اللواتي دخلن أن يتن في هذه البلدات فعدن أدراجهن. عادت المفاوضات مع «داعش» ليسمحوا لهن بدفن الجثث. فوافق التنظيم على دخول جرافة، ووضع الرمل على الجثث في مكانها، للتخفيف من الرائحة من دون السماح لهم بحفر قبور ودفنهم فيها. أما بعض قادة المجموعات، فقد صلبهم عناصر التنظيم ولم يسمحوا بدفنهم لوقت طويل.

عدد القتلى كما يقول الجد ناهز الثمانمئة، فـ«داعش» لم يكتف بقتل من وجد داخل هذه البلدات بل طاردوهم إلى القرى المجاورة. فقتلوا في الشعفة نحو مئة شخص، وفي هجين نحو مئة وخمسين وفي العشارة نحو خمسة وسبعين وأعدموا بحقل العمر نحو خمسمئة.

واشنطن بوست

**تجاهل ثورة قبائلية سورية ضد الدولة الإسلامية يغذي حالة الاستياء العامة**

٢٠١٤/١٠/٢٠

LIZ SLY

ظهرت جليةً الكلفة الوحشية للانقلاب ضد تنظيم الدولة الإسلامية في شوارع مدينة مهملة راكدة شرق سوريا، أوائل أغسطس، على مدى ثلاثة أيام ركّز المقاتلون على الانتقام بالقصف وقطع الرؤوس والصلب، وأطلقوا النار على مئات من أبناء عشيرة الشعيطات، بعد أن تجرؤوا على الانتفاض ضد المتطرفين.
ومع توقف القتل، كان عدد القتلى وصل إلى ٧٠٠ بحسب الناجين ونشطاء، ما يجعل هذا العمل الوحشي، هو الأكثر دمويةً بين انتهاكات تنظيم الدولة الإسلامية في سوريا منذ إعلان تأسيسه قبل ١٨ شهراً.

ضعيفة كانت التغطية الإعلامية لهذه الحادثة التي تروي قصة فشل تمرّد قبيلة في قرية أبو همام، في محافظة دير الزور شرق سوريا، ملقيةً الضوء على التحديات التي ستواجه أي جهود تسعى لإقناع أولئك الذين يعيشون تحت حكم الدولة الإسلامية – في العراق وكذلك سوريا – للانضمام إلى القتال ضد هذه الجماعة الجهادية، الأمر الذي أشار إليه مسؤولون أمريكيون على اعتباره سيؤثر بشدة على الحملة ضد المتشددين، فيما إذا قدِّر لها النجاح.

منطقة أبو همام أصبحت الآن مقفرةً تماماً، العديد من الجثث مازالت مكانها على الأرض، لتقدّم ذكرى لاسعةً تقشعرّ لها أبدان المقيمين في أماكن أخرى من المصير الذي ينتظرهم إن تجرؤوا على التمرد. وبالشدة نفسها كان الصمت الدولي شبه الكامل على حمّام الدم، رسالةً لأولئك الذين يعيشون تحت القبضة الحديدية للمتشددين.

تزامنت تقارير المجزرة مع قرار الرئيس أوباما إطلاق ضربات جوية توقف تقدم تنظيم الدولة الإسلامية شرق العراق نحو عاصمة إقليم كردستان (أربيل)، فضلاً عن إنزال جوي للمساعدات الإنسانية للأيزيديين العراقيين المحاصرين ببؤس على جبل.

العديد من السوريين في المعارضة بدؤوا يتذمرون من عدم المساواة في المعاملة.

الطائرات الحربية الأمريكية نفذت ضربات جوية ضد قوات الدولة الإسلامية التي تحاصر بلدة كوباني الكردية على الحدود السورية التركية، أكثر من أي مكان آخر على خارطة حمْلَتِها سواء في العراق أو سوريا.
كما أعلنت واشنطن الأحد أن طائرات أمريكية قامت بعملية إنزال جوي لأسلحة وإمدادات طبية للمقاتلين الأكراد المحاصرين هناك.

وقال أبو سالم، الذي كان من بين رجال قبيلة الشعيطات الذين اجتمعوا في شقة مؤخراً في مدينة الريحانية على الحدود التركية، إن واشنطن قامت بالقليل من الجهود نحو مساعدة العرب السنة الذين يريدون محاربة المتشددين، لكن ذلك كان يفتقر إلى الموارد اللازمة للقيام بذلك، «لقد رأينا ما فعله الأمريكيون لمساعدة الأيزيديين والأكراد، لكنهم لم يفعلوا شيئاً لمساعدة السنة الذين يقاتلون ضد الدولة الإسلامية».

يقول أبو سالم مع غيره من رجال العشيرة إنهم لا يشعرون بحسد تجاه الأكراد لحصولهم على المساعدة، بل يتساءلون لماذا لم يتحرك أحد لمساعدتهم عندما تعرضوا للهجوم؟.. وقال أبو سراج (محام سابق، واحد أبناء العشيرة) إن بشاعة المذبحة التي لحقت بالشعيطات زرعت في الناجين من أبو همام البغض لتنظيم الدولة الإسلامية، والصورة المشوهة للإسلام السياسي الذي يمثله.. أبو سراج كمثل معظم الرجال هناك، طلب عدم نشر اسمه مكتفياً بالاسم الحركي خشية أن يتعقبه الجهاديون إلى تركيا.

«الآن نحن نكره كل من يصلّي» قال «الآن نحن نكره حتى اللحى».

ليعقِّب قائلاً إن توفير الدعم للجهود المبذولة لتنظيم المعارضين للتنظيم، ثبت أنه أمر صعب.. ثم تناول هاتفه المحمول ليريني صورة نشرت ذلك اليوم، لجسدٍ مقيدٍ مقطوع الرأس، وهو أحد أصدقائه ألقي القبض عليه عندما كان يقبِل لرمي قنبلة يدوية عليهم.

وقال «عندما ترى أقاربك يذبحون، سوف تضطر لقبول حلول وسط لم تكن على استعداد لقبولها..» وأضاف «وعندما ترى أن العالم تخلّى عنك، لن تفعل شيئاً حيال ذلك».

ويقول مسؤولون أمريكيون إن الهجمات في كوباني لم تكن بقصد إظهار تفضيل مجموعة على أخرى، ولكنها بالأحرى مثّلت لنا فرصة لاستهداف عدد كبير من المقاتلين المتشددين الذين تجمعوا في البلدة للاستيلاء عليها. وتزعم وزارة الدفاع الأمريكية قتل المئات من مقاتلي الدولة الإسلامية في أنحاء كوباني، وذلك في إطار خطة الولايات المتحدة الأوسع لاستهداف البنى التحتية والموارد الأساسية للإسلاميين في سوريا وصولاً إلى إضعاف قدرتهم على تمويل وتعزيز عملياتها في العراق.
ويبقى التركيز الرئيسي للاستراتيجية الأمريكية كما قال الجنرال لويد أوستن، قائد القيادة المركزية الأمريكية، الأسبوع الماضي، على العراق وعلى منع تنظيم الدولة الإسلامية من قلب السلطة هناك.

وقال في مؤتمر صحفي في واشنطن «على العراق تتركز جهودنا الرئيسية، ويجب أن تكون كذلك ... والأشياء التي نقوم به الآن في سوريا يجري القيام بها في المقام الأول للتأثير على الأوضاع في العراق».

وقد عززت هذه التعليقات، التصور بين السوريين والقائل بأن الحرب التي تقودها الولايات المتحدة، لا تضع مصالحهم نصب أعينها. وقال ستيفن هايدمان من معهد الولايات المتحدة للسلام، إن الخلافات حول مقاصد واتجاه مخاطر الحرب أدت إلى نفور العديد من الجماعات المتمردة التي كانت تشارك في قتال تنظيم الدولة الإسلامية قبل أن تتدخل الحكومة الأمريكية.

وقال «لقد أصبح بالفعل عائقاً».. مضيفاً «لا أعتقد أن الإدارة مدركة تماماً لحجم الضرر الناتج عن الطريقة التي تدار بها هذه الحملة، على العلاقات التي عملوا على بنائها هم أنفسهم مع بعض هذه الجهات».

«لقد انتهينا» قال هايدمان.

يبدو أن المناطق السنية التي يحتلها تنظيم الدولة الإسلامية في سورية، تمثل أرضاً أخصب للتمرد على التنظيم من مثيلتها في العراق، حيث يتوسع المتطرفون على الأرض هذا العام، مستفيدين من مساعدة متمردين وقبائل سنية محلية ساءها سلوك الحكومة العراقية التي يسيطر عليها الشيعة.

في المقابل، في سوريا جاءت فتوحات تنظيم الدولة الإسلامية على حساب المتمردين المحليين الذين سبق أن قاتلوا لطرد حكومتهم، ليهزموا على يد الجماعة المتطرفة الناشئة حديثاً، والتي فاقتهم تسليحاً وقوة.

قبيلة الشعيطات كما العديد من الآخرين في محافظة دير الزور الغنية بالنفط والمحاذية للحدود مع العراق، قضت قسماً كبيراً من هذا العام تقاتل للحفاظ على السيطرة على منطقتها ضد تعديات تنظيم الدولة الإسلامية، وربما كانت ستنجح في ذلك لو لم يتمكن التنظيم من اجتياح مدينة الموصل العراقية في حزيران. يقول متمردون. حيث نقل سريعاً كميات هائلة من الأسلحة الأمريكية التي استولى عليها التنظيم عبر الحدود إلى سوريا، يقول أبو سالم، الذي كان قائداً لكتيبة متمردة في المنطقة قبل هروبه إلى تركيا.
«بعد أن استولوا على الموصل، كانت النهاية» أضاف أبو سالم.

ويقول أبو عبد الله، أحد مقاتلي العشيرة سابقة، إن أبو همام ومجموعة من القرى المجاورة لها تعرضت لهجمات بعد وصول أسلحة جديدة من العراق. وقال «أدركنا أنه لا أمل لدينا. كنا محاصرين. أردنا إنقاذ شعبنا «واصفاً كيف وافقوا على هدنة مع المسلحين في منتصف يوليو/ تموز. وبحسب أبو عبد الله فقد سمح لتنظيم الدولة الإسلامية بدخول المدينة، وإقامة حامية له، لتبقى المسؤولية عن المناطق بيد القادة المحليين.

توترت العلاقات سريعاً، قال أحد رجال العشيرة المقيم في الريحانية. وبدأت الأزمة عندما جَلَدَ مقاتلو تنظيم الدولة الإسلامية رجلاً من السكان كعقاب له بعد القبض عليه وهو يدخن السجائر

في الطريق، والتدخين جريمة بموجب تفسير تنظيم الدولة الاسلامية المتشدد للشريعة الإسلامية، فغضب شقيق الرجل وأطلق النار على دورية لتنظيم الدولة الإسلامية، مما أسفر عن مقتل أحد مقاتليه.

ألقي القبض على شقيقه وقطع رأسه في العلن، الأمر الذي أدى إلى تصاعد الغضب، فتظاهر السكان أمام مقر تنظيم الدولة الإسلامية، مما أجبر المقاتلين على الفرار ليعودوا مع التعزيزات، وبدأ القصف على المدينة بالمدفعية واستولوا عليها الشهر الماضي.

بعد ثلاث أيام من الحصار، دخل مقاتلو التنظيم إلى البلدة، جمعوا من بقي على قيد الحياة من الرجال والأولاد ممن تجاوزت أعمارهم الـ١٥ عاماً، ليجلسوا ويحضّروا طريقة إعدامهم، كما يروي المقاتل نفسه.

وتظهر مجموعة من الصور المنشورة على مدونة، تنظيم الدولة الإسلامية يتفاخر في طرق القتل المختلفة لرجال العشيرة؛ قطع الرؤوس، إطلاق النار الغزير، والصلب. ويظهر شريط فيديو منشور كيف قام المسلحون بصف العشرات من الأسرى على الطريق مكبلي الأيدي، ليتم قطع رأس كل منهم، واحدا تلو الآخر... الجلادون يتحدثون اللهجات التونسية والمصرية والسعودية، ويسخرون من الذين لم يقتلوا بعد، حيث يلوحون بالرؤوس المقطوعة أمام وجوههم ويقولون لهم «إنه دوركم المقبل.»

ورجال العشيرة مثلهم مثل العديد من المقاتلين المتمردين الآخرين من دير الزور، يعيشون الآن في تركيا، أو في مكان آخر في سوريا، وهم من تمكنوا من التسلل بعيداً، مستخدمين بطاقات هوية مزورة، أو باتباع طرق تهريب حفظوها منذ معركتهم ضد الحكومة.

وقالوا إنهم يخططون لعودتهم للانتقام والقتال، دون أن يعولوا على الدعم الدولي.

وقال أبو سالم، قائد المجموعة «نحن أبناء القبائل. ولن ننسى الانتقام أبداً»، وأضاف «سنقوم بذلك بأنفسنا وبطريقتنا الخاصة، ولن نقبل بأي مساعدة من أحد.»

**المقارنة:**

**الحياة:**
غطّت صحيفة الحياة العربية مذابح الشعيطات التي استمرت لمدة ثلاثة أشهر من خلال تقارير المرصد السوري، والمعلومات القادمة من وكالات الأنباء فقط.
في ٢٩ أغسطس. نشرت الصحيفة خبراً حول سياسة الولايات المتحدة ضد داعش في المنطقة، مشيرةً إلى مجازر الشعيطات في سياق المقارنة بين ردود أفعال أمريكا والمجتمع الدولي اتجاه مجازر أخرى ارتكبتها داعش في أماكن مختلفة من العراق وسوريا.
تسلط هذه المادة الضوء أيضاً على دور هذه السياسة المساهمة بازدهار داعش.

**واشنطن بوست:**
الزاوية الرئيسية للمقالة تدور حول «ثمن الوقوف في وجه الدولة الإسلامية»
يتناول المقال الحقيقة المروعة لتنفيذ الإعدام بأكثر من ٧٠٠ شخص، واصفاً مشاهد الإذلال الدموية، والانتهاكات التي يرتكبها مقاتلو داعش الأجانب (تونسي، مصري وسعودي) –اللهجات التي ظهرت في الفيديوهات القادمة من قرى وبلدات الشعيطات– الأسباب الكامنة وراء المذابح.
أجرت الصحيفة مقابلات، وأخذت شهادات من مقاتلي الشعيطات الذين استطاعوا الفرار إلى تركيا.
الإشارة إلى الصمت الدولي على حمام الدم.
الجوانب السياسية لهذه الأحداث، وعدم المساواة في المعاملة من قبل حكومة الولايات المتحدة تجاه الجماعات المحلية التي تقاتل داعش في المنطقة. مما يزيد من حجم الفجوة. ويزيد من صعوبة إقناع أولئك الذين يعيشون تحت حكم الدولة الإسلامية – في العراق وكذلك سوريا – للانضمام إلى القتال ضد هذه الجماعة الجهادية.
لاحقاً نشرت جريدة الحياة اللندنية مقابلة مع أحد الأسرى الناجين من المجزرة، تحت عنوان «يروون للمرة الأولى وقائع قتل ٨٠٠ في مجزرة عشيرة الشعيطات»، غطّت المادة نطاقاً واسعاً في الجانب الإنساني من الحادثة، ووصفت مشاهد مروعة عن المجازر، كما ذكرت المادة بعضاً من الحوادث السابقة وقعت بين داعش والشعيطات والتي أدت في النهاية إلى انفجار الموقف.

**الموضوع الرابع: دي ميستورا حلب – خطة تجميد الصراع**
تاريخ الحدث: ٢٠١٤/١٠/٣١. التغطية على مدى ٤ أشهر من إطلاق المبادرة

جريدة الحياة
**لماذا اختار دي ميستورا حلب نقطة بداية لمبادرته؟**
الأربعاء، ٢٠١٤/١١/١٢
من إعداد عباس عبد الكريم

قدّم مبعوث الأمم المتحدة ستيفان دي ميستورا في ٣١ تشرين الأول (أكتوبر) «خطة تحرّك» في شأن الوضع في سورية إلى مجلس الأمن، تقضي «بتجميد» القتال في بعض المناطق، خصوصاً مدينة حلب، للسماح بنقل مساعدات والتمهيد لمفاوضات بين المعارضة والنظام.

وزار المبعوث الدولي سورية الأحد الماضي، وطرح خطته على المسؤولين السوريين على رأسهم وزير الخارجية وليد المعلّم والرئيس بشار الأسد . ولكن لماذا اختار حلب دون المدن السورية الأخرى لتكون نقطة بداية لمبادرته؟

وصلت الثورة إلى حلب متأخرة، ويعود ذلك إلى أسباب عديدة منها مكانتها كمركز اقتصادي وتجاري حيث كانت تعتبر العاصمة الاقتصادية لسورية وشريان حياة الشمال السوري ومركز المعامل الصناعية الكبيرة وأصحاب رؤوس الأموال الموالين للنظام السوري. ولكن بعد المعارك التي شهدتها المدينة، تراجع دورها الاقتصادي ما ترك أثراً سلبياً على الاقتصاد السوري ككل.

وفي تصريحاته خلال زيارته الأخيرة إلى سورية، أوضح دي ميستورا سبب اختياره حلب لتكون المدينة الأولى التي يطرح فيها مبادرة لوقف القتال، عازياً ذلك في شكل أساسي إلى كونها «تحت الضغوط منذ أعوام وفي نزاع مستمر»، وإلى مخاوفه من أن تلقى حلب مصير حمص من دمار هائل رآه الموفد الدولي بأمّ عينه أثناء زيارته المدينة الواقعة وسط سورية.

وقال دي ميستورا: «لا نريد أن يحصل ذلك في حلب، ولهذا السبب طرحت المبادرة، وهي السبيل الجديد لوقف تصعيد العنف، خصوصاً في منطقة محددة تبدأ في حلب».

وسيطر تنظيم «الدولة الإسلامية» (داعش) على مناطق واسعة من ريف حلب بعد معارك مع فصائل في المعارضة المسلحة وقوات النظام السوري. ويبدو أن لدى الموفد الدولي مخاوف من توجّه لدى «داعش» لاستهداف حلب، وهو ما ألمح إليه بقوله: مع «دخول تنظيم داعش على الخط، علينا القيام بشيءٍ ما حيال هذا الوضع، لأن حلب مدينة ترمز إلى الحضارة والأديان والثقافات السورية والتاريخ والحضارات المتعددة».

وطرح دي ميستورا خلال زيارته الثانية إلى دمشق، الخطة على الأسد الذي اعتبرها «جديرة بالدرس، وبمحاولة العمل عليها من أجل بلوغ أهدافها التي تصب في عودة الأمن إلى حلب».
وقال الموفد الدولي إن «النظام ينتظر اتصالنا بالأطراف المعنيين الآخرين والمنظمات والناس والأشخاص الذين سنتحدث إليهم من أجل المضي بهذا الاقتراح إلى الأمام».

وكشف مصدر سوري رسمي لصحيفة «الوطن» السورية أن «المبادرة محصورة بأحياء المدينة ولا تطال ريفها حيث يتابع الجيش السوري عملياته في محاربة الإرهاب».

ولم يتضّح بعد ما إذا كانت المبادرة تنصّ على انسحاب المقاتلين المعارضين من حلب إلى مدن أخرى على غرار ما حصل في حمص القديمة، كما لم تتضح كيفية التعامل مع أي خرق لوقف القتال، وهو ما لفت إليه المصدر السوري نفسه الذي قال إن «مصطلح تجميد القتال لا يعني إغفال أي خرق للمبادرة من قبل المسلحين، فالجيش سيرد على أي إطلاق نار أو اعتداء بالطريقة التي يراها مناسبة ومن دون تردد».

وتباينت المواقف داخل المعارضة السورية من مبادرة دي ميستورا، إذ اعتبرها رئيس الائتلاف الوطني هادي البحرة «غير واضحة»، طالباً أن تكون شاملة.

من جهته، حدد رئيس «المجلس العسكري في حلب» التابع لـ«الجيش السوري الحر» العميد زاهر الساكت أربعة شروط للتهدئة في المدينة هي «وقف إلقاء البراميل على أحيائها وإطلاق سراح المعتقلين ومحاسبة المسؤولين عن استخدام السلاح الكيماوي في غوطة دمشق».

وترافق هذا الموقف، مع إعلان ١٤ فصيلاً مسلحاً من المعارضة السورية في المدينة تشكيل «مجلس ثوار حلب» لتشجيع الفصائل الأخرى على التوحّد.

وفي جميع الأحوال، أقر دي ميستورا بأن خطته إذا ما نفّذت، تبقى خطوة أولية وليست خطة سلام، مشدداً على أن «القول بأننا نملك خطة للسلام طموح ومضلل. لكن لدينا خطة للعمل تبدأ من الميدان: أوقفوا القتال وقلّصوا العنف».

واشنطن بوست

**مبعوث الأمم المتحدة إلى سوريا يقترح رسمياً وقف إطلاق النار في حلب**

٢٠١٤/١١/١١

HUGH NAYLOR

قدّم موفد الأمم المتحدة إلى سوريا يوم الثلاثاء اقترحاً رسمياً (خطة عمل) لوقف إطلاق النار في مدينة حلب المحاصرة، والذي يمكن أن يكون بمثابة خطوة نحو حل أوسع للحرب الأهلية الدائرة. وقال ستيفان دي ميستورا متحدثاً من العاصمة السورية، إن مثل هذا الإجراء سوف يساهم في بناء الثقة التي يمكن أن تستخدم «بوصفها لبنة في اتجاه حل سياسي» في النزاع البالغ من العمر أربع سنوات تقريباً، والذي أسفر عن مقتل ما يقدّر بنحو ٢٠٠٠٠٠ شخص.

وقال في ختام زيارة استغرقت ثلاثة أيام إلى سوريا: «هذه طريقة جديدة لرؤية وتطبيق ما كنّا نأمل في تحقيقه من وقفٍ لتصعيد العنف»، وأضاف إن الحكومة أبدت «اهتماماً بنّاءً»، على الرغم من أن المتمردين السوريين أعربوا عن شكوكهم بشأن الخطة.

يوم الاثنين، ناقش دي ميستورا الفكرة خلال لقاء في دمشق مع الرئيس السوري بشار الأسد، الذي اعتبرها «تستحق الدراسة»، وفقا لوكالة الأنباء السورية التي تديرها الدولة.

أن تبدأ خطة كهذه في مدينة لها قيمة رمزية كحلب، التي كانت سابقاً القلب التجاري السوري، والتي تحولت في العامين الماضيين لنموذج يجسد الخراب الذي أحدثه الصراع. حيث تشبث المقاتلون المعتدلون بمدينة حلب نسبياً على الرغم من تطويقها تدريجياً على أيدي المقاتلين الإسلاميين الراديكاليين، والقوات الموالية للحكومة التي كثفت هجماتها على المدينة في الأسابيع الأخيرة.

الاتفاقات الماضية قوبلت بالشكوك من قبل الجماعات المتمردة التي تتهم نظام الأسد بخرقه لها بانتظام.

رفض إسلام علوش، المتحدث باسم الجبهة الإسلامية، وهي مظلة تجمع المقاتلين المتمردين، القول بأنه مجرد «نقاش في وسائل الإعلام.» وقال إنها ستكون مبادرة ناجحة إذا كانت في الواقع «ستوقف عمليات القتل» والقنابل «التي تلقى بواسطة طائرات الأسد».

اقترح دي ميستورا لأول مرة فكرة وقف إطلاق النار في الأمم المتحدة في نيويورك الشهر الماضي. وقال إن تجميد القتال في بعض المناطق التي مزقتها الحرب في سوريا سوف يساعد العاملين في المجال الإنساني على تقديم المساعدات للسكان. الهدنة أيضاً يمكن أن تكون وسيلة للتقدم للتوصل إلى تسوية سياسية أوسع، والذي كان أمراً بعيد المنال.

في خطابه الثلاثاء، أشار دي مستورا أيضاً إلى الجماعات المتطرفة (الدولة الإسلامية وجبهة النصرة –التابعة لتنظيم القاعدة–)، كونها المستفيدة من عدم الاستقرار في سوريا، قائلاً إن خطته يمكن أن تساعد على تجنّب «التهديد الحقيقي للإرهاب».

كما أعرب عن صدمته لما رآه في حمص خلال زيارة قام بها إلى القسم الغربي من المدينة. «هل زرت حمص؟ هل رأيت مستويات التدمير؟ هل رأيت حجم التدمير المرعب في مدينة جميلة؟ نحن لا نريد أن يحدث ذلك في حلب».

في مايو، أخلت قوات المعارضة حمص كجزء من اتفاق وقف إطلاق النار، بعد حصار وحشي من قبل قوات النظام التي دفعت بالعشرات من السكان إلى حافة الجوع. العديد من المتمردين يعتبرون مثل هذه الهدنة اتفاقات استسلام، أو تجويع.

يبدو أن أولئك الذين يسعون لنهج جديد، مجبرون على العمل وفق عوامل جديدة في المعادلة السورية – سرعة انتشار الدولة الإسلامية وتدخل تقوده الولايات المتحدة لمواجهة ذلك – على الرغم من أن نظام الأسد يبدو أنه يحقق المزيد من الانتصارات على المتمردين المعتدلين، إلا أنه يعاني من انتكاسات كبيرة على أيدي الجماعات المتطرفة، بما في ذلك سيطرة الدولة الإسلامية على القواعد الجوية الحكومية، وحقول النفط. وفي الوقت نفسه فإن رفض تركيا – منذ فترة طويلة – الانخراط مباشرة في النزاع السوري، كان مصدراً لبعض الراحة للأسد.

وقال إميل حكيم، المحلل الأمني بشؤون الشرق الأوسط في المعهد الدولي للدراسات الاستراتيجية – ومقره لندن–، إن اقتراح وقف إطلاق النار في حلب يمكن أن «يخفّض مستويات العنف»، لكنه أضاف في إشارة إلى تفتيت قوات المعارضة إلى أن «هذه الهدنة تميل إلى أن تنهار بسرعة كبيرة، كما يمكن أن يكون له تأثير سلبي على التمردين، وتؤدي إلى كسرهم وتشتيتهم أكثر «.

وقال حسن حسن – محلل للشؤون السورية في معهد دلما، يتخذ من أبو ظبي مقراً– إن مقترحاتٍ مثل التي طرحها دي ميستورا، يمكن أن تكون ناجحة إذا ما نُفِّذت بشكل صحيح. وأضاف «مع إرادة جدية من المجتمع الدولي، من الممكن لمثل هذا التجميد أن يكون جزءاً من خطة تعزيز الاستقرار في المناطق الخاضعة لسيطرة أي من النظام أو المتمردين المعتدلين».. «المهم هنا الحفاظ على المناطق وإبقائها خارج متناول المتطرفين».

**المقارنة:**

كلتا الصحيفتين ناقشتا موضوع مبادرة المبعوث الدولي «تجميد الصراع».
(لماذا حلب؟ إلى أين سيؤدي ذلك؟ كل الصعوبات والعقبات والتعقيدات التي تواجه الخطة؟).

**الحياة:**

– لم تتضمن أي مقابلة مع أي من الأشخاص المعنيين.
– جميع الاقتباسات هي من بيانات رسمية صادرة من المعارضة، الأمم المتحدة، النظام.. إلخ
– لم يناقش المقال ما سيحدث في حال تم الاتفاق أو في حال فشل.

**واشنطن بوست:**

– مقابلات مع شخصيات من المعارضة واثنين من المحللين من في معاهد البحوث السياسية.
– تضمنت شرحاً لجوانب هذه المبادرة، وتأثيرها السلبي على المعارضة في حال تم تنفيذها كسابقاتها.

جريدة الحياة

**عوائق أمام خطة دي ميستورا**

الثلاثاء، ٢٠١٤/١٢/٩

حسين عبد العزيز

يحاول المبعوث الأممي إلى سورية ستيفان دي ميستورا اختراق الرمال الوعرة للأزمة، مستعيناً بتجربته في العراق وكوسوفو ولبنان وأفغانستان، وذلك عبر خطة طموحة لا تتضمن أية أبعاد سياسية أو عسكرية آنية، وإنما تهدف إلى تثبيت الوضع الميداني القائم.

خطة دي ميستورا لتجميد الصراع جاءت إثر قراءة عميقة للوضع السوري ومشاورات غير رسمية مع أطراف إقليمية ودولية ومؤسسات مدنية، بعد بلوغ الأزمة السورية مستوى عالياً من التعقيد والتشابك بحيث يستحيل إنهاؤها عبر عمل عسكري مباشر أو عمل سياسي مباشر.

ليست خطة دي ميستورا مقدمة لإنشاء مناطق عازلة وفق ما تطالب به المعارضة وتركيا منذ زمن، ولا هي شبيهة بالمصالحات التي يقوم بها النظام في بعض المناطق وتنتهي بسيطرته عليها. إنها خطة تهدف إلى الحفاظ على الوضع الميداني بين القوى المعتدلة والنظام، ومحاولة تعميمها إذا كتب لها النجاح إلى مناطق أخرى.

أهمية الخطة أو المبادرة أنها تبدأ من الأرض، وليس من المستوى السياسي، كما كان الحال مع الأخضر الإبراهيمي في «جنيف ٢» وقبله كوفي أنان مع خطته ذات البنود الست، بل على العكس يمكن القول إن دي ميستورا الذي يمكن وصفه بـ «الماركسي» يعمل على ربط النجاح السياسي في المراحل البعيدة بمدى نجاح خطته على الأرض في المرحلة المقبلة.

كما تنبع أهمية هذه الخطة من أنها تتضمن بشكل أو بآخر مضامين المبادرات الإقليمية، سواء مبادرة الجامعة العربية عام ٢٠١١ أو خطة إيران التي طرحت في نهاية عام ٢٠١٢ أو حتى بعض مضامين اتفاق «جنيف ١» و «جنيف ٢»، فضلاً عن مضامين بعض القرارات الدولية حول سورية.

غير أن اختيار حلب التي يواجهها عوائق كثيرة قد تحيل خطة دي ميستورا إلى سراب وتضعه في الوضع الذي كان فيه سلفاه الأخضر الإبراهيمي وكوفي أنان، ومن هذه العوائق:

- وجود أكثر من عشرة فصائل عسكرية في مدينة حلب وريفها وهي لا تجتمع على هدف واحد وإن كانت محاربة النظام العنوان العريض لها.

- وجود «داعش» و«جبهة النصرة» أيضاً، وهما تنظيمان لهما أهدافهما الخاصة ولا يأتمران بأوامر من أحد ويصعب إن لم يكن من المستحيل إجبارهما على تجميد القتال.

ـ تنوع أشكال تواجد النظام في المنطقة من جيش نظامي إلى قوات حليفة كـ «حزب الله» وقوات فلسطينية، إلى مدنيين تابعين للنظام يمكن تسليحهم فوراً.

ـ تداخل جبهات التماس بين الفصائل المسلحة من جهة وبين هذه الفصائل والقوات النظامية من جهة أخرى.

ـ كيف يمكن مراقبة تجميد القتال ومعرفة من لم يلتزم بذلك على وجه التحديد من دون وجود قوات حفظ سلام.

ـ تنفيذ الخطة خارج إطار الأمم المتحدة حيث لن تأتي وفق قرار من مجلس الأمن سواء كان تحت الفصل السادس أو السابع، بسبب اعتراض موسكو على ذلك خشية تكرار نموذج كوسوفو وحدوث تدخل عسكري دولي إذا فشل تجميد القتال.

ـ تباين مواقف الأطراف من الغاية من تجميد النزاع، حيث يسعى النظام إلى تطويع خطة دي ميستورا لصالحه من خلال اختزالها في محاربة الإرهاب، وهذا سبب إصراره على ضرورة تنفيذ قراري مجلس الأمن ٢١٧٠ و ٢١٧٨ المتعلقين بمحاربة الإرهاب. ومفهوم محاربة الإرهاب مفهوم فضفاض لدى النظام حيث يشمل كافة المسلحين الذين يقاتلونه، في حين تسعى الفصائل المعارضة لا سيما «الجيش الحر» إلى ربط تجميد القتال بتنفيذ القرار الدولي ٢١٦٥ الذي يتضمن وقف القصف من قبل النظام وعدم تحريك قواته وإطلاق سراح المعتقلين.

ـ غياب الثقة بين الأطراف الإقليمية الداعمة للنظام من جهة والفصائل المسلحة من جهة ثانية، وهذا الأمر يتطلب جهوداً ديبلوماسية كبيرة للوصول إلى تفاهم حولها.

واشنطن بوست

**إنهاء الحرب في سوريا، للأمم المتحدة تطالب، وروسيا تدفع بالدبلوماسيين**

٢٠١٥/١/١٥

LIZ SLY

حذر مسؤول كبير في الأمم المتحدة الخميس من مغبة السماح للحرب في سوريا بالاستمرار لسنة أخرى دون رادع. في وقتٍ كثفت فيه روسيا تحركاتها الدبلوماسية داعية لإنهاء الصراع المدمر خلال عام.

التوقعات بنجاح الجهود الروسية التي فشل بتحقيقها الآخرون منخفضة: الفصائل مازالت منقسمة، وجماعات المعارضة الرئيسية تقول بأنها لن تشارك في أي محادثات مع الحكومة السورية والتي تخطط موسكو لاستضافتها نهاية الشهر.

قال المبعوث الخاص للأمم المتحدة ستيفان دي ميستورا للصحفيين في جنيف يوم الخميس انه «كان يأمل، أكثر من أنه يتوقع» وإن المحادثات ستصل على الأقل إلى بداية لنهاية الصراع الذي أودى بحياة ٢٢٠٠٠٠ شخص وإصابة أكثر من مليون، وأجبرت ما يقرب من نصف السكان السوريين إلى الفرار من منازلهم.

وأشار إلى هجمات الأسبوع الماضي في باريس على أنها واحدة من عواقب الفشل في نهاء الصراع الذي ساعد في إذكاء التطرف الذي ألهم بشكل مباشر وعلى الأقل واحد من المسلحين الفرنسيين. «لهذا فهو من الضرورة أن نرفع حالة التأهب اليوم».

كما أشار إلى المبادرة الروسية على اعتبارها الجهود الدبلوماسية الوحيدة حالياً التي تسعى لإنهاء الحرب، والأولى منذ أن انهارت المحادثات التي تدعمها الولايات المتحدة في جنيف قبل عام. وأضاف «نحن ندعم أي مبادرة، وهذه تعتبر مبادرة جادة، كما نأمل».

تلقت الدبلوماسية الروسية دفعةً الأربعاء الماضي عندما أبدى وزير الخارجية الأميركي جون كيري تأييده للمبادرة في محاولة لجمع الطرفين المتحاربين معاً مرة أخرى. وقال عقب اجتماعه في جنيف مع دي مستورا «نأمل أن تكون الجهود الروسية مفيدة».

تحمل المبادرة هدفاً متواضعاً، هو جمع ممثلي المعارضة والحكومة لإجراء مناقشات مفتوحة حول خلافاتهما. الغرض منه التمهيد لإجراء مزيد من المفاوضات الرسمية التي تهدف إلى تأمين التوصل إلى تسوية سياسية على نطاق أوسع. ومن المقرر أن تبدأ المحادثات مبدئياً في ٢٦–٢٩ يناير في موسكو، على الرغم أن وكالة الأنباء الرسمية السورية (سانا) أشارت في وقت سابق من هذا الأسبوع إلى أن الموعد قد يتغير.

وقالت جماعات المعارضة الرئيسية في سوريا إنها لن تشارك، معلّلة ذلك بغياب وجود ضمانات بأن المحادثات ستفضي إلى مرحلة انتقالية.

تعتبر روسيا الحليف الأكبر للرئيس الأسد، والمورد الرئيسي للمساعدات العسكرية لحكومته، وتقول شخصيات معارضة إنهم يخشون أن يكون الهدف من المبادرة هو تشديد قبضة الرئيس بشار الأسد على السلطة في دمشق لا أكثر.

قد يخضع هذا الموقف بكل الأحوال للمراجعة بعد حوارات يفترض عقدها في القاهرة في الأسبوع المقبل بهدف صياغة نهج موحد بين فصائل المعارضة المتناحرة. وهذه المحادثات ستجمع بين ممثلين عن الائتلاف الوطني السوري، المجموعة الرئيسية في المعارضة ومقرها إسطنبول، وهيئة التنسيق الوطنية والتي لا تدعم التمرد المسلح ولكن تسعى الى تحقيق إصلاحات في سوريا ومقرها دمشق.

«بخصوص موسكو، الجواب ‹لا› في الوقت الراهن» قال مسؤول في الائتلاف الوطني السوري، طلب عدم ذكر اسمه منعاً لاستباق المحادثات. وأضاف «سنكون قد أعدنا النظر بخصوص موسكو بعد اختتام محادثات في القاهرة»

وتحدث دي ميستورا عن التكاليف المتزايدة للفشل في معالجة الحرب المستمرة. وقال إن سوريا أصبحت تمثل أسوأ كارثة إنسانية منذ الحرب العالمية الثانية ليضيف أن التدهور المستمر سيدفع بإمكانية الحل أبعد عن التحقيق.

وقال «سوريا تراجعت ٤٠ عاماً إلى الوراء» منذ اندلاع العنف في عام ٢٠١١. «نحن بحاجة للتأكد من ألا تصبح كما في عام ٢٠١٤، عندما سمعنا نداءات مماثلة من العديد... ثم لم يحدث شيء بالفعل».

قال دي ميستورا إن الظروف قد تغيرت خلال هذا العام منذ انهيار محادثات جنيف للسلام. وأضاف إن توسع الدولة الإسلامية في شمال سوريا، وإطلاق الحرب الجوية التي تقودها الولايات المتحدة ضد تنظيمات في سوريا والعراق قد زاد من الضغوط على الأسد للتوصل إلى حل.

ولكن في مقابلة مع صحيفة تشيكية نشرت الخميس، أشار الأسد إلى أنه لم يصبح أقرب إلى تلبية مطالب المعارضة، مما كان عليه قبل عام. وعدد أهدافه الرئيسية المتمثلة في «مكافحة الإرهاب» ودعم الجيش السوري في حربه ضد التمرد.

**المقارنة:**

**الحياة:**
بعد أكثر من شهر من إعلان خطة تجميد تناولت صحيفة الحياة مبادرة مبعوث الأمم المتحدة من خلال تسليط الضوء والتركيز أكثر على شروط خطة دي ميستورا، والتي هي وفقاً للكاتب «مثالية في الوقت الحالي».
النقطة الرئيسية في المادة هي تحدي حلب نفسها، والعقبات التي تواجه خطة ميستورا والوضع المعقد في كامل مدينة حلب.

**واشنطن بوست:**
لاحقت التطورات في خطة دي ميستورا من خلال ربطها مع الحركات الدبلوماسية تجاه سوريا بما في ذلك اجتماعات موسكو والقاهرة (من المفترض أن يعقد في الفترة نفسها من وقت كتابة هذا المقال) وردود الفعل من كل من المعارضة والنظام على هذه الاجتماعات وكيف سيؤثر ذلك على المبادرة.

كانت النقطة الرئيسية عواقب الفشل في إنهاء الصراع، والتي سوف ترفع فرص أكثر للمتطرفين / المبادرة الروسية.

جريدة الحياة

**هكذا يُبحر دي ميستورا بين الألغام السورية**

الأربعاء، ٢٠١٥/١/٧

إبراهيم حميدي

ستيفان دي ميستورا الذي يجمع البرودة السويدية بالحرارة الإيطالية، قرر الإبحار بين الألغام السورية. حط به الرحال مبعوثاً دولياً إلى سورية، حيث سبقه فشل مخضرمين، الأمين العام السابق للأمم المتحدة كوفي أنان والوسيط المحنك الأخضر الإبراهيمي.

دي ميستورا، يعرف أن عليه تفكيك لغز معقد بمستوياته الداخلية والإقليمية والدولية. سمع نصائح قبل قبوله «مهمة مستحيلة». ما يريده الآن «مدخلاً صغيراً». تكرار تجربة السلفادور وسط الحرب الباردة الأميركية – السوفياتية قبل ثلاثة عقود: وقف إطلاق نار لثلاثة أيام يسمح بمرور الأطباء واللقاحات. لقاح أطفال أبناء أطراف النزاع. لا يمكن أحداً أن يكون ضد تلقيح أبنائه وإنقاذهم من أمراض قاتلة. من يقتل بالنار قلبه يرق للموت على فراش المرض. أراد فقط أن تبدأ الأطراف المتحاربة باختبار معنى اللاحرب. أن يصمت صوت البندقية، أن يكتشف كل طرف حجم الدماء المسالة، أن يسأل مؤيدو كل طرف عن قادتهم عن المستقبل. أن يرى كل الناس ثروات «أمراء الحرب».

إذاً، هذا ما يريده دي ميستورا. «تجميد» القتال بدءاً من حلب. من أعقد نقطة. المدينة التي تشكل نموذجاً لمستويات الصراع الأربعة: المحلي، الوطني، الإقليمي والدولي. هو يرى أن هناك فرصة أو نافذة مفتوحة. بعد فشل مفاوضات جنيف بداية عام ٢٠١٤، نسي العالم طيلة العام المأساة السورية على رغم مراراتها ودمائها. تعايش الجميع مع «أسوأ كارثة إنسانية منذ الحرب العالمية الثانية»، وفق تقارير الأمم المتحدة. جاء تنظيم «الدولة الإسلامية» (داعش) ووضع هذه المأساة على الطاولة الدولية والإقليمية: لا يمكن بقاء العواصف السورية داخل جدران سايكس – بيكو. لا يمكن ألّا يفيض الدم النازف إلى ما وراء الصحن السوري. لا يمكن أن تبقى أنهار الدماء في مجاريها.

هناك فرصة، ليست أبدية مثل أشياء أخرى في سورية. فرصة عمرها أربعة أشهر. أراد دي ميستورا اقتناص الفرصة. ذهب إلى الأطراف المتخاصمة وباع لكل منها بضاعته. بالمعنى الديبلوماسي، أظهر حرفية عالية. قدم إلى كل طرف في «تجميد» القتال بعضاً من هواه. في دمشق، استبقت وسائل الإعلام الرسمية أو القريبة من السلطات وصوله بحملة ذكرت بالحملة ضد «الإرهابي» الإبراهيمي.

يعتقد المسؤولون أن القوات الحكومية «تربح» في حلب لذلك كانت لديهم شكوك حول «طرح تجميد القتال في بيدر يريح فيه الجيش السوري» وأسئلة عن الأجندة التي يعمل لمصلحتها دي ميستورا: لماذا حلب في وقت يتحدث الأتراك والفرنسيون عن «إنقاذ حلب»؟ لكن دهاءه، وضع «تجميد» القتال في هذه المدينة في مكان آخر، في إطار جهد يقطع الطريق على دينامية وخطط

لإقامة منطقة حظر جوي شمال خط العرض ٣٥.٥ يظل مكاناً آمناً قرب الحدود السورية – التركية. يعرف دي ميستورا أن النقاش بين تركيا وفرنسا وإلى حد ما مع مسؤولين أميركيين وصل إلى وضع كل الخطط على الورق لإقامة المناطق الآمنة ومنطقة الحظر الجوي.

لذلك، فإن نائب وزير الخارجية السوري فيصل المقداد قال إن «الانفتاح» على قبول الخطة مرده إلى «مقاومة» مساعي الرئيس رجب طيب أردوغان لـ «تسويق إنشاء أي منطقة عازلة أو حظر جوي». أيضاً، استثمر المبعوث الدولي في القلق الذي زرعه وجود التحالف الدولي – العربي في شمال سورية.

بين طهران وأنقرة

في طهران، يمكن اعتبار «التجميد» ترجمة لخطة النقاط الأربع التي كانت إيران اقترحتها قبل الانتخابات الرئاسية: وقف إطلاق النار ثم انتخابات محلية وبرلمانية برقابة خارجية وصولاً إلى «مراجعة» الدستور وصلاحيات الرئيس، لكن بعد «اعتبار بشار الأسد رئيساً شرعياً». على عكس الإبراهيمي، غازل النظام وحلفاءه، بل التقى نائب الأمين العام لـ «حزب الله» نعيم قاسم. وهذا الدبلوماسي المحنك، في موسكو، يتحدث الروسية، إذ إن مصطلح «التجميد» ولد من صقيع روسيا واقتراح كان قدمه وزير الخارجية الروسي سيرغي لافروف للمعارضة بـ «نسيان» الحل الشامل والدخول في «مصالحات وطنية». نموذج تعرفه موسكو في جمهوريات إسلامية في حديقتها الخلفية. أيضاً، فإن «التجميد» يكمل الاقتراح الروسي بعقد لقاءات تشاورية في موسكو بين أطراف المعارضة ثم بينها وبين ممثلي الحكومة. أمور تعيد الدب الروسي إلى الغابة السورية التي انغمست فيها أميركا بترؤسها التحالف الدولي – العربي لمحاربة «داعش» وتجنب راهن لمراكز النظام.

دي ميستورا ذاته في تركيا حاجة ثانية. يتحدث «العثمانية». سيعطي «التجميد» إلى حكومة أحمد داود أوغلو بالسلم ما عجزت عنه بالحرب. يعطيها ما رفضه الرئيس باراك أوباما. الخطة تتضمن وقف القصف وإلقاء «البراميل المتفجرة» على مدينة حلب مبدئياً ويمكن توسيع ذلك إلى ريف المدينة. ماذا يعني؟ منطقة حظر جوي كأمر واقع كما تريد تركيا. أيضاً سيؤدي ذلك إلى إنعاش المدينة الأسيرة إلى القلب التركي، بضخ استثمارات مالية واقتصادية لإعادة إعمار العاصمة الثانية لسورية جنوب الفضاء العثماني بحكم الجغرافيا والتاريخ والهواء. هذا يعني «إنقاذ» نصف مليون سوري. إلغاء ضرورة الذهاب إلى تركيا ليضافوا إلى مليون ونصف المليون سوري.

موضوع إعادة الدورة الاقتصادية، كان أساسياً في حواراته مع الأوروبيين. يجب أن تستعد دول الاتحاد الأوروبي لتكون أكبر الدول المانحة في إنعاش ٩٠ ألف منشأة اقتصادية. ويجب أن تكون الممول الرئيسي لموازنة من بليوني دولار لإعادة إعمار حلب. أيضاً، مؤسسات المجتمع المدني الأوروبي يمكن أن تستعد لإدخال مساعداتها إلى هذه المدينة عبر الحدود عبر قرارات مجلس الأمن المخصصة لهذا الأمر.

دي ميستورا ثوري. مع المعارضة السورية، العسكرية بفصائلها الـ١٩ والسياسية بتكتلاتها الرئيسية. حواره لا يمكن أن يشمل «جبهة النصرة»، لكنه الأمل بـ «عقلانية» منها لأنها إذا خربت «التجميد» ستخسرها القاعدة الشعبية. أما «داعش» فهو خارج اللعبة. يمكن أن تعتبر المعارضة المعتدلة «التجميد» حلاً إنقاذياً من خطة قوات النظام والموالين لحصار المدينة وتكرار سيناريو حمص القديمة ضمن نهج «الجوع أو الركوع». أيضاً، قد يفتح هذا أفق الحل السياسي. و «ما لا يدرك كله لا يترك جله». أيضاً، فإنه في حال حاولت قوات النظام الانسحاب من حلب لشن معارك في أمكنة أخرى، ستكون فرصة للمعارضة للتقدم في حلب. أيضاً، «تجميد» القتال في حلب سينقذها من الوقوع في مخالب «داعش».

يمكن القول لـ «الائتلاف الوطني السوري» المعارض الذي يرى في الاقتراح «حلاً ناقصاً» إن النظام «يدعو في سره ليلاً نهاراً كي ترفض المعارضة، كي يكون في حل من أي التزام» بعدما أعلن موافقته. بل إنه يتوقع أن تقول المعارضة له: «شكراً، أنقذت حلب من سيطرة داعش أو حصار النظام لها». وعلى المعارضة وحلفائها ألا ينسوا إمكانية صدور الخطة بقرار دولي وأن الأمل يحمل فكرة نشر مراقبين دوليين في حلب، لتكون نموذجاً. التعب في المفاوضات الفنية مع وفد الحكومة، مستحق. وثيقة حلب ستكون نموذجاً يتكرر في مدن أخرى.

بالنسبة إلى أميركا وحلفائها، يبيع دي ميستورا وقتاً للعمل على استراتيجيات أخرى وتمرير الوقت الضائع إلى حين قدوم رئيس جديد إلى البيت الأبيض أو يقدم «إدارة هزيمة المعارضة المسلحة» في سورية لتخفيف خسائرها إذا أراد أحد أن يكون متفائلاً. أو ربما، فرصة للنزول من فوق الشجرة أو شراء الوقت إلى حين تغيير الإدارة الأميركية بعد سنتين بعد تفعيل «برنامج تدريب وتسليح المعارضة المعتدلة» في السنوات الثلاث المقبلة.

دي ميستورا الذي جال في جميع العواصم، يعرف أن الجميع إما متعبون أو قلقون من صعود «داعش». «حزب الله» قلق من «جبهة النصرة» والانخراط العميق في سورية. تركيا لا تريد نصف مليون لاجئ إضافي. روسيا قلقة من الشيشانيين العائدين من سورية ومن الكلفة المالية وهي تمون على النظام. أميركا قلقة من «داعش». بالنسبة إلى أطراف أخرى، فإن «داعش» وحش تتقدم أخطاره على أخطار أخرى. هي على بعد ٢٠ كيلومتراً من حلب وقريبة من مدينة عين عرب (كوباني) حيث تدور رحى المعارك مع الأكراد.

منذ فشل مفاوضات جنيف، جرت محاولات لحسم عسكري. بقي التوازن المرن. لا النظام قادر على إعلان الانتصار وسحق المعارضة. ولا المعارضة قادرة على إسقاط النظام ودفعه إلى طاولة المفاوضات. طرف يتقدم هنا، وفجوة تفتح هناك. جبهة تهدأ وأخرى تشتعل. والنزف مستمر بالبشر والحجر. «أسوأ كارثة في العالم» من دون حل، ومن دون محاولة جدية للحل. إحباط شديد عند كل الأطراف. لم تصل إلى الإنهاك المحرك للتنازلات. تعب أطراف، فيما أطراف أخرى لا تريد أن تتعب. يتحدث البعض عن الحل السياسي ويعمل على الحل العسكري.

عندما جاء دي ميستورا خلفاً للإبراهيمي. قيل له أنه يحمل ورقتين، واحدة لقبول المهمة وثانية للاستقالة. جرب العالم حلاً من «فوق إلى تحت» بتشكيل حكومة انتقالية. جرب البعض الحسم العسكري. أمل البعض بالتدخل العسكري الأميركي. أمل البعض بتوسيع مروحة ضربات التحالف كي لا تقتصر على «داعش».

على هذه الخلفية، جاء المبعوث الدولي. وضع لعبة جديدة. ليكن «تجميد» القتال. تجميد القتال مثل طقس لندن. برد شديد. قد تعتريه بعض اللفحات الساخنة، بعض أشعة الشمس. لكنه جامد في شتائه. إذاً، هو ليس إطلاق نار. لا إهانة ولا منتصر أو مهزوم. ليس تكراراً لتجربة حمص القديمة التي يراها النظام «قدوة تحتذى» وتراها المعارضة لعنة يجب ألا تتكرر. وترى دول أخرى إمكانية الإفادة من أخطائها وتلافي عثرات انخراط الأمم المتحدة. إذاً، لتتوقف العمليات العسكرية. يتوقف المقاتلون في أماكنهم، من دون تقدم ولا عودة. ليست إعادة انتشار وليست عودة إلى الثكنات.

سياسياً، ليكن «من تحت إلى فوق». فقط، زرع بذور الحل السياسي. أما الشجر، فإنه ينبت من ركام الحجر. لا بأس في خفض التوقعات لدى المعارضين. إنه ليس تغييراً للنظام. ولا بأس من خفض طموحات النظام، إنها ليست إعادة عقارب الساعة إلى الوراء.

بيان جنيف، المصطلح الذي توصلت إليه الدول الدائمة العضوية في مجلس الأمن. فكرته جاءت من وزير الخارجية العراقي السابق هوشيار زيباري مستفيداً من المجلس الانتقالي الذي تشكل في العراق بعد الغزو الأميركي ٢٠٠٣. ليكن بيان جنيف «مرجعية» للحل. نعم، لا أحد ينسى أن قرارات دولية كانت مرجعية لحلول وعمليات وبقيت الأطراف عقوداً تتفاوض حول تفسيرها. ومن هو أمهر من الحكومة السورية في التفسير. الفرق بين الديباجة والقرار. والنظر إلى البيان كسلة متكاملة. مع تطبيقه بكل صدر رحب، لكن بالتسلسل كما وردت فقراته. لا يمكن انتقاء عبارة واحدة تدعو إلى «هيئة حكم انتقالية بصلاحيات تنفيذية كاملة بقبول متبادل» وترك الباقي المتعلق بوقف العنف ومحاربة الإرهاب. دي ميستورا نفسه، يقول أنه لا يمكن تجاهل صعود «داعش». أيضاً، هناك القراران ٢١٧٠ و٢١٧٨ المتعلقان بمحاربة «داعش» و «النصرة». هما أكثر إلزاماً من بيان رفض الروس مبكراً إصداره في قرار دولي. أكثر ما قبلوه به تبني القرار ٢١١٨ الخاص بنزع الترسانة الكيماوية له. هناك أيضاً القرار ٢١٦٥ الذي يتضمن وقف العنف وإيصال المساعدات الإنسانية والحل السياسي. هو مرجعية مثله مثل باقي القرارات.

دي ميستورا يعرض منصة أو منبراً أو فضاء سياسياً كي يبرز قادة محليون وأن يناقش ممثلو الحكومة والمعارضة في موسكو والقاهرة الأفكار الكبرى. كي يقرر السوريون مصيرهم ومصير نظام وأشخاصه. وفق بيان جنيف، أن تكون «عملية سورية بقيادة سورية وللسوريين». المبعوث الدولي كان واضحاً. قالها مرات عدة «لا شروط مسبقة». هو يعرف أن كل طرف لديه شروط مسبقة. البعض يقول أنه يجب أن يذهب الأسد غداً. والأسد يقول أن الذين أمامه هم إرهابيون. إذاً، دع السوريين في مصيرهم يتفاوضون. لا بأس بعملية، عملية سياسية، تعطي البعض راحة البال، وتخفف من عبء الأسفار العسكرية.

من يعرف دي ميستورا يعرف أن لديه إطاراً زمنياً وضعه لنفسه. ثلاثة أو أربعة أشهر. إذا لم ينجح لديه خطة بديلة. يلعب الأوراق قريباً من صدره. هو في سورية، يعرف المنطقة. ويعرف أن الشرق الأوسط يتغير. يريد نجاحاً شخصياً. يريد مساهمة في حل الأزمة السوررية ووقف إراقة الدماء. لا أحد يشكك في نياته. الأمل، أن يشفع له عمل ٤٣ سنة في ١٩ نزاعاً حول العالم، للمساهمة ليس فقط في تفكيك اللغز السوري، بل في وضع القطار على سكة الحل.

واشنطن بوست

**أنا نجوت من اتفاق لوقف إطلاق النار في سوريا**

٢٠١٥/٢/٢٠

KASSEM AL–HAJ EID also knwon by the NOM DE GUERRE QUSAI ZAKARYA

يعمل المبعوث الخاص للأمم المتحدة ستيفان دي ميستورا بلا هوادة لإنجاز اتفاق محلي لوقف إطلاق النار، أو «منطقة مجمدة» في المدينة السورية المكلومة حلب، كما أنه أعلن هذا الأسبوع عن استعداد نظام الأسد لوقف هجماته على المدينة.. أعتقد أنه بإمكاني تقديم فكرة واضحة عما يمكن أن يعنيه مثل هذا التعهد حقاً، فأنا نجوت سابقاً من اتفاقية محلية لوقف إطلاق النار في سوريا.

في بداية عام ٢٠١٤ كنت رجلاً مطارداً بعد حجب المواد الغذائية والإمدادات الحيوية الأخرى من الوصول إلينا لأكثر من عام، وتمكنت قوات بشار الأسد من ليّ ذراع مسقط رأسي المعضمية، للتوقيع على اتفاق محلي لوقف إطلاق النار. احتجاجاً على ذلك، استقلت من المجلس المحلي في المعضمية، واستنكرت شروط الصفقة مباشرة على قناة العربية. وهذا ما جعلني واحداً من أكثر الأشخاص المطلوبين في البلدة.

فجأة، بدأت تظهر على عتبة داري رسائل تهددني وتهدد عائلتي الكبيرة بالقتل ما لم أسلم نفسي. أصدقاء لي لم أتحدث معهم منذ أعوام، اعتقلوا وحُقق معهم، وتعرضوا للتعذيب لاستخراج معلومات منهم حولي.

داهمت قوات النظام منزل طفولتي، وحاولوا اعتقال عائلتي في دمشق وغيرها من الأماكن. في نهاية المطاف، وصلت إلى استنتاج أن اعتقالي كان أمراً محتماً، وافقت على لقائهم، معتقداً أنى على وشك الموت.
لدهشتي، استقبلت بحفاوة.. وضعني النظام في فندق خمس نجوم، وقدمت لي وجبات طعام شهي من أنوع لم أتذوقها منذ ١٨ شهراً، الجنرال غسان بلال، أحد مساعدي ماهر شقيق بشار الأسد، عرض عليّ وعلى أسرتي بأكملها مكاناً مريحاً آمناً للعيش في دمشق. وفي المقابل قدم لي طلباً واحداً فقط: تعزيز صورة الاتفاق المحلي لوقف إطلاق النار في وسائل الإعلام.

قلت لبلال إنه في عام ٢٠١١ خرج متظاهرو الحرية مطالبين بمستقبل أفضل للجميع، بمن فيهم هو، تم الرد عليهم بالرصاص. واعترف لي بأن العنف كان خطأً وأجبر السوريين إلى حمل السلاح. وقال لي إن الاسد حاول منع الهجمات، ليعلوا صوت مخابراته على صوته. ولكن عندما سألت عن استخدام غاز السارين ضد المدنيين في شهر أغسطس عام ٢٠١٣، كان واضحاً أنني تجاوزت الحدود. تغير سلوكه، وتسللت ابتسامة تهديد إلى وجهه.. «كلانا نعرف من هم ولماذا» أجاب باقتضاب، مضيفا «لا تسأل الأسئلة التي تعرف إجابتها!».

اثبتت لي هذه المحادثة أن بلال لم يشعر بأي ندم على دماء الأبرياء على يديه، عرفت أنه لا يمكن لي قبول عرضه.. كمناورة يائسة أخيرة للحفاظ على حياتي، تظاهرت بالموافقة، متعذراً أن عليّ مغادرة سوريا لأتمكن من انجاز هدفي الجديد. فإذا كان لي أن أثني على وقف إطلاق النار من دمشق، فإن مراسلي وسائل الإعلام ممن يعرفونني سيفترضون أنني أقول هذا تحت وطأة التعذيب.. نجحت الحيلة، رَتّب بلال رحلتي إلى لبنان، ومن هناك وجدت طريقي إلى الولايات المتحدة.

اليوم، ما زلت على اتصال منتظم مع أصدقائي في المعضمية..الآن، قد مر وقت كافٍ لتقييم نجاح وقف إطلاق النار المزعوم.
مع تنفيذ وقف إطلاق النار، كان من المفترض عودة الخدمات الأساسية للمدينة وإزالة نقاط التفتيش فيها وتحرير السجناء من أبنائها.. ولم يحدث شيء من هذا. يواصل النظام قطع الكهرباء والغاز وغيرها من الخدمات الأساسية عن المعضمية ليسمح ببعض المساعدات الإنسانية بالدخول، ولكن بالكاد كميات تكفي لسكان البلدة. النظام يضغط أيضاً على المدنيين بالعودة إلى المعضمية، ليقوض الأوضاع المعيشية أكثر، دافعاً بالمجلس المحلي لتقديم المزيد من التنازلات.

كل شكوكي الأولية تأكدت. بل أسوأ من ذلك، استمرّت عمليات القصف، وعاد النظام لحملات الاعتقال ضد المدنيين. عشرات الأشخاص تعرضوا للتعذيب حتى الموت. الساسة والدبلوماسيون يقولون إن اتفاق وقف إطلاق النار المحلي في المعضمية لازال قائماً، لكنهم تخلوا عنّا لأيدي نظام الأسد الوحشية. وقال دي ميستورا هذا الشهر إن «الرئيس الأسد هو جزء من الحل»، ولكن النظام قد أظهر بالفعل أنه ليس جاداً حول التسوية، ولا يأسف لتدمير البلاد.

إذا كانت الأمم المتحدة لا تملك القدرة حتى على فرض وقف إطلاق النار محلي في بلدة واحدة، ما الذي يجعل دي ميستورا يعتقد أنه يستطيع أن يفرضها في أكبر محافظات سوريا؟.
في الأشهر الأخيرة، محادثاتي مع الأصدقاء في الوطن أصبحت أكثر صعوبة. كثير منهم يفكر جدياً في الانضمام إلى الدولة الإسلامية، على الرغم من أنهم يعارضون كل ما ترمز إليه. لقد سئموا نفاق العالم وسياسة الكيل بمكيالين.

العالم يحمي كوباني، لكن يترك حلب تحترق. اليزيديون المجوعون في سنجار يلقون عملية إنزال جوي عاجل للمساعدات الغذائية، في حين أن السوريين المجوعين في المعضمية تُرِكوا للموت. طائرات التحالف تحلق فوق سوريا كل يوم. فأين هو الإنزال الجوي للمواد الغذائية والإمدادات الطبية لمئات الآلاف من السوريين المحاصرين من قبل نظام الأسد في المعضمية والمناطق الأخرى؟

لا بد لمثل هذا النفاق الصارخ أن يدفع بالمزيد من السوريين نحو تنظيم الدولة الإسلامية. تصحيح النفاق يجب أن يكون خياراً أخلاقياً واضحاً، لا يمكن للعالم مساعدة المدنيين السوريين من خلال دفعنا نحو مفاوضات مع القتلة المتعطشين للدماء.

**المقارنة:**

**الحياة:**

– ركزت على أهمية مبادرة مبعوث الأمم المتحدة– تحليلات سياسية من قبل الصحفي السوري إبراهيم حميدي.

– كان التركيز أكثر على دي ميستورا، كفاءته السياسية والجوانب الإيجابية لتطبيق المبادرة بوصفها حاجة بعد فشل جنيف ٢.

–عمل تحليلي من خلال تناول المبادرة من وجهة نظر الأطراف (المحلية والإقليمية والدولية) المتحاربة في سوريا، وربطها بالتطورات على أرض الواقع.

**واشنطن بوست:**

تحليلات ومشاهدات يرويها الناشط السوري قصي زكريا، الذي نجا من الحصار في المعضمية، يتحدث عن تجربته الشخصية مع اتفاقات وقف إطلاق النار المحلية مشيراً للأسباب الرئيسية لمبادرة المبعوث الأمم، والتي ستودي إلى نفس النتيجة بالنسبة للسوريين الذين خبروا فعلياً هذا النظام.

وأن النظام هو جزء من المشكلة، وسوف لن يكون أبداً جزءاً من الحل. أي وقف لإطلاق النار أو تجميد للصراع سيعملون على فشاله، بطرقهم الخاصة، مثل ما حدث في حمص والمعضمية.

**الموضوع الخامس: اتفاق حمص – إخلاء المعارضة**
تاريخ الحدث: ٢٠١٤/٥/٧

جريدة الحياة
**مقاتلو المعارضة يغادرون حمص بعد «صمود أسطوري»...والنظام يتحدث عن «مصالحة»**
الخميس، ٢٠١٤/٥/٨
لندن – «الحياة»

بدأت أمس عملية إخلاء مقاتلي المعارضة السورية من مدينة حمص بوسط البلاد، في مقابل إفراج المعارضين عن دفعة من الجنود والمدنيين المؤيدين للنظام كانوا محتجزين في حلب، كبرى مدن الشمال السوري، وآخرين خُطفوا في كسب بريف اللاذقية على الساحل السوري، في حين تعثّرت عملية إدخال مؤن ومساعدات غذائية لبلدتي النبّل والزهراء الشيعيتين بريف حلب. وإذا كان خروج المقاتلين من حمص بعد صمود وُصف بأنه «أسطوري» طوال أكثر من سنة، يعني أن النظام بات يتحكم في شكل شبه كلي بالطريق الممتدة من دمشق شمالاً وحتى الساحل السوري، فإن الاتفاق بين حكومة الرئيس بشار الأسد والمعارضة في شأن حمص التي تُعرف بـ «عاصمة الثورة»، أثارت بلبلة في صفوف المعارضة وأدت إلى خروج تظاهرة في حلب أعلن المشاركون فيها تأييدهم لـ «جبهة النصرة»، ذراع تنظيم «القاعدة» في سورية، ورفضهم أي حل مع الحكم السوري.

وتتم عملية خروج مقاتلي المعارضة من حمص نحو بلدتي تلبيسة والدار الكبيرة بريف المحافظة في باصات وفرتها الحكومة السورية وتحت إشراف الأمم المتحدة. وأفاد «المرصد السوري لحقوق الإنسان» بعد ظهر أمس أنه «ارتفع إلى حوالى ٤٠٠ عدد مقاتلي الكتائب المقاتلة والكتائب الإسلامية الذين وصلوا من أحياء حمص المحاصرة إلى الريف الشمالي لحمص، ومن المنتظر وصول دفعة جديدة منهم إلى الريف الشمالي». ويُتوقع أن يصل عدد المقاتلين الذين سيغادرون حمص قبل تسليمها إلى قوات النظام، إلى أكثر من ١٢٠٠ مقاتل، إضافة إلى أفراد من عائلاتهم.

وفي مقابل خروج المعارضين من حمص، أفرج مقاتلو المعارضة عن عدد من جنود النظام في حلب وعن آخرين خُطفوا من كسب في ريف اللاذقية. ونقلت «رويترز» عن ناشط قوله إن مواطناً روسياً وإيرانيين عدة بين من سيفرج عنهم مقاتلو المعارضة. لكن، لم يرد تأكيد من مصدر مستقل، علماً أن موسكو وطهران تساندان نظام الرئيس بشار الأسد في الحرب الأهلية التي بدأت منذ أكثر من ثلاث سنوات.

وأوضح «المرصد» أنه «تبين أن الـ١٥ المختطفين الذين أفرج عنهم في اللاذقية هم من المختطفين من قرى يقطنها مواطنون من الطائفة العلوية في ريف اللاذقية الشمالي، كانت قد اختطفتهم الكتائب الإسلامية والدولة الإسلامية في العراق والشام منذ شهر آب (أغسطس) من العام الفائت ٢٠١٣، ومن المنتظر الإفراج عن دفعة جديدة منهم».

وأشار «المرصد» إلى أنه «لم تصل حتى اللحظة (بعد ظهر أمس) قافلة المساعدات المتوجهة نحو بلدتي نبّل والزهراء بريف محافظة حلب واللتين يقطنهما مواطنون من الطائفة الشيعية، بسبب إيقافها من جانب كتيبة إسلامية قرب البلدتين».

وكان لافتاً أن اتفاق إجلاء المعارضين من حمص أثار استياء في حلب، إذ ذكر «المرصد» أن «متظاهرين في حي الشعار في المدينة رفعوا لافتات كُتب عليها «نحن لا نسعى لحكم البلاد ولكن نسعى لتحكيم الشريعة في البلاد»، ونادى المتظاهرون بشعارات «لا إله إلا الله وبشار عدو الله، واللي بحبو عدو الله»، كما حمل بعض المتظاهرين رايات «جبهة» النصرة (تنظيم «القاعدة» في بلاد الشام)، وحملوا لافتة كتب عليها: «طز بالمصالحة الوطنية». ونقل عن أحد المتظاهرين: «نحن مشروع شهادة، نحن ضد أي اتفاق جزئي أو مخزٍ يأتي على المسلمين بغير ما يُرضي الله، ونحن خرجنا لنصرة المظلوم». وتمنى المتظاهر على «جبهة النصرة» والكتائب الإسلامية والكتائب المقاتلة أن يصمدوا ويدفعوا الأذى عنهم، قائلاً: «نحن ضد فك الحصار عن نبّل والزهراء، هم الذين قتلونا».

أما وكالة الأنباء السورية فنقلت عن محافظ حمص طلال البرازي تأكيده «أن الدفعة الأولى من المسلحين في أحياء حمص القديمة بدأت بالخروج». وأردف أنه «بالتزامن مع عملية خروج المسلحين من المرجح أن تبدأ عملية التسوية والمصالحة لجعل مدينة حمص خالية من السلاح والمسلحين». وأشار البرازي إلى أنه «يتم العمل لكي تشمل العملية جميع أحياء حمص وليس حمص القديمة فقط». وقال إن «وحدات الجيش والقوات المسلحة ستقوم بعد خروج المسلحين بعملية التفتيش وتفكيك العبوات الناسفة والألغام وإزالة السواتر الترابية».

وذكرت مواقع مؤيدة للنظام السوري أن موضوع إدخال المساعدات إلى نبّل والزهراء هو الذي أخّر تنفيذ اتفاق حمص القديمة والذي أُبرم يوم الجمعة الماضي، ذلك أن مسلحي المعارضة «طلبوا انسحابهم أولاً ولكن الحكومة السورية أصرت على أن يكون الأمران بالتوازي». وأشارت معلومات مؤيدي النظام إلى أن «المسلحين سيخرجون من حمص عبر خمس دفعات إلى الدار الكبيرة وفي الوقت نفسه يتم إطلاق جميع مختطفي نبّل والزهراء في ريف حلب». وأوضحت أن «المسلحين سيخرجون مع أسلحتهم الفردية فقط لا غير ووجهتهم مدينة تلبيسة في الريف الشمالي في حافلات أمنتها الدولة السورية وما تبقى من سيارات وأسلحة للمسلحين سيبقى داخل حمص القديمة». وأشارت إلى أن مسلحي المعارضة «طلبوا أن تكون الحافلات التي تقلهم ذات زجاج أسود ومن دون تصوير».

ونقلت وكالة «فرانس برس» عن «أبو الحارث الخالدي»، وهو أحد المشاركين في التفاوض على اتفاق حمص من جهة المعارضة، قوله في اتصال عبر الإنترنت: «قرابة الساعة العاشرة صباحاً (بالتوقيت المحلي)، خرجت ثلاث حافلات تحمل على متنها ١٢٠ شخصاً من أحياء حمص القديمة». وأوضح أن هؤلاء هم «من المدنيين والمقاتلين المصابين وغير المصابين»، وأنهم «توجهوا إلى بلدة الدار الكبيرة»، على بعد ٢٠ كلم شمال حمص.

وبث ناشطون معارضون شريطاً مصوراً قالوا إنه لبدء عملية الخروج. ويظهر الشريط عدداً من الرجال، بعضهم ملثم والآخر يضع قبعة على رأسه، وهم يسيرون في صف منتظم للصعود إلى متن حافلتين خضراوين وقف بجانبهما عناصر من الشرطة السورية. وحمل بعض الخارجين حقائب على ظهورهم ورشاشات خفيفة. وبدت في الشريط حافلة ثالثة، وسيارة رباعية الدفع تحمل شعار الأمم المتحدة.

وذكرت «فرانس برس» أن المصور يُسمع وهو يقول «لحظة ركوب المقاتلين الحافلات ليخرجوا من الأحياء المحاصرة». وبعد نحو ساعة، أكد أبو الحارث بدء وصول المقاتلين إلى مقصدهم في الدار الكبيرة.

وأظهر شريط مصور بثه ناشطون على موقع «يوتيوب»، وصول المقاتلين إلى «الريف الشمالي لحمص»، من دون تحديد المكان بدقة. وبدا مقاتلون ينزلون من حافلتين، قبل أن يصعدوا على متن شاحنتين صغيرتين من نوع «بيك آب». وبدا أحدهم يستند إلى عكازين للمشي، في حين تجمع عدد من المقاتلين في البلدة على متن الدراجات النارية.

ويأتي الاتفاق بعد مفاوضات بين النظام والمعارضة بإشراف الأمم المتحدة، يفترض بموجبه أن تدخل القوات النظامية الأحياء المحاصرة بعد انتهاء عملية خروج المقاتلين.

ولا يشمل الاتفاق حي الوعر الذي يسيطر عليه مقاتلو المعارضة في مدينة حمص. ويقع الحي الذي يقطنه عشرات الآلاف غالبيتهم من النازحين من أحياء أخرى، في جوار أحياء حمص القديمة.

وفي حال خلو المدينة من مقاتلي المعارضة، يكون الجزء الأكبر من محافظة حمص بات تحت سيطرة القوات النظامية، باستثناء بعض المعاقل في الريف الشمالي مثل تلبيسة والرستن. كما أشارت «فرانس برس» إلى أن مدينة حمص تُعد ذات رمزية كبيرة في الاحتجاجات ضد النظام السوري، وشهدت الكثير من التظاهرات ضده منذ منتصف آذار (مارس) ٢٠١١. واستعاد النظام غالبية أحياء المدينة عبر حملات عسكرية عنيفة، أدت إلى دمار كبير ومقتل حوالى ٢٢٠٠ شخص منذ بدء الحصار في حزيران (يونيو) ٢٠١٢، وفق «المرصد السوري».

ويضع الاتفاق عملياً حداً للمعارك في مدينة حمص، قبل شهر من الانتخابات الرئاسية التي ستنظم في المناطق الواقعة تحت سيطرة النظام، والتي اعتبرتها المعارضة السورية والدول الغربية «مهزلة».

وقال مدير «المرصد» رامي عبدالرحمن في اتصال هاتفي مع «فرانس برس»: «هذه هزيمة للمجتمع الدولي وليست انتصاراً للنظام. ثمة صمود أسطوري في حمص على رغم سنتين من الحصار».
وأضاف: «على رغم ذلك لم يفعل المجتمع الدولي أي شيء»، معتبراً ما يجري اليوم «انتصار إعلامي للنظام لأن لحمص رمزية مرتبطة بالثورة السورية».

ونقل ناشطون ألماً في صفوف المقاتلين الذين غادروا المدينة. وقال ناشط في بلدة تيرمعلة في ريف حمص التي انتقل إليها بعض المقاتلين الذين خرجوا من حمص، إن هؤلاء «جائعون» و «يشعرون بالغصة». وقال «وائل» لـ «فرانس برس» عبر الإنترنت «هم جائعون جداً. سألت أحدهم عن شعوره، فنظر إلى دامعاً وقال: أشعر بالجوع والغصة لمفارقة حمص». ونقل الناشط عن المقاتل قوله «أحسست بأن روحي خرجت من جسدي وأنا أنظر إلى حمص أثناء مغادرتها».

وكان «الائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة» وجّه تحية إلى مقاتلي المعارضة في حمص قبل أيام، مشيداً «بصمودهم الأسطوري على مدى أكثر من عامين على رغم محاولات النظام المستمرة لكسر إرادتهم من طريق تدمير الأبنية على رؤوس أصحابها كما قصفه المتواصل بالأسلحة الثقيلة في ظل الحصار والتجويع ونقص الذخيرة».

وكان اتفاق أشرفت عليه الأمم المتحدة، أتاح في شباط (فبراير) خروج حوالى ١٤٠٠ شخص من الأحياء المحاصرة وإدخال مساعدات إنسانية إليها.

نيويورك تايمز
٢٠١٤/٥/٧
**اتفاق يؤدي إلى خروج المتمردين من مدينة حمص السورية**
ANNE BARNARD

ثالث أكبر مدينة سورية، حمص، وكانت واحدة من أولى المدن التي احتضنت مظاهرات حاشدة معارضة للرئيس بشار الأسد. متظاهروها من أوائل من حملوا السلاح ضد الدولة، وكانت أحياء حمص أول من يعاني القصف العشوائي من قبل القوات الحكومية.

وقفت حمص كرمز واضح لانهيار بطيء قاسٍ لهذه الأمة، مجتمع متنوع ينقسم بشكل متزايد على طول الخطوط الطائفية مترافقاً مع هروبٍ الناس، ودمار الأحياء، وصمود المتمردين في البلدة القديمة.

يوم الأربعاء، بدأت آخر الأحياء التي يسيطر عليها المسلحون من المدينة القديمة بالسقوط لصالح الحكومة، حيث بدأ آخر المقاتلين وأسرهم بإخلاء المنطقة بموجب اتفاق مشحون بالرمزية لكلا الجانبين. تسعى الحكومة لإثبات أنه يمكنها من خلال القوة الصرفة ومحادثات محلية، استعادة السيطرة على المناطق الحضرية الكبرى. لمعارضيها، يعتبر تسليم هذه الجيوب المعارضة التي صمدت في حصار دام ما يقرب عامين بمثابة صدمة عاطفية.

لكن الاتفاق كان أقل من النصر الكامل للحكومة، أو هزيمة كاملة للمتمردين. سمح للمقاتلين بالخروج مع الأسلحة الخفيفة إلى ملاذ آمن حيث تعهدوا بمواصلة المعركة. قدم الاتفاق القليل جداً لتجنب تفتيت البلاد مع استمرار الطرفين في رفض تسوية تفاوضية واسعة للحرب التي ازهقت أرواح أكثر من ١٥٠٠٠٠ شخص.

وحتى مع خروج المتمردين؛ كان ممثلهم في واشنطن يتلمس هبات الأسلحة لإسقاط الطائرات الحكومية، وكانت الحكومة السورية تستعد لتعزيز سيطرة الرئيس الأسد على السلطة من خلال التحضير للانتخابات.

وقال أحمد عاصي الجربا الذي يقود الائتلاف السوري المعارض «نحن لا نطلب من أصدقائنا أن يرسلوا أبناءهم إلى بلدنا، ولا نحن نطالب بالتدخل المباشر، ولا حتى من الجو».

وقال الجربا في مقابلة في واشنطن ليلة الثلاثاء «إننا نطالب بأسلحة مضادة للطائرات لتحييد هذه الطائرات، التي ترمي البراميل المتفجرة علينا»، مشيراً إلى القنابل تستخدم من قبل سلاح الجو السوري، مصنوعة من برميل مليئة الشظايا والمتفجرات. وأضاف «لدينا خطط وضمانات بأن هذه الأسلحة لن تقع في الأيدي الخطأ»

اتفاق حمص الذي تم بين مسؤولين أمنيين وممثلين عن المتمردين بحضور السفير الإيراني في سوريا، يدعو المتمردين في محافظة حلب في الشمال السوري إلى رفع الحصار الذي طال أمده عن قريتين هناك. وفق نشطاء أطلعهم مفاوضو المتمردين.

إذا نجح الاتفاق بالاستمرار، فقد يكون أحد الاتفاقات الأكثر تعقيداً التي تقام بين المقاتلين في الصراع. فشلت محادثات السلام الدولية. اتفاقات وقف إطلاق النار المحلية المرشحة في جميع أنحاء البلاد، هشة ومتنازع عليها. تدعو الحكومة إلى المصالحة، الأمر الذي يعتبره معارضون استسلاماً لتكتيكات التجويع والقصف العشوائي.

لا يقدم اتفاق حمص أي نموذج يمكن بأي حال من الأحوال الاستفادة منه في خلق رؤية شاملة مستقبلية بالنسبة لهذا البلد الذي عانى أكثر من ثلاث سنوات من القتال، مع الملايين المهجرين عن بيوتهم قسراً. كما أنه لا يفعل شيئاً لمعالجة المظالم السياسية الكامنة لمعارضي الحكومة والتي عمّقها العنف المتصاعد، أو النزوح الجماعي للسكان، أو صدمة قذيفة قلبت مدينة رأساً على عقب. قصفت المنطقة التاريخية من قبل الحكومة حتى تحولت إلى أنقاض. شوارعها مزروعة بالألغام، وبعض أماكنها محروقة، من قبل مقاتلين راحلين. السكان يغادرون، باستثناء ست عائلات مسيحية ممن نجوا من فتك الحصار إلى جانب المقاتلين ومدنيين آخرين معظمهم من السنة، ويخططون للبقاء، جنبا إلى جنب بحسب الناشط بيبرس التلاوي من هناك.

وألقى التلاوي باللوم على القوى الدولية وقادة المتمردين لتقاعسهم في القتال. وقال إنه الآن يشعر أنه قد تم طردهم مثل الفلسطينيين، لكن على يد «ابن بلدي».
بكى بعض المقاتلين وقبلوا الأرض قبل صعودهم باصات النقل الداخلي التي ترافقها الأمم المتحدة. أمتعتهم كانت محشورة في الحقيبة الوحيدة التي سمح لكل منهم بإخراجها إلى جانب بندقية واحدة. حوالي ٦٠٠ من أصل ما يقارب ١٩٠٠ شخص، كانوا قد غادروا المدينة قبل نهاية اليوم، بحسب النشطاء. الكثير منهم كانوا من عائلات حمص القديمة، تركوا منازلهم المدمرة، أصدقاء قتلى. وتقول أحد الكتابات على الجدران هناك «عندما أغادر، تأكد أنني بذلت قصارى جهدي لأبقى.»

وقال مقاتل طلب التعريف عنه باسمه الحركي أبو بلال «لقد انتهت. لكن الجهاد سيستمر.»
صوته كان يخفت كلما تحدث عن حديقة منزله – اللفت والملفوف والكوسا والفاصوليا والقرع، وبعضها لا تزال صغيرة جدا لتناولها، زرعت في تربة مفروشة على سطح المنزل.

«سوف افتقد أشياء كثيرة هنا» قال، «وليس النباتات فقط».

رغم كل ذلك، كان الاتفاق هو الأوسع والأكثر طموحاً حتى الآن. وفي علامة على أهميته بالنسبة للحكومة، فقد تضمن أول دور ظاهر من قبل إيران، حليف الرئيس الأسد الأكثر أهمية، في مثل

هذه المحادثات. هذا الأمر زاد من قوة موقف الحكومة، قال أحد المفاوضين من طرف المتمردين والذي فضل استخدام اسم أبو الحارث، وأضاف «إن اليد العليا والصوت الأعلى هو للإيرانيين».
بعد ظهر الأربعاء، كانت هناك العلامات تشير إلى أن الاتفاق بدأ يتمدد خارج حمص. ذكرت المواقع الموالية للحكومة أن المتمردين أفرجوا عن ١٥ جندياً في مدينة حلب وأكثر من ١٠٠ امرأة وطفل من الأقلية العلوية ممن كانوا أسرى في محافظة اللاذقية الساحلية.

على الرغم من أن ديناميكية السلطة في حمص كانت غير متوازنة خلال عزلها للمتمردين وتجويعهم، إلا أن ما دفع الحكومة هو رغبتها في عرض حمص كنموذج لتسوية الصراع محلياً دون الحاجة لإجراء محادثات سلام دولية، وإعلان المدينة آمنة للانتخابات التي رفضت من قبل المعارضين على اعتبارها تمثيلية.

وقال نشطاء مناهضون للحكومة إن الحكومة تعرضت أيضاً لضغوطات من السكان غير السنة في المناطق التي تسيطر عليها الحكومة بسبب السيارات المفخخة التي قتلت عشرات المدنيين. وقالت هيومن رايتس ووتش إن بعضاً من تلك الهجمات التي شنتها الجماعات المسلحة المرتبطة مباشرة بالمطالبة برفع الحصار عن المدينة القديمة، قوضت الدعم الشعبي للمعارضة.

لكن الصفقة تحمل مخاطر سياسية للحكومة. حيث استنكر أعضاء الميليشيات الموالية للحكومة وغيرها الإجلاء السابق، قائلين إن المقاتلين الذين قتلوا أقاربهم هم من استفادوا.

قال التلفزيون السوري يوم الأربعاء أن «تم إخلاء المسلحين من البلدة القديمة» متخلياً عن توصيف المعارضة المسلحة بـ «الإرهابيين»، ربما لأنه من الصعب أن يتم تبرير السماح لرجال يُعتبرون إرهابيين بالفرار.

الانقسام حول هذا الاتفاق كان أيضاً موجوداً عند معارضي الحكومة. وفي تطور ربما اعتُبِر محبطاً، المتمردون في حلب وفي مناطق أخرى وافقوا على ما يبدو على إطلاق سراح سجناء، لكي يتبين من خلال ذلك مستوى التعاون بين المجموعات المتباعدة، والذي كان غائباً منذ شهور عندما طلب المحاصرون في البلدة القديمة المساعدة من المقاتلين الآخرين في الخارج.

بعض المقاتلين في مناطق أخرى شعروا بالغضب من هذه الصفقة، مما يثير تساؤلات حول متانتها. «هذا النظام كاذب وعلينا أن نحرقه، وليس أن نوقع على اتفاق معه» قال عابد، وهو مقاتل من حركة أحرار الشام الإسلامية في محافظة حلب.

وأضاف عابد أن شعب نبل والزهراء والقرى حيث المقاتلين سيرفعون الحصار عنهما –إلا أنه لم يتم ذلك حتى وقتٍ متأخر من يوم الأربعاء، أنهم يستحقون «الذبح» لأنهم من الشيعة، مثل حلفاء الأسد في إيران.

في حمص، ساهم الحصار في أن يبقى عدد المقاتلين الأجانب منخفضاً نسبيا في البلدة القديمة، مما جعلها كآلة الزمن تعيدك للأيام الأولى للانتفاضة. وعلى الرغم أن بعض من بقي في الداخل أصبح متطرفا، إلا أن الصيغة الاصلية للمدنية هي تلك التي نعاها العديد من مواطني المدينة الأصليين المنتشرين في الشتات، يوم الاربعاء.

وقال جندي حكومي في اتصال هاتفي معه أن المسلحين يلتزمون وقف إطلاق النار «دون إحداث مشاكل.» وقال إنه ورفاقه شعروا بالراحة بما فيه الكفاية للعب الورق وشرب المتة. «أريد أن أعود إلى دمشق» «افتقد والدي» قال.

وفي ريف حمص الشمالي، قال نشطاء مناهضين للحكومة نهم يخشون من أن يكون الهجوم المقبل عليهم. كما أنهم يستضيفون أيضاً مقاتلي البلدة القديمة المجوّعين والمنهكين. قال مضيف أحدهم، أنه كان سعيداً للغاية لرؤية الطماطم (البندورة). أخذ قطعة ووضعها بجانبه.

وقال مصطفى عبود، وهو مسؤول محلي في مدينة حمص قد أصيب الأسبوع الماضي في انفجار سيارة مفخخة، إنه يرحب بالإخلاء في حال سينهي العنف.

«أنا أستمع إلى غناء الطيور»، مشيراً إلى عدم وجود إطلاق نار. لكن شائعات السيارات المفخخة لا تزال تفرغ الشوارع في دقائق، وأضاف. «لن أقول بأنه هناك مطر حتى أراه.»

**المقارنة:**

**الحياة:**

ذكرت كلتا المقالتين حدث إخلاء مقاتلي المعارضة من حمص بموجب اتفاق مع النظام في دمشق.
أهمية مدينة حمص ومكانتها في الثورة السورية ورمزيتها.
الوضع المريع في المدينة التي كانت تحت الحصار والقصف المستمر قبل هذا الاتفاق مباشرة.
ردة فعل المقاتلين والمتمردين (وخاصة في حلب) على الاتفاق.
جانب النظام من القصة.
كلتا المقالتين اعتمدتا تقارير/ مشاهدات تعتمد على تقارير وكالات الأنباء.
الحياة لا مقابلات، ولا شهادات أو تحليلات.

**نيويورك تايمز:**

أجرت بضع مقابلات مع نشطاء من داخل حمص للتعليق، وتم وصف الوضع. كما أجرت الصحيفة حديثاً مع بعض المقاتلين الذين أخرجوا من المدينة.
تناولت المادة أيضاً رد فعل المقاتلين الإسلاميين في حلب على الاتفاق (أحرار الشام).
مقابلة مع جندي نظام في حمص، كما تحدثت إلى نشطاء من الريف الشمالي من حمص حيث يخشون من وقوعهم كفريسة قادمة للنظام.

**الموضوع السادس: اختطاف نشطاء دوما**
تاريخ الحدث: ٢٠١٣/١٢/٩.

جريدة الحياة
**رزان زيتونة في سجن الإسلاميين... لا، في سجن النظام**
٢٠١٣/١٢/١٥
حازم الأمين

فلنتخيل مشهداً في مؤتمر «جنيف ٢» وقائعه على النحو الآتي: على طاولة التفاوض المستديرة يفتح رئيس وفد النظام السوري حقيبته ويُخرج منها صورة تجمع رزان زيتونة وسميرة الخليل ووائل حمادة وناظم الحمادي ويُشهر الصورة في وجه رئيس وفد المعارضة السورية، ويقول: قواتكم خطفت هؤلاء المواطنين السوريين الأربعة.

رزان ورفاقها سيشعرون بالعار طبعاً، ولكن ليس هذا محل ابتلائنا وابتلاء رزان، فسورية ستكون مكللة بعار ما اقدمت عليه جماعة مسلحة معارضة في منطقة دوما التي يسيطر عليها «جيش الاسلام» بقيادة زهران علوش، عندما اقتحمت المنزل الذي يقيم فيه فريق مركز مراقبة الانتهاكات في سورية، فخطفت الفريق وعاثت بمحتويات المنزل.

ولكن لنعد إلى التدقيق في المشهد مجدداً. مشهد رئيس وفد النظام السوري الى مؤتمر «جنيف ٢» رافعاً صورة رزان زيتونة وأعضاء الفريق المخطوفين. الواقعة يُمكن توظيفها بسهولة في تعزيز موقع النظام التفاوضي، وهي واحدة من مئات الوقائع التي أهدتها الكتائب الإسلامية للنظام في سورية. صحيح أن خطف الفريق شكل ذروة في إسداء الخدمات لذاك النظام، ولكن ما لم يعد من مجال للشك فيه هو ان النظام السوري نجح الى حد كبير في توريط الثورة بإسلامييها. ولا يبدو ان الأمر يقتصر على «داعش» و «النصرة»، بل يتعداهما الى تلك الفصائل التي يسود وهم بأن تكون بدائل إسلامية «وطنية» لـ «داعش». ذاك ان التباساً جوهرياً يسود هويات هذه الكتائب وبرامجها وما تُضمره لسورية وللسوريين، وهي على كل حال سليلة «البعث» في علاقتها بكل ما هو مختلف عنها.

والحال أن ما كان شكوكاً، لجهة علاقة هذه الفصائل بالنظام، صار حقيقة لم يعد من المفيد الهرب منها. فأن يكون زهران علوش سجيناً في صيدنايا استفاد من طريق الصدفة من قرار العفو الذي أصدره الرئيس السوري بشار الأسد بعد أشهر قليلة على بدء الثورة، ليباشر فور إطلاقه من سجن النظام بناء كتائب اسلامية تقاتل النظام، فذلك ما يحتاج الى جهد وحسن نية مبالغ فيهما لكي يُصدق. أما ان تُخطف رزان زيتونة من منطقة تسيطر عليها هذه الكتائب ذاتها، وفي الوقت ذاته تُقدَم للنظام انتصارات سهلة في النبك وغيرها من مناطق القلمون وجنوب دمشق، وهي جبهات تقاتل عليها تلك الكتائب، فقد صار صعباً استبعاد سيناريو الوظيفة التي كانت وراء قانون العفو العام.

لقد أقدم الإسلاميون المقاتلون في سورية على خطف الأب باولو في هذا السياق، وعلى خطف عشرات من الناشطين والصحافيين وقتلهم، وتهديد مجموعات سكانية في كثير من مناطق نفوذهم، وكل هذه الممارسات شكلت الذخيرة الفعلية للنظام، سواء على صعيد نجاحه في تسويق فكرة أنه يُقاتل مجموعات إرهابية، أم على صعيد بث الخوف من البدائل في حال سقوطه. والجواب الوحيد الذي يسمعه أي مراقب لدى سؤاله مسؤولين غربيين وعرباً عن سر التلكؤ في دعم الثورة في سورية هو: لا يمكننا أن نغامر في إسقاط النظام في ظل هذه البدائل.

أليس هذا كافياً للقول إن هذه الكتائب تقاتل الى جانب النظام. ذاك ان قتال «حزب الله» والمجموعات العراقية والإيرانية الى جانبه يبقى جزءاً من شبكة الحماية التقليدية التي يُمكن إلحاق الهزيمة بها على الجبهة في حال توافرت الشروط، أما الكتائب الموالية خارج خطوط الجبهة فأشد تأثيراً في تحصين النظام من السقوط.

من يعرف رزان زيتونة يُدرك ماذا يعني خطفها، فناهيك عن أنها الوجه المدني الأبرز في الثورة السورية، يُشكل بقاؤها في سورية تحدياً جوهرياً لمقولة النظام عن أنه يُقاتل جماعات إرهابية، بل إنها كانت الوجه الوحيد الذي لم تخسره الثورة في الداخل.

ولمزيد من المفارقات القاسية التي حملتها واقعة خطف فريق عمل المركز السوري لتوثيق الانتهاكات، فإن رزان نفسها، قبل الثورة، كانت تعمل بوصفها محامية لتوثيق الانتهاكات في حق المسجونين الإسلاميين في السجون السورية، وهي كتبت الكثير حول هذا الأمر، ويرجّح أن خاطفيها كانوا ممن حملت قضيتهم وسجلت الانتهاكات التي ارتكبت في حقهم آنذاك.

لم تُحصن هذه الحقيقة رزان، ذاك ان «ادارة التوحش» لا تقيم وزناً لإرادة انسانية ساعية الى العدالة. فقد أختُبِر الإسلاميون على أكثر من صعيد، وكان جوابهم: «الانحياز إلينا لن يحميكم منا». قالها الخميني لحزب تودة، وقالها مرسي لمجموعات ميدان التحرير، وقالتها «النهضة» لشكري بلعيد ولمحمد لبراهيمي.

ثم إن الأصوات الداعية إلى التمييز بين الفصائل الإسلامية خلال إدانة ممارسات هذه الجماعات، لا يبدو أنها محقة في دعواها، فالفصائل «غير المتورطة» بالخطف تشكل بدورها غطاء لقريناتها المتورطة بهذه الأعمال، وذلك عبر قنوات التحالف المفتوحة بينها، وعبر توليها التوسط والمساومة وتسويغ شرعية اجتماعية وسياسية لهذه الجماعات. جماعة «أحرار الشام» مثلاً تسعى إلى تقديم نفسها بصفتها فصيلاً سورياً غير غارق بهذه الممارسات، لكنها جزء من شبكة أمان وعمل ونشاط تؤمن لـ «داعش» و «النصرة» قنوات محلية لتصريف إجرامهما. وربما جاء بيان نفي «جيش الإسلام» وقوفه وراء الخطف جزءاً من عملية توزيع للأدوار صارت معروفة لدى السوريين.

الآن رزان وسميرة ووائل وناظم في قبضة «جيش الاسلام» أو في قبضة جماعة موازية تعمل في مناطق نفوذه. من كان ليصدق ان هذا الفريق مخطوف من طرف غير النظام في سورية؟ واذا كان تصديق ذلك مستحيلاً، فمن الأسلم ان نستمر في الاعتقاد بأنهم أسرى لدى النظام، ذاك أن من السياسة أن نقيس الأفعال بنتائجها طالما أننا لا نملك الوقائع. المستفيد اذاً هو النظام والخاطف هو النظام ودوماً في قبضة النظام، والحرية لرزان وسميرة ووائل وناظم.

واشنطن بوست

**اختفاء رائدة الاحتجاجات السلمية في سوريا، وشكوك تدور حول تورط المتمردين الإسلامين في ذلك**

٢٠١٣/١٢/١٠

LIZ SLY

إحدى أبرز شخصيات الحركة الاحتجاجية السلمية التي اجتاحت سوريا خلال انتفاضتها، الآن في عداد المفقودين وفقاً لتقارير صدرت اليوم الثلاثاء من ضاحية يسيطر عليها المتمردون في دمشق، مما زاد من الشكوك التي تقول بأنها من بين عشرات من النشطاء المدنيين والصحفيين الذين كانوا اعتقلوا من قبل المتطرفين الإسلاميين في الأشهر الأخيرة.

رزان زيتونة، ٣٦ عاماً، محامية في حقوق الإنسان، اختفت من شقتها مع زوجها واثنين آخرين من النشطاء السوريين ليل الاثنين، بعد أن تلقت تهديدات من جماعات إسلامية، وفقاً للجان التنسيق المحلية التي كانت رزان أحد مؤسسيها.

أحد الأصدقاء المقيمين في المبنى السكني نفسه، والذي كان قد زار النشطاء ليل الاثنين. لم يجد لهم أي أثر صباح يوم الثلاثاء. وقال إن الشقة كانت قد اقتحمت، أجهزة الكمبيوتر المحمولة والملفات تم أخذها، ولكن الأموال لم تكن قد لُمست.

إن هذا الاستهداف الواضح لامرأة مرتبطة بشكل وثيق مع أصول الثورة السلمية، ارتدَّ على مجتمع الناشطين، راسماً المزيد من الإحباط حولهم، وهم يستنكرون ويدينون الفاعلين على تويتر وفيسبوك. «إن اختطاف رزان كان مثل صفعة لنا في الوجه. نحتاج إلى الاستيقاظ والاعتراف بما قد آلَ إليه هذا الصراع» قال رامي نخلة، أحد الشركاء المؤسسين للجان التنسيق المحلية، والذي يعيش الآن في اسطنبول. وأضاف «لقد تحول الوضع إلى حرب طائفية إقليمية باستخدام غطاء المطالب المشروعة من أجل الديمقراطية. لقد تحول إلى وحش دموي عملاق».

عشرات النشطاء الذين ساهموا في شكل الانتفاضة الأولى ضد الرئيس الأسد، كانوا قد اعتقلوا على أيدي المتشددين في المناطق الخارجة عن سيطرة الحكومة في الأشهر القليلة الماضية. مما أدى إلى فضح حجم الهوة التي ظهرت بين الفرقاء الذين يدعون إلى الديمقراطية.
وقد اختفى معظمهم في شمال البلاد، حيث تسيطر الدولة الإسلامية –التابعة لتنظيم القاعدة في العراق وسوريا– وتتصاعد على حساب المعارضة المعتدلة.
العشرات من الصحفيين وعمال الإغاثة الأجانب اختفوا أيضاً في شمال سوريا.

وقامت يوم الأربعاء عائلات اثنين من الصحفيين الإسبان الذين فقدوا في سوريا منذ نحو ثلاثة أشهر بتوجيه نداء للإفراج عنهم.

خافيير إسبينوزا، مدير مكتب الشرق الأوسط لصحيفة لوموندو، وريكاردو غارسيا فيلانوفا وهو مصور مستقل. في سبتمبر تم اعتقالهما على نقطة تفتيش تابعة لداعش، ولم يسمع عنهما شيءٌ منذ ذلك الحين. وقالت مونيكا بريتو زوجة اسبينوزا في مؤتمر صحفي في بيروت إنه توجد إشارات وتقارير غير مؤكدة تقول أنهما في سجون داعش، ولكنها لم تقدّم أي مطالب.

داعش لها وجود أصغر بكثير في مناطق دمشق مقارنةً بما لديها في الشمال.

دوما، الضاحية التي اختفت فيها زيتونة، كانت ومنذ فترة طويلة معقلاً لجيش الإسلام الذي يملك دوراً قيادياً في تشكيل التحالف الإسلامي الجديد – ما يسمى الجبهة الإسلامية–، والذي يعتبر أكبر تشكيل للمتمردين في البلاد.

ونفى المتحدث باسم الجماعة، إسلام علوش، تورطهم بالحادثة.

وقال صديق آخر لرزان – رفض الكشف عن هويته خشية على سلامته–، وهو ناشط منذ فترة طويلة، وأحد جيرانها، أن مجموعات أخرى تابعة لتنظيم القاعدة كجبهة النصرة لها تواجد صغير في المنطقة أيضاً.

وفي الآونة الأخيرة، كانت زيتونة تعمل على مشروع آخر كانت قد أسسته، وهو مركز توثيق الانتهاكات الذي يعمل على توثيق عشرات الآلاف من القتلى وحالات الاختفاء في الحرب في سوريا. وقال زملاء لها أنها بدأت بتلقي التهديدات بعد أن بدأت بالتحقيق في الانتهاكات التي يرتكبها المتمردون.

**المقارنة:**

**الحياة:**
كانت مادة الحياة أكثر تركيزاً على الحادث، والعمل العظيم التي قامت به رزان وتأثيره على الحراك السلمي في الثورة السورية. محاولةً رؤية الصورة كاملة، والأطراف المستفيدة من هذا الاختفاء.
ربط ذلك بتاريخ طويل يجمع بين النظام السوري والمتطرفين، وكيف ساعدهم النظام على الظهور في الواجهة.

المصالح المشتركة وأهداف النظام والجماعات الإسلامية الذين يقاتلون الثورة السورية بطريقتهم الخاصة، وكيف أنهم على حد سواء يحاربون الديمقراطية وحرية التعبير التي طالب الشعب السوري بها منذ البداية.

**واشنطن بوست:**
ذكرت صحيفة واشنطن بوست حادثة الخطف في دوما. وحادثة اختفاء صحفي إسباني معتقل من قبل داعش في سوريا، مشيرةً إلى أوجه التشابه بين هذه التنظيمات.

# أسس الأمن الرقمي

## تغطية الأحداث الخطرة

## الصور والفيديو



## أسس الأمن الرقمي:

تعرض الناشطون خلال الأعوام الأخيرة في العديد من الدول العربية إلى اختراقات أمنية من قبل الأنظمة الديكتاتورية، ما أدى إلى اعتقالهم أو قتلهم، لذلك عملت العديد من المنظمات المعنية بالأمن الرقمي وحماية حقوق الانسان على تطوير سبل الحماية الرقمية، وتدريب الناشطين على استخدامها.

تختلف مخاطر الأمان الرقمي والخصوصية التي تواجه النشطاء حسب طبيعة النشاط الحقوقي الذي يمارسونه والبيئة التي يعيشون ويعملون فيها، كما أن الأدوات البرمجية التي تعِين على مواجهة تلك المخاطر تُطَوّر وتُحدَّث باستمرار، لذا كان من العسير للغاية إنشاء عُدةٍ جاهزةٍ جامعةٍ مثل عُدَّة الأمان. فلا شيء مما جاء في وثائق العدة يعد نهائياً و محسوماً.

يرتكز الأمان الرقمي على ضمان القدرة على استخدام المعلومات الرقميّة وأنظمتها من دون تدخّل، أو تشويش، أو أي دخولٍ، أو جمع معلومات غير مصرّح به. بما معناه، السيطرة على تخزين، وتشارك، واستخدام والوصول إلى المعلومات الرقميّة.
أحياناً نودّ مشاركة المعلومات بشكل علني لكي نبقى آمنين، فمثلاً، قد تود مشاركة موقعك مع أصدقائك، فتدعم الشبكة من خلال رسالة نصيّة أو شبكة اجتماعية إذا وجدت نفسك ملاحقاً. في مرّات أخرى، قد نود إبقاء المعلومات سريّة من أجل البقاء آمنين، فمثلاً، قد نعمد إلى تعمية محادثات بريدنا الإلكتروني مع زملائنا عند تنظيم اجتماع ما، حتى لا يتم اكتشاف الموقع، لذلك تعتمد الإجراءات التي يجب أن تتخذها لإبقاء نفسك ومعلوماتك بأمان، على تحليل المخاطر.

**حماية المعلومات الخاصة:**

تعمد العديد من المواقع الإلكترونيّة، ولا سيّما مواقع الشبكات الاجتماعية إلى تخزين ملفات صغيرة مثل الكوكيز على حاسوبك، والتي تقوم بجمع المعلومات حول تفاعلك مع الموقع والأشخاص الآخرين، حتى تتمكّن من تزويدك بالإعلانات المرتبطة باهتماماتك.
على سبيل المثال: عند دخولك إلى الفيسبوك، فإنه يجمع هذه المعلومات عنك ويستخدمها ليقدّم لك الإعلانات، أو يسلّمها حتى إلى فريق ثالث. لذلك من المفيد تعطيل الكوكيز على متصفّحك في أي وقت تقوم بالدخول إليه، من أجل تجنّب ربط استخدامك للموقع بأي نشاطات أو ملفات إلكترونية شخصيّة أخرى.
إذا كنت تودّ حذف تأريخ تصفّحك، والكوكيز، وأي ملفات إلكترونيّة مؤقّتة، هناك عدّة

أدوات لبرمجيّات حرّة (FOSS) والتي تساعدك في ذلك، مثل Ccleaner.
لتحميل برنامج:
للوندوز Windows:
http://download.piriform.com/ccsetup517.exe
لماك Mac os:
https://download.piriform.com/mac/CCMacSetup112.dmg
شرح البرنامج :
https://securityinabox.org/ar/ccleaner

يتعين على المواطن الصحفي الحفاظ على معلوماته الخاصة في حاسوبه الشخصي، وكذلك نشاطاته على الإنترنت، لذلك عليه أن يكون مدركاً أن مواقع التعارف، مثلها مثل العديد من الشبكات الاجتماعية، هي أرضٌ خصبة للمخترقين الذين ينشرون البرمجيات الخبيثة، يحاولون عبرها إنشاء حسابات وهميّة وإرسال الرسائل، الأمر الذي يشجّع المشاهدين والمتلقّين على الضغط على رابط «لموقعهم» أو «فيديوهاتهم»، ولحماية نفسك من هذا التهديد عليك اعتماد مبدأ بسيط: إذا كنت لا تعرف المرسل، ببساطة لا تقم بالضغط على أي رابط تشعّبي يقومون بإرساله لك، خاصةّ إذا كانت الملفات الشخصية أو الرسائل الواردة إليك مثيرة للشبهة.

كما على المواطن الصحفي قبل كل شيء أن يتأكد من خلو حاسوبه من البرامج الخبيثة، مثل الفيروسات وأحصنة طروادة والبرمجيات التجسسية، من أحل ضمان فعالية أو جدوى أي من الأساليب والممارسات المقصود بها حماية الخصوصية وزيادة الأمان.

تسبب البرمجيات الخبيثة أضراراً من قَبِيل تدمير البيانات المحفوظة في النظام المصاب، أو التأثير سلباً على أداء الحواسيب والشبكات. بعض البرمجيات الخبيثة لوجودها أعراض واضحة للمستخدم، إلا أن أغلبها لا تكون أعراضها واضحة من خلال نظرة سطحية، مما يُصعِّب اكتشافها على كثير من المستخدمين. بعض البرمجيات الخبيثة تُصمَّم كدعابات أو كبرهان على المهارة التقنية وكتحدٍ لمنتجي البرمجيات الكبار، و مع أن بعضها حمل ونشر رسائل سياسية دون الإضرار عملياً بالنظم المصابة، إلا أن بعضها قد استُخدم في أعمال إجرامية باستغلال الموارد الحاسوبية والشبكية المملوكة لآخرين لمهاجمة الشبكات وإسقاط المواقع أو كسر كلمات السر لصالح المتحكم فيها.

يوجد مضادات فيروسات مجانية جيدة، و ما نعنيه هنا هو برمجيات كاملة الوظائف غير محددة بمدة وليست تجريبية (أو يمكن مدُّ أمد استخدامها بكل وظائفها بإجراء بسيط غير

مكلف). و ننصح هنا استخدام برنامج Avira.
لتحميل برنامج:
للوندوز Windows:
https://package.avira.com/package/oeavira/win/int/avira_en_av_56f13eb086018__ws.exe
لماك Mac os:
https://www.avira.com/downloads/frontendDl/defaultDownload?product=187
و كذلك ننصح باستخدام برنامج لمكافحة باقي البرمجيات الخبيثة (في بعض الأحيان لا تستطيع برامج مكافحة الفيروسات مكافحة البرمجيات التجسسية). و ننصح هنا استخدام برنامج Malwarebytes.

لتحميل برنامج:
للوندوز Windows:
https://downloads.malwarebytes.org/file/mbam_current/
لماك Mac os:
https://store.malwarebytes.org/342/purl-mbamm-dl

**كلمة السر:**
تتطلب الكثير من الأساليب التقنية التي نعتمد عليها لزيادة أمان تقنيات المعلوماتية التي نستخدمها، من الدخول إلى حساباتنا على الحواسيب أو في مواضع الخدمات المختلفة، إلى تعمية البيانات السرية، تتطلب استخدام كلمة سرّ، كلمات السر أو عبارات السر تلك هي كل ما تتوقف عليه حماية المعلومات، وهي ما يحول دون أن يحوزها من لا نرغب. لذا فكثير من أساليب الاختراق يكون محورها هو معرفة كمات السرّ؛ وتتراوح ما بين تخمينها، إلى خداعك لإدخالها في المكان غير المناسب، إلى التجسس عليك أثناء إدخالها، وصولاً إلى تهديدك لإجبارك على الإفصاح عنها.

ينبغي أن تكون كلمة السر عسيرة على التخمين حتى على من يعرفونك شخصياً، إذ أن إضافة حروف وأرقام ورموز يقوي كلمة سرّك ويجعلها غير قابلة للاختراق بسهولة، كما يتطلب استنتاجها حاسوبياً فترة طويلة. لاحظ أنه لو كان لدى المخترق وقت كاف و قدرات حاسوبية كافية فالمسألة تتلخص في كونها مسألة وقت قبل أن يتمكن من كسر المفتاح أو استنتاج كلمة السر بتجربة كل التبديلات المتاحة. المطلوب هو تصعيب ذلك بقدر الإمكان بما يتلاءم مع قدر سرية البيانات ومدى عزم المهاجم على نيله.

عليك أن تغير كلمة السر بشكل دوري، إلا أن التوصية المثالية بتغيير كلمات السر دورياً قد تستنفد حيلتك. لذا فبدلاً عن هذا يمكنك استخدام أقوى شكل من أشكال كلمات السر، وهي الكلمات العشوائية المولدة آلياً، وبدلاً من محاولة تذكرها أن تستعين بأداة تحفظها لك في خزانة خاصة لكلمات السر محمية بالتعمية القوية، مثل برنامج كي‌پاس.
إن استخدمت هذه الوسيلة فسيكون عليك أن تؤلف وتتذكر كلمة سرٍّ واحدة قوية لتحمي بها قاعدة البيانات التي تحوي كلمات السر العديدة الأخرى.

لتحميل برنامج:
للوندوز Windows:
https://sourceforge.net/settings/mirror_choices?projectname=keepass&filename=KeePass%201.x/1.31/KeePass-1.31-Setup.exe/
لماك Mac os:
https://www.keepassx.org/releases/2.0.2/KeePassX-2.0.2.dmg
شرح البرنامج:
https://info.securityinabox.org/ar/keepass

**تعمية البيانات:**
يقوم النظام السوري عند اعتقاله لأحد الناشطين باعتقال حاسوبه الشخصي أيضاً، لذلك يتحتّم على الناشط تعمية البيانات المحفوظة على حاسوبه.

توجد أدوات ومنظومات عديدة يمكنها توفير التعمية القوية مثل: فيرا- كرييت (VeraCrypt)، إذ أنه يقوم بالتعمية الكاملة للقرص الصلب على حاسوبك (هذا يتضمن ملفاتك الحالية والمؤقتة والبرامج الموجودة على حاسوبك) بالإضافة إلى وظيفة إخفاء البيانات المعمّاة المشروحة في قسم إخفاء البيانات الحساسة.

لتحميل برنامج:
للوندوز Windows:
https://veracrypt.codeplex.com/downloads/get/1537178
لماك Mac os:
https://veracrypt.codeplex.com/downloads/get/1537180
شرح البرنامج:
https://info.securityinabox.org/ar/truecrypt

وظيفة حجية الإنكار إحدى مميزات فيرا–كربت، وهي توظف نوعاً خاصاً من الاستكانوغرافيا لتمويه وجود البيانات الحساسة المعمّاة خلف بيانات أخرى معماة أقل حساسية؛ وهو مماثل لوجود جيب سري في خزانة مقفولة بمفتاح، بحث إذا تمكن المهاجم من الحصول على المفتاح أو إجبارك على فتحها تحت التهديد فسيجد ما يمكن أن يظنه المواد المطلوبة، وقد يدفعه هذا إلى الاكتفاء بما حصل عليه دون أن ينتبه إلى وجود ما يهمك إخفاؤه حقاً في الجيب السري. ولأنك وحدك تعرف بوجود الجيب السري يمكنك أن تنكر وجود أي شيء آخر، لو سُئلت، وقد يقنع هذا المهاجم. قد يفيد هذا في الحالات التي تُجبر فيها على الإفصاح عن كلمة السر لسبب ما، خشية تهديد مادي أو قانوني، وحجية الإنكار تمنحك خيار مواصلة حماية البيانات شديدة الحساسية مع حماية نفسك أو غيرك من الخطر.

تعمل وظيفة دعم حجية الإنكار بطريق إنشاء مجلد مُعَمّى مخفي داخل مجلد مُعمّى آخر، ويلزم لفتح المجلد المخفي والنفاذ إلى محتوياته معرفة كلمة سر تختلف عن المستخدمة لفتح المجلد الخارجي، لذا فإن تمَكّن مهاجم من فتح المجلد الخارجي – بتعاونك، لأن كسر التعمية غير مجدٍ – فإنه حتى وإن كان ذا خبرة تقنية فلن يمكنه التيقن من وجود أو عدم وجود مجلد مخفي داخله، ولا إثبات ذلك ما دُمتَ تنكره، حتى مع أنه قد يعرف أن مثل هذه الوظيفة توجد في فيرا–كربت، مما قد يدفعه إلى تركك لحالك، إلا أن هذا كما هو جليّ غير مؤكد وراجع إلى سلطة المهاجم الذي يملك إكراهك.

**الاتصال بالإنترنت:**

في بداية الحراك الشعبي في سوريا قام النظام السوري باختراق الحواسيب والبريد الالكتروني والملفات الشخصية للناشطين من خلال الكشف عن الـ IP: لكل جهاز كمبيوتر متصل بالإنترنت له رقم وحيد خاص، هذا الرقم يطلق عليه الـIP Addres، والذي يكون على الشكل التالي 72.49.51.130.

هذا الأمر الذي تداركه الناشطون في سوريا على سبيل المثال عبر استخدامهم لمنافذ اتصال آمنة مثل برامج كسر البروكسي: Tor أو VPN، وهو ما يحجب عن النظام السوري معظم نشاطات التواصل التي تجريها بين حاسوبك وبين المواقع التي تستخدمها.

لتحميل برنامج Tor:

Tor:https://info.securityinabox.org/ar/tor

ولكي تتحقق ما إذا كان موقع التعارف الذي تستخدمه يؤمّن اتصال إنترنت ذات طبقة منافذ آمنة، على العنوان الخاص به أن يبدأ بـ //:https.

كما لا يقتصر الأمر على حماية حاسوبك الشخصي بل هاتفك الجوال أيضاً والذي يعتبر

جهاز حاسوب صغير، يتضمن في تركيبته وظيفة تستخدم أنظمة التموضع العالمية أو جي بي إس (GPS)، ما يعني أن بإمكانه وبشكل تلقائي تحديد موقعك بشكل دقيق لصالح كل من الشركة المشغلة لشبكة الهاتف، والتطبيقات التي تستخدمها على جهازك (مثل مواقع التواصل الاجتماعي، وخدمات تعيين المواقع، والتصفح، وتطبيقات أخرى).

وتفيد الهواتف الجوالة أساساً مشغّل شبكة المحمول بمعلومات عن موقعكم (في إطار الوظائف المعتادة التي يؤديها أي هاتف)، إلا أن وظيفة نظام التموضع العالمي الإضافية لا يقتصر دورها على تحديد بيانات موقعكم بدقة أكبر، بل يمكن أن توزع هذه المعلومات على عدد أكبر من الجهات.

كلما زاد استخدامكم للهواتف الذكية كلما ازدادت في المقابل ضرورة إدراك المخاطر المرافقة لذلك، إذ إن هذه الهواتف هي فعلياً أداة فاعلة في نشر البيانات الشخصية، وقد تم تصميمها بهدف تأمين أقصى قدرة على الاتصال والترابط مع خدمات التواصل الاجتماعي بشكل تلقائي. وسبب ذلك أن بياناتكم الشخصية هي معلومات قيّمة يمكن البحث عنها وجمعها وبيعها.

**خطوات حماية الهاتف الجوال:**

- **الخطوة الأولى:**

إعداد إقفال بطاقة تعريف المشترك (SIM) عبر
System –> Security –> Sim and Lock Settings

- **الخطوة الثانية:**

إعداد قفل شاشة عبر
System –> Security –> Screen Lock
ننصح باستخدام خيار رقم التعريف الشخصي (PIN) أو كلمة السر (Password). والجدير ذكره أن رقم التعريف الشخصي هذا وكلمة السر هذه لا يحكمهما عدد أحرف أو أرقام محددة. بإمكانكم الاطلاع على مزيد من المعلومات بشأن اختيار كلمات السر عبر قراءة الفصل ٣. وضع كلمات سر قوية وحفظها.

- **الخطوة الثالثة:**

إعداد ضابط توقيت قفل الأمان، الذي سيتولى تلقائياً إقفال هاتفكم بعد مرور وقت محدد.

وعند هذه النقطة لا يمكننا سوى اقتراح توقيت محدد. ومن المفترض أن يُقفل هاتفكم في الوقت المحدد، وقد يُصبح الأمر متعباً إذا اضطررتم إلى فتح الهاتف في غضون ثلاث دقائق، لذا نقترح ضبط قفل الأمان عند ١٠ دقائق.

• **الخطوة الرابعة:**

إذا كانت نسخة الجهاز الخاص بكم «أندرويد ٤.٠» أو نسخة أحدث، عليكم تشغيل التشفير. ويمكنكم القيام بذلك عبر

Settings –> Security –> Encryption

وقبل قيامكم بتشفير الهاتف، سيُطلب منكم إعداد كلمة سر لقفل الشاشة (كما أشرنا سابقاً). ملاحظة: قبل البدء بعملية التشفير، احرصوا على أن تكون بطارية الهاتف معبّأةً بالكامل، ويكون الجهاز موصولاً بالتيار الكهربائي.

• **الخطوة الخامسة:**

أوقفوا الإعداد الافتراضي للواي فاي والبلوتوث، واحرصوا على إيقاف خيار الربط بالإنترنت عن طريق (Tethering)، ونقطة عمل الواي فاي (Portable Wi–Fi hotspot) ضمن إعدادات الشبكة والواي فاي Wireless and Network Settings.

• **الخطوة السادسة:**

إذا كان هاتفكم يعمل بتقنية التواصل قريب المدى (إن إف سي) (NFC)، فأنتم بحاجة إلى إيقاف هذه التقنية بما أن الهاتف يعمل بها افتراضياً!

• **الخطوة السابعة:**

أوقفوا إعدادات اللاسلكي ونظام تحديد الموقع العالمي GPS من خلال خدمات الموقع (Location Services) وبيانات المحمول عبر

data manager –> data delivery

ملاحظة: لا تشغّلوا إعدادات الموقع إلا إذا كنتم بحاجة إليها. ومن المهم ألا تكون هذه الخدمات تعمل افتراضياً خلال قيامكم بالعملية بما أن ذلك قد يحد من مخاطر تعقب موقعكم، ويوفر البطارية، ويقلّص حركة البيانات غير المرغوبة التي تتسبب بها التطبيقات الموجودة في الهاتف أو شبكة المحمول عن بعد.

• **الخطوة الثامنة:**

إذا كنتم تريدون إخفاء هوية المتصل (Caller–ID)، اتبعوا الخطوات التالية:

Call settings –> Additional Settings –> Caller ID –> hide number

**تأمين البريد الإلكتروني:**
صمِّمت الإنترنت لتكون شبكةً مفتوحةً تتدفق خلالها المعلومات في صيغة صريحة، لذا فكل ما ينساب عبرها يمكن اعتراضه والاطلاع عليه بسهولة، ولأن الإنترنت هي شبكة الشبكات، أي شبكة واحدة تمتد في أنحاء العالم وتتوزع الخدمات في أطرافها، فإن هذا يتيح لعديدين إمكانية الاطلاع على الرسائل.. نتناول في هذا الفصل البريد الإلكتروني تحديداً، ونستخدمه في الشرح، على اعتبار أن ما يسري على البريد يسري على أي نوع آخر من الرسائل التي تنتقل عبر الشبكة.

مقدم خدمة الاتصال بالإنترنت الذي تستخدمه هو أول محطة تمر عليها رسالة البريد فور أن تبدأ رحلتها من جهة المرسل، و بالمثل فإن مقدم خدمة الاتصال بالبريد الذي يستخدمه المتلقي هو آخر محطة تمر عليها الرسالة قبل أن تنتهي رحلتها عنده. عادة ما تتم عمليات التنصت في حلقة مقدم خدمة الاتصال بإنترنت، وما لم تتخذ احتياطات مضادة فإن التنصت على مراسلاتك أو التلاعب بها قد يتم في أي موضع ما بين المحطتين.

يمكن باستخدام تقنية التعمية بالمفتاح العلني إيجاد قدر كبير من الحماية للمراسلات أياً كانت درجة السرية التي يتيحها مقدم الخدمة أثناء نقل الرسائل وتخزينها، وأياً كانت طبيعة قناة الاتصال. بتطبيق هذه التقنية يتحول نص كل رسالة – ومرفقاتها – إلى صيغة لا يمكن لغير المرسل إليه قراءتها، لأن النص المعمى لا يمكن تظهيره إلى نص صريح مرة أخرى دون حيازة مفتاح. تكمن ميزة هذه التقنية عن تقنية التعمية التناظرية في انتفاء الحاجة إلى تبادل سر مشترك قبل إجراء الاتصال، أي لا توجد حاجة لتبادل مفاتيح سرية أو كلمات سر مسبقاً، و بهذا تنتفي الحاجة إلى وجود قناة اتصال آمنة.

التعمية بالمفتاح العلني تبدو معقدة للوهلة الأولى، إلا أنها تسهل بعد فهم الأساسيات، كما أن أدواتها ليست بالغة الصعوبة. ومع هذا فمن المهم فهم الإطار الذي تعمل فيه لتلافي الأخطاء التي تقلل كثيراً من فائدتها أو تمنح إحساساً زائفاً بالأمان. توجد لعميل البريد ثَندَربِرد ملحقة هي إنِجميل (Enigmail) يمكن استخدامها لتطبيق تقنية التعمية بالمفتاح العلني بنظام PGP.

الثقة في صحة وأصالة المراسلات البريدية عنصر هام للغاية عند التراسل عبر الإنترنت، إذ أن كل من لديه اتصال بالإنترنت ودراية كافية بكيفية عملها يمكنه أن ينتحل شخصيتك أو يرسل إلى آخرين رسائل تبدو كأنها صادرة عنك وعليها عنوان بريدك الإلكتروني، كما يمكنه خداعهم ليردوا على مراسلاته ليتلقاها هو. كما يمكن لمن لديه سيطرة على جزء من مسار المراسلات التلاعب في فحواها و تغييرها بحيث يخدم أغراضه هو، قبل أن يمرره في

الاتجاهين إلى المتراسلين الغافلين عن هذا التلاعب؛ ويمكن لهذا النوع من الهجمات أن يحدث في الوقت الحقيقي، أي مثلاً أثناء جلسة تراسل فوري، دون أن يبدو منه شيء لطرفي التراسل الأصليين.

و في هذا ما يدعو إلى القلق من التبعات الخطيرة على الغافلين عن هذا الانتحال، وعلى سَير الأعمال. خاصة أن المتراسلين عبر الإنترنت يفتقدون عوامل كانت في سياقات الاتصال التقليدية تساعد على التقليل من مخاطر الانتحال، مثل الصوت والخط وأمارات الاستيثاق التقليدية الأخرى.

للتقليل من المخاطر السابق ذكرها تستخدم تقنية التوقيع الرقمي وهي المبنية بدورها على التعمية بالمفتاح العلني. فبينما تحقق التعمية غرض السرية، فإن التوقيع الرقمي يحقق أغراض الاستيثاق والصحة، إضافة إلى الإلزام في حال وجود صلة ما بين المفتاح وهوية صاحبه.

لتحميل البرنامج:

https://info.securityinabox.org/ar/thunderbird_main

مثال:

سامر صحفي يتابع الشأن السوري، ينشر مقالاته في جريدة عالمية.
أحمد الحموي: اسم مستعار لناشط سوري، مقيم في مدينة حماه.

أرسل أحمد الحموي رسالة سكايب إلى سامر، كتب له فيها «مرحبا، يجب أن ترسل الفيديو الذي أرسلته لك تواً، لم أرسله لأحد بعد»، يقبل سامر الملف المرسل من أحمد دون تردد بحكم معرفة مسبقة معه، يشغل الملف مستخدماً FireFox.

الفيديو الذي أرسله المرسل، أي أحمد فيديو حقيقي لحدث مصور في أحد المناطق في الداخل السوري، لكن الذي لم يعرفه سامر حينذاك أن أحد العاملين في الجيش الالكتروني السوري استطاع اختراق سكايب أحمد الحموي والحصول على كلمة السر خاصته، كما قام بزرع برنامج خبيث في الفيديو، ما يخول الجيش الالكتروني السوري الدخول إلى جهاز سامر، تصفح ملفاته، التنصت على الميكروفون خاصته، والتحكم بالكاميرا.

اكتشف سامر أن جهازه مخترق بعد أكثر من عام، عندما أخبره أصدقاء كانوا قد اعتقلوا من قبل النظام السوري جراء تواصلهم مع سامر عبر السكايب، إذ قام المحقق في فرع المخابرات بعرض هذه المراسلات عليهم، إلى جانب رسائل من بريده الالكتروني، وصور لسامر تم التقاطها عبر الكاميرا الخاصة بجهازه.

سامر المقيم في نيويورك لم يأخذ بعين الاعتبار أمنه الرقمي، ما أوقعه ضحية لعملية اختراق هندسية اجتماعية من قبل الجيش الالكتروني السوري، من خلال زرع ملف خبيث من نوع RAT.
الخطوات التي وجب على سامر اتباعها للوقاية من الاختراق :
- التأكد من هوية أحمد، سواء كان ذلك عبر اتصال هاتفي أو عبر الصوت والصورة.
- عدم تشغيل ملفات تنتهي بلواحق مثل:lnk–exe–com–bat–js.
- فحص الملف من خلال برامج المضادة للفايروسات.
- فرمتتة الجهاز الخاص في حال الشك بتعرضه للاختراق.

استخدام أنظمة تشغيل غير ويندوز، إذ أن الجيش الالكتروني السوري مختص بعمل وتطوير اختراق نظام ويندوز.

في حال كان لابد لسامر من تحميل الملفات ومعاينتها، فمن الممكن أن يقوم بذلك على جهاز قديم مثلاً، وبشكل مستقل عن جهازه الخاص الذي يحتوي على المعلومات والملفات المهمة.

مثال:

رشا ناشطة تعيش في مدينة دمشق، كانت تقوم بتصوير المظاهرات ومشاركتها ضمن مجموعة سرية على موقع التواصل الاجتماعي الفيس بوك، جميع الموجودين في المجموعة نشطاء يستخدمون أسماءً وهمية.

في أحد الأيام وصلت إلى رشا الرسالة التالية من صديق لها على الفيس بوك:
«السلام عليكم. نقوم بجمع تواقيع لعريضة تطالب بإلغاء قانون الطوارئ في سوريا، يشارك فيها عدد كبير من الفنانين والكتاب والمفكرين ووجهاء المجتمع، الرجاء المساهمة بالتوقيع والنشر: الرابط إلى العريضة:
http://www.facebo0k.com/page/321341231298312/».

لم ترغب رشا بالتوقيع باسمها الحقيقي، إلا أنها وقعت ضحية الفضول، فتحت الرابط المرسل إليها، قامت بتسجيل الدخول إلى الفيس بوك مجدداً، ظهرت صفحة العريضة، وقعت باسم وهمي.

ضمن المجموعة السرية التي تشارك فيها رشا، تم الاتفاق على مكان وموعد جديد للتظاهر، وعند وصولهم إلى نقطة التظاهر تفاجئ الجميع بتواجد كبير لقوات الأمن السوري، تكرر الأمر في المواعيد اللاحقة للتظاهر، ما أثار الشك عند أعضاء المجموعة بأن النظام على علم بتحركاتهم، ظن الجميع حينها أن أحد الأعضاء أخبر أشخاص غير موثوقين ما عرض المجموعة للخطر.

ما لم تعلمه رشا أنها هي مصدر الاختراق، إذ أن كلمة السر الخاصة بها تعرضت للسرقة عندما فتحت رابط العريضة، حيث أن الرابط الذي قامت بالضغط عليه، وتسجيل دخولها إليه، كان يبدو شكلاً كصفحة تسجيل الدخول في فيس بوك، لكنها في الواقع صفحة خبيثة ترسل اسم المستخدم وكلمة السر إلى الجهة التي قامت بإعدادها، ومن ثم تنقل المستخدم إلى موقع الفيس بوك الذي يحوي بالفعل العريضة المرسلة، دون أن يعلم بذلك.

الخطوات التي وجب على رشا اتباعها للوقاية من الاختراق:
– التحقق من الرابط، إذ أن الرابط المرسل كان:
www.facebo0k.com وليس www.facebook.com.
– التحقق من وجود //:https قبل الرابط.
– تفعيل ميزة التحقق بخطوتين: تطلب هذه الميزة بعد تسجيل الدخول على جهاز جديد رقماً سرياً يظهر على الهاتف الذكي الخاص برشا، وبذلك لن يستطيع المخترق الدخول إلى حساب رشا إلا بعد حصوله على الرقم السري الذي أرسل إلى هاتفها الجوال.

مثال:

هادي طبيب في أحد المشافي الميدانية في ريف حلب، يعمل ليلاً نهاراً على مداواة الجرحى بالمعدات البسيطة التي يملكها.

المشفى الميداني الذي يعمل فيه هادي معرض بشكل دائم للقصف الجوي من قبل النظام السوري، مسألة وقت قبل أن يعرف الجيش السوري إحداثيات المشفى الجغرافي قبل أن يقوم بقصفه على غرار قصفه لكل المشافي الميدانية في المنطقة..

لا يملك هادي إلا القليل من الوقت للاستراحة، يقضيه بمراسله الفتاة ريم، تعيش ريم في اللاذقية بعد أن اضطرت للنزوح من حمص هي وأسرتها هرباً من القصف والدمار.

تعرف هادي على ريم صدفة داخل مجموعة على فيس بوك، وهنا بدأت بينهما علاقة مودة، ساندت الفتاة الطبيب الشاب لشهور عدة أثناء عمله في المشفى الميداني، وفي أحد الأيام أرسلت ريم صورتها لهادي، في الصورة ظهرت فتاة محترمة، ذات ملامح لطيفة، طلبت من هادي إرسال صورة له، والذي قام بتصوير نفسه مستخدماً هاتفه الذكي بجانب مقر عمله..

بعد أسبوعين، سقطت عدة قنابل على المشفى الميداني الأخير في المنطقة، أي المشفى الذي يعمل فيه هادي، ولحسن الحظ لم يصب هادي، لكن اثنين من زملائه قتلا.

اتضح لاحقاً أن ريم هي اسم وهمي لعلاء، أحد العاملين في الجيش الالكتروني السوري، مهمة علاء خداع الأشخاص الملاحقين من مخابرات النظام السوري، يجلس علاء في مكتبه بدمشق مع بقية زملائه، يحتسون الشاي، ويقومون بالتواصل مع الكثير من الشبان والشابات النشطاء.

يستخدم علاء أسماء وهمية عدة، ( رائد، ربيع، رواد، ريم، رجاء، رهف)، لاستدراج أهدافه للحصول على معلومات ذات قيمة للمخابرات السورية، كما حصل مع هادي، إذ استطاعت المخابرات تحديد موقع المشفى عبر نقطة علام ظهرت في الصورة التي أرسلها هادي لريم.

## تغطية الأحداث الخطرة:

معظم المواطنين الصحفيين يقومون بتغطية الأحداث الخطرة في بلادهم دون أن يتلقوا تدريبات عن كيفية تغطية النزاعات المسلحة، الحروب، الثورات، ما يعرضهم للاعتقال، الخطف والقتل.
لذلك على المواطن الصحفي الاطلاع على الوضع السياسي والاجتماعي والعسكري للمكان الذي سيقوم بتغطيته، الأمراض المنتشرة فيه، خطوط التواصل في حالات التعرض لخطر مباشر، تجهيز المعدات اللازمة للتغطية الصحفية، ومعدات الإسعاف الطبي للحالات الطارئة.

قد تشعر أن رؤيتك للأحداث بوضوح ودورك فيها قد يمنحك الشعور بالسلام والأمان، لكن لم يعدالأمر كذلك، اليوم كونك صحفي، صحفي يغطي الحروب يجعل منك هدفاً، إذ أن الشيء ذاته الذي يجعلك الأكثر أماناً أصبح الأكثر عرضة للخطر.

في البداية، قم بإعداد دراسة للوضع الأمني قبل الشروع في مهمة يحتمل أن تكون خطرة، يجب أن تتضمن خطط العمل الأشخاص الذين سيتم الاتصال بهم ومواعيد الاتصال ووسيلته، حدد كافة المخاطر المعروفة بما فيها تاريخ المشكلات في مجال التغطية؛ ضع العناوين العريضة لخطط الطوارئ التي تعالج المخاطر التي تتصورها. كما ينبغي عليك الرجوع إلى مصادر مختلفة كالصحفيين الذين لهم خبرة في المكان أو الموضوع والمستشارين الدبلوماسيين والتقارير عن حرية الصحافة وحقوق الإنسان والأبحاث الأكاديمية.

تشتمل المخاطر التي يجب تعيينها على:
- مخاطر ميدان المعركة كتقاطع النيران والألغام الأرضية والقنابل العنقودية والأفخاخ المتفجرة والقصف المدفعي والجوي.
- التفجيرات الإرهابية.
- الاختطاف بهدف الحصول على فدية أو مكاسب سياسية.
- المخاطر الصادرة عن الجماهير بما فيها احتمالية الاعتداء الجنسي أو السرقة أو الهجمات بالغاز المسيل للدموع أو العنف.
- مخاطر الحوادث المرورية (السبب الأول للوفاة غير الطبيعية في العالم).
- المعابر الحدودية وغيرها من مواطن التفاعل مع جماعات مسلحة عدائية أو غير منضبطة.
- المراقبة الشخصية المباشرة التي تقود إلى الخطف أو انكشاف المصادر.
- المراقبة الإلكترونية واعتراض المعلومات والمصادر.

• مدى أهلية المصادر والسائقين والمرافقين والشهود وغيرهم للثقة ومدى ولائهم لك.
الجريمة الشائعة.
• المخاطر الطبيعية كالأعاصير والفيضانات.
• المخاطر الصحية التي تتراوح من الأمراض المنتقلة بواسطة الماء إلى مرض الإيدز.
يجب أن يأخذ تقييم المخاطر في اعتباره أيضاً احتمالية أن تشتد حدة أي ظرف من الظروف –ابتداءً من وضع سياسي متوتر إلى كارثة طبيعية. وينبغي أن يشتمل التقييم على معلومات تتعلق بأماكن الإقامة والأماكن التي سيتم اللجوء إليها إذا لزم الأمر، والأماكن التي سيتم فيها الحصول على معلومات محدّثة داخل المنطقة المعنية وكيفية الحصول عليها، ومعرفة ما إذا كانت هناك حاجة لمعدات من قبيل جهاز راديو لخدمة استقبال نشرات الأحوال الجوية أو راديو بموجة قصيرة؛ ومعرفة من سيتم الاتصال بهم في البلد المعني من جماعات حقوق الإنسان المحلية وحتى السفارات الأجنبية للحصول على المعلومات العاجلة، وعلى خطط وطرق السفر داخل البلد، ومعرفة طرق متعددة للدخول والخروج.

عليك أن تقيّم البنية التحتية للاتصالات في منطقة المراسلة الصحفية مع تحديد المعدات التي قد تلزمك في حالات الطوارئ. هل الكهرباء والإنترنت وخدمات الهاتف المتنقل والأرضي متوفرة؟ وهل من المحتمل أن تظل هذه الخدمات متوفرة؟ هل سيلزم مولد أو بطارية سيارة مع محول تيار مباشر لتشغيل الكمبيوتر؟ وهل سيتوجب استخدام هاتف يعمل بالأقمار الصناعية؟ كذلك ينبغي أن يتناول التقييم الاحتياجات الأساسية مثل التغذية والرعاية الصحية. هل يتوفر المأكل والماء بيسر؟ وهل يوجد مستشفى أو عيادة أو طبيب؟ هل يلزم حمل صندوق طبي وما الذي يجب أن يحتويه؟
يجب أن تأخذ المظهر الذي ستظهر به بعين الاعتبار، فهل تريد أن تسافر في سيارة مكتوب عليها «صحافة» أو «تلفزيون» أم أنه سيكون من الأفضل أن تمتزج بين المدنيين الآخرين؟ وهل ينبغي عليك أن تعمل وحدك أم في فريق مع آخرين؟ إذا كنت ستسافر مع أشخاص آخرين فاختر رفاقك بعناية. فقد لا ترغب في السفر مثلاً مع شخص مختلف تماماً عنك في نسبة التسامح مع الخطر.

بعد أن أصبح لديك المعرفة الكافية بالمكان، الأطراف المتنارعة، الخلفية الاجتماعية، البنى التحتية للمنطقة التي تريد تغطيتها والمخاطر التي ستواجهك أثناد عملك، قم بتجهيز المعدات اللازمة (أغراضك الشخصية – الملابس– المعدات التقنية والأمنية – حقيبة الاسعاف الأولي).

ارتدِ الدرع الواقي، لكن عليك أن تعلم أنه ما من سترةٍ مضادةٍ للرصاص تماماً، فقد تتعرض لإصابة بالغة أو تلقى حتفك جراء الصدمة الناجمة عن قوة الرضّة، حتى وإن لم تخترق المقذوفة الدرع الذي تلبسه.

قبل توجهك إلى مكان الحدث، استشر مصادرك المحلية الموثوقة فيما يتعلق بالطريق، مواقع نقاط التفتيش والقائمين عليها، وماهي الاجراءات اللازم اتباعها، اذ لا يمكن التنبؤ بردات فعل الجماعات المسلحة وتصرفاتها، لذلك تحدث معهم باحترام دون أن توتر أو خواف، وليكن مرورك من نقطة التفتيش بأمان هو هدفك الأول والأخير. لا تسلك طرقاً غير مألوفة، لا سيما في الليل، وتجنب السير وحدك.

الاستعداد لتغطية الأحداث في المناطق الخطرة لا يقتصر على البحث والمعدات، عليك أن أيضاً أن تقوم بحماية وإخفاء كل المعلومات المتوفرة عنك على الانترنت، حاسوبك الشخصي و هاتفك، خصوصاً تعليقات وكتاباتك في مواقع التواصل الاجتماعي، تلك المتعلقة بالدين أو السياسة، في رحلتك هذه أنت معرض للاعتقال والخطف، ما يجعل من هذه المعلومات دليل إدانة ضدك وضد الآخرين.

بعد خروجك من مكان إقامتك من الممكن أن تتعرض لحالة إطلاق نار أثناء سيرك، اندفع فوراً نحو الأرض، أو اختبئ في حفرة أو خلف جدار سميك، لا تتردد في مغادرة المكان بأسرع وقت ممكن، وانتبه لوجود القناصين، فالأسلحة التي بحوزتهم تسمح لهم بالوصول إلى أهدافهم على بعد ١١١م و ٣١١م.

إن إطلاق النار ليس الأمر الوحيد الذي سيواجه مسيرك، فهناك القصف الجوي والمدفعية الثقيلة، في هذه الحالة عليك أن تحمي نفسك من الانفجارات، الشظايا والحطام الناتج عنها، لا تستسلم للذعر، اندفع إلى الأرض أو ازحف إلى أقرب ملجأ لحمايتك، تجنب الأقبية والأماكان العالية التي تكون عرضة للانهيار، تأكد من وجود المخارج، عليك أن تلتصق بالأرض، تحمي رأسك، وعند سماعك لصوت صفير فهذا يعني أن قذيفة جديدة في طريقها إليك، انهض، اركض واندفع إلى الأرض مجدداً، إلى أن تصل إلى بر الأمان، اتفق مع مرافقيك على إشارات خفية ليتم تحذيرك وتحذير الآخرين بها من الخطر. خلال عملك، ابق كتوماً حول ظروف تنقلاتك، الطرقات والمرافقين.

الصدمات
تشيع الاضطرابات النفسية في مهنة الصحافة عامة وليست خاصة بالمراسلين الحربيين فقط، فإن الضغط الناجم عن مشاهدة صور الأشلاء والقتلى والقصص الإنسانية المفجعة قد يوازي مشاهدتها حية، وكذلك العمل فترات طويلة تحت ضغط عصبي شديد قد يؤدي لظهور أمراض الاكتئاب والانهيار العصبي واضطراب ما بعد الصدمة.

تتلقى أثناء عملك في الميدان إلى صدمات نفسية قاسية، قد لا تنتبه إليها بسبب تسارعها وكثرتها، كالتخدير الحسي عند سماع أصوات القصف والانفجارات، لا تظهر أعراض مابعد الصدمة فوراً، بل من الممكن أن تبقى خفية وكامنة إلى أن تخرج من منطقة الخطر بشكل كلي.

الاحساس بالقلق والتوتر، المشاعر والمزاج المتقلب، الغضب، الاحساس بالذنب والاكتئاب الشديد، الذي تظهر عوارضه في قلة النوم، الكوابيس والرغبة في الانعزال، فيما تشعر بالارهاق المستمر، تسارع دقات القلب و التعرق، أو قد تغرق في العمل لدرجة الإجهاد في محاولة للهروب.

الخطوة الأولى لكي تتغلب على هذه الاضطرابات هو الاعتراف بوجودها، أمام نفسك، أصدقائك وزملائك، وفي حال توفر مراكز و مجموعات دعم نفسي لا تتردد في الذهاب إليها، حيث أن إدراكك بتعرضك للصدمة الخطوة الأصعب.

**القانون الدولي الإنساني:**

المادة ٧٩ من البروتوكول الإضافي الملحق باتفاقية جنيف ١٩٤٩ لحماية المدنيين بالنزاعات العسكرية نصت على أن الصحفيين المدنيين الذين يؤدون مهماتهم في مناطق النزاعات المسلحة يجب احترامهم ومعاملتهم كمدنيين، وحمايتهم من كل شكل من أشكال الهجوم المتعمد، شريطة ألا يقوموا بأعمال تخالف وضعهم كمدنيين.

دراسة للجنة الدولية للصليب الأحمر عن القواعد العرفية للقانون الدولي الإنسان ٢٠٠٥:
المادة ٣٤ من الفصل العاشر «يجب احترام وحماية الصحفيين المدنيين العاملين في مهام مهنية بمناطق نزاع مسلح ما داموا لا يقومون بجهود مباشرة في الأعمال العدائية».
القرار ١٧٣٨ لمجلس الأمن الدولي:

نص القرار على:

– إدانة الهجمات المتعمدة ضد الصحفيين وموظفي وسائل الإعلام والأفراد المرتبطين بهم أثناء النزاعات المسلحة.

– مساواة سلامة وأمن الصحفيين ووسائل الإعلام والأطقم المساعدة في مناطق النزاعات المسلحة بحماية المدنيين هناك.

– اعتبار الصحفيين والمراسلين المستقلين مدنيين يجب احترامهم ومعاملتهم بهذه الصفة.

– اعتبار المنشآت والمعدات الخاصة بوسائل الإعلام أعيانا مدنية لا يجوز أن تكون هدفا لأي هجمات أو أعمال انتقامية.

## الصور والمقاطع المصورة:

لقد صاحبت الثورات والحروب في العالم العربي على مر السنوات الأخيرة انفجاراً غير مسبوق في انتاج الصور، بوصفها الوسيلة المباشرة التي لا يتقصر دورها على نقل الأحداث بل على توثيقها أيضاً، لكن في الحروب، التي تتصف أحداثها ومجرياتها بالمعقدة، المتشابكة، المتداخلة و المتناقضة، والتي تستخدم فيها الأطراف المتحاربة كل الوسائل الممكنة لسلب حرية المتلقي، إعادة تشكيل سلوكه، اتجاهاته ومواقفه تجاه الأحداث بحسب ما يناسب مصالحهم، ما يحول الصورة من « أداة للحقيقة» إلى «أداة للخداع».

لم يتوانى النظام السوري منذ اندلاع الثورة السورية عن تحوير الحقائق لإخفاء الجرائم التي يرتكبها ضد المدنيين، مستخدماً في ذلك كل الطرق الممكنة للتأثير على الرأي العام المحلي، العربي والدولي، لكن وجود المواطن الصحفي في منطقة الحدث لطالما ساعد في إظهار الحقيقة عبر صور ومقاطع فيديو، قام بتوثيقها و نشرها في الوسائل الإعلامية بشكل عام ووسائل التواصل الاجتماعي بشكل خاص.

مثال:

في ٢٠١٣/١/١٥، نشرت CNN الخبر التالي :»سوريا: ٢٣٧ قتيلا الثلاثاء وقصف يطال جامعة حلب».
عرضت فيه ما نشرته وسائل الاعلام التابعة للنظام السوري والمعارضة كذلك، أنهته ب «يشار إلى أن CNN لا يمكنها التأكد من صحة المعلومات الميدانية الواردة من سوريا نظرا لرفض السلطات السورية السماح لها بالعمل على أراضيها».

تعالت التنديدات والاستنكارات حول مجزرة جامعة حلب، النظام السوري ندد أيضاً بالمجزرة التي ارتكبتها «جماعة مسلحة ارهابية» على حد قوله، كما أعد تقريراً تلفزيونياً عرض فيه صور الجثث والأشلاء، تحدث فيها عن التفجير الارهابي في الجامعة، محاربة الجيش السوري لهم، و عن الجهد الذي قام به النظام السوري لانتشال الجرحى ومعالجتهم، في ذلك، لم يتجاهل في ذلك كل الأخبار، الشهادات، الصور والفيديوهات التي كانت توثق وتنقل قصفه المستمر للمدينة في السنوات الأخيرة، بل تجاهل المتلقي أيضاً.
رابط التقرير:
https://www.youtube.com/watch?v=zCWN8D5wHiU

لكن الحقيقة مالبثت أن خرجت، عبر تقارير، شهادات وصور عن الحدث، كان قد رصدها المواطنين الصحفين في حلب.
ملخص مجزرة جامعة حلب – اتحاد الطلبة الأحرار :
قصفت طائرات النظام بتاريخ ٢٠١٣/١/١٥ الذي يصادف اول أيام الامتحانات، قصفت كلية

الهندسة المعمارية أثناء تقديم الطلاب لامتحانهم ...
القذيفة الأولى استهدفت دوار العمارة، لتستهدف الثانية السكن الجامعي وتدمر الوحدة التاسعة وتجعلها على الهيكل
لحظة قصف النظام لجامعة حلب موثقة بالفيديو:
httpv://www.youtube.com/watch?v=eka1FK_iJIU
رابط الصفحة:
http://ufss.info/2013/01/24/ملخص-مجزرة-جامعة-حلب-15-1-2013/

لم يكتفي المواطنين الصحفين بنشر الأدلة تلك، حيث قاموا بإعداد تقرير مصور تحت عنوان «تحليل فيديو قصف جامعة حلب»، التقرير الذي أطاح برواية النظام السوري، وأثبت أن الطيران الحربي السوري هو من قصف الجامعة.

ولأن الوقائع اليوم تحمل تفاصيل كثيرة، متناقضة، متماثلة ومتغيرة في الوقت ذاته، قد يجعل من إضافة تفصيل أو إلغائه أمراً كافياً لقلب الانطباعات وردود الفعل حولها، لذلك عليك كمواطن صحفي أن تلتزم بالمصداقية والدقة، إذ أن معظم أصحاب النفوذ ووسائل الإعلام يحاولون دائماً تقديم نماذج وخطابات وصور ضمن سياقهم الخاص، أجزاء من الحقائق والظروف، وكأن كل المعطيات مكتملة التفاصيل، ثابتة ونهائية، لينزلق المتلقي فيها، ما قد يجعلك متورطاً في لعبة الخداع خاصتهم.

مثال:

في شباط ٢٠١٥ ارتكب النظام السوري مجزرة كبيرة في دوما، الرأي العام تلقى أحداثها في الأيام الأولى باعتيادية تلقيه لأخبار المجازر المستمرة في سوريا إلى أن نشر ناشطون صوراً كثيرة للقتلى والضحايا والدمار في دوما في الأيام الأخيرة الماضية، فتلقّاها الرأي العام وتفاعل معها كأنها حدثت للتو، رغم أن النظام بدأ بتصعيد عملياته العسكرية في دوما منذ أكثر من أسبوع، قُتل خلاله أكثر من ١٥٠ مدنياً.

بعد ذلك، تصاعدت الأصوات المنددة بجرائم النظام في المدينة، ونُشرت على وسائل التواصل الاجتماعي والإعلام في اليومين الأخيرين صوراً كثيرة للمجزرة، كما أطلق ناشطون حملة واسعة تحت هاشتاغ «دوما تُباد».

لكن خلال ساعات انتقل انتباه الرأي العام نحو أمر آخر، ماذا حدث؟، تصدرت إحدى صور المجزرة معظم وسائل الاعلام والتواصل الاجتماعي، صورة يظهر فيها الحي الذي وقعت فيه المجزرة، أبنية مدمرة، شارع مغطى بالدماء، لا وجوه أو أجساد داخل الكادر، النظام قصف دوما بالفعل، الحدث وقع فعلاً، كذلك حقيقة مقتل الكثير من المدنيين في ذلك الوقت، لكن للأسف، من قام بنشر الحقيقة وتوثيقها، هو ذاته من جعل من حقيقة حدوثها أمراً مشكوكاً به، إذ اتضح لاحقاً أن الصورة، صورة الحقيقة، تم التلاعب بها، في محاولة يائسة لجذب انتباه الرأي العام نحو الحدث الذي تم تجاهله لأيام عديدة.

من واجبك كمواطن صحفي أن تنقل الحقيقة، الحدث كما هو، الواقع دون أي مبالغات أو تحوير، الصور ومقاطع الفيديو الأداة الأقوى والأكثر تأثيراً على المتلقي، هي انعكاس صادق ومعبر عن الأحداث، لكن عليك أن تعلم بأن هذه الأداة وكيفية استخدامها، كما السياق الذي تضعها فيه لا تؤثر فقط على المتلقي، الحدث نفسه و لكن على المعنيين حياتهم االشخصية وكرامتهم أيضاً.

كرامة الضحية

كرامة الضحية، الإشكالية التي أثارت جدلاً كبيراً خاصة في السنوات الأخيرة، حول ماهية معايير وأخلاقيات عرض صور ومقاطع فيديو تحوي جثثاً، أجساداً محروقة، أشلاء، تعذيب ومشاهد القتل.

الجدل الأخير تصاعد عندما نشر «أبو نضارة»، ، وهو تجمع سينمائيين سوريين، بياناً أدان فيه «تمريغ كرامة» الناس من خلال عرض صور أجسادهم المعذبة على شاشات العالم دون موافقتهم، الأمر الذي يسيء لكرامة السوريين والإنسانية جمعاء، وبنى على ذلك مبدأ «حق الإنسان في صورة كريمة أياً كانت الظروف».

رابط البيان:

https://www.facebook.com/notes/abounaddara-films/صورة—السوري—ما—

/770667179660658–لّزنتب
البيان أثار نقاشات كثيرة، كان إحداها النص الذي نشره الكاتب ياسين الحاج صالح في موقع الجمهورية تحت عنوان « تحديق في وجه القبيح»، قال فيه «سوف نكون في وضع أفضل من أجل التمثيل والعملية التأسيسية، والتعافي، إن واجهنا الفظاعة ونظرنا في وجهها، وليس إن تفاديناها. الفظاعة هي أقصى الغرابة، الأجنبية القصوى. والنحن المحال إليها في الجملة السابقة هي جيل الأحياء الذي لا بد أن يتحمل المسؤولية عن التأسيس الجديد، أن يقبل الإقامة في الفظاعة كي يطور تطعيماً عاماً ضدها».
رابط النص:
http://aljumhuriya.net/33487

المتلقي
لم تتوقف النقاشات الكثيرة حول حدود عرض صور الضحية، المسؤولية الأخلاقية المترتبة على نشرها، والضوابط والمعايير التي يجب التقيد بها عند استخدامها، بل امتدت لتطرح أسئلة حول جدوى عرضها من الأساس على المتلقي.

لكن ماذا عن المتلقي؟، يمكن القول أن هناك متلقي إيجابي و متلقي سلبي، يحمل الأخير في رأسه اليوم صوراً كثيرة. أشلاء، دماء، جثث، دمار.. يتابع تداعيات كل الأحداث، بينما تتهافت وقائع جديدة، لا تقل وحشية عن سابقتها، كلها تصب في جهازه النفسي، ترتفع لديه حالة التوتر، القلق، الحزن، الألم، ولأنه عاجز كلياً أمام هذا الواقع، غير قادر على تفريغ تلك المشاعر، فإن الأنا الخاصة به تنتقل بشكل مستمر من حدث إلى آخر بنفس درجة الانفعال والتأثر، أي أن عمليه التفريغ تتحول إلى عملية تخزين.

على عكس المتلقي الإيجابي، فإن تخزين وقائع العنف والموت ستؤدي بالمتلقي السلبي إلى حالات قلق وحيرة عاليتين، تبعده عن خوض كل حدث بشكل منفصل وتحليل أسبابه وخلفياته، ليبقى عالقاً في إعصار الانفعالات والعواطف المشتعلة، دون القدرة على الإتيان بفعل ما في واقع يزداد فيه تعزيز السلوكات السلبية الخالصة، ليتحول دوره من متلقي إلى مشاهد لا أكثر.

فيما يشعر المتلقي الإيجابي عند تعرضه ومتابعته للصور الصادمة بضرورة القيام برد فعل ما، أن من واجبه الدفاع عن حرية، كرامة وحقوق الآخرين، فهو جزء من مجتمعه، والعالم ككل، لذلك تراه يصارع للدفاع عن قضاياه مهما كانت نتائج جهوده تلك دون توقف، المتلقي الإيجابي لديه القناعة التامة بأهمية دوره في مجتمعه والعالم ككل.

يمكن اعتبار الفترة الحالية من أكثر اللحظات الفوضوية، العنيفة والمعقدة في حياة الرأي العام، المتشكلة بنيته على أساس موروث محدد، المكون على أنقاض صراعات، حروب، انقسامات،

ثورات، نكسات، انهزامات، انتصارات وتغييرات كبيرة مجتمعية، دينية، اقتصادية وسياسية عام بعد عام، لذلك عند تقييمك لإيجابية أو سلبية دور الرأي العام نحو قضيتك، لا بد من الأخذ بعين الاعتبار الظروف، العوامل والتجارب التي كونتها لتصبح ما عليه اليوم، وماهي الوسائل التي عليك اتباعها لإثارتها واستقطابها لمناصرة رسالتك، طرق العرض، النشر والنصوص المرافقة لهذه الصورة، كما السياق الذي وضعتها فيه، لقد أثبت الواقع أن تكرار عرض الصور الصادمة بطريقة عشوائي يتلاشى تأثيرها على المتلقي مع مرور الزمن.

مثال:

نشر مقطع فيديو على وسائل التواصل الاجتماعي تظهر فيه قوات النظام السوري داخل منزل في حي دمشقي، جسد شاب مقيد على السرير، يقترب أحد عناصر النظام منه، يلقي بمادة «مازوت» على الشاب، يحرقه حتى الموت.

حدث ذلك قبل أعوام ثلاث من قيام تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام بإحراق الطيار الأردني معاذ كساسبة في مشهد لن يمحى قريباً من الذاكرة. بين الحادثتين لن نعدم أمثلة أخرى على طرائق وحشية في القتل كان نصيب المدنيين فيها وافراً من الموت. لكن، رغم تكرار مشاهد الموت، أحدث إحراق «داعش» للكساسبة فعل «الصدمة» في أربع رياح الأرض، وكأن الحدث لم يكن إلا عهداً جديداً من الوحشية لم تعرف العين الناظرة قبله من مشاهد.
تمتاز داعش عن غيرها من القتلة الموجودين على الساحة بقدرتها العالية على «تحفيز الصدمات» وتلوينها بأكبر قدر من الوحشية، وذلك عبر تقديم سيناريوهات الفظاعة على خشبة مسرح الموت بشكل سينمائي وإعلامي محترف. فعلة داعش أثرت على أفعال القتلة الباقين بطريقة أخاذة، لم تعد ممارسات النظام السوري وأنصاره قادرة على أن تثير المشاعر والأحاسيس عند العين الجماعية للجمهور بنفس القدر الذي تمكّنت به داعش وأبدعت فيه.
في غضون أيام تالية لحادثة «القفص» الرهيبة قام النظام السوري بحملة قصف لم يسبق لها مثيل على أرياف دمشق والغوطة، وعلى دوما بشكل خاص. قتل النظام وحاصر وأقام للجوع مكاناً ثابتاً بين النساء والأطفال والعجز، لكن لم تثر ايّاً من هذه الأحداث والصور والمجازر التي يعيشها الانسان السوري المستباح أية ردود فعل كالتي تثيرها أفعال داعش بشكل ارتكاسي مباشر.

مزج تنظيم الدولة الإسلامية بين القديم والجديد في عملية القتل وعرض الجثة. وبذلك أثار أكبر المخاوف الإنسانية. فما يخزنه الإنسان عن التاريخ وما يفرزه من صور متخيلة عنها لا تكفي لتلغي حالة الشك والغموض عنها، لا سيما أن التاريخ المروي يحمل قصصاً كثيرة عن الحروب والأساطير والمجازر والخرافات والأديان، والتي أعيد تمثيلها كرواية أحداثها مختلفة، نصية وبصرية وتمثيلية وسمعية...
في حالة قطع الرأس، استدعت داعش لدى المتلقي الصور القديمة وما يرافقها من مشاعر، تلك المرتبطة بالطريقة التي كان يعتمدها الملوك والأمراء والرؤساء لفرض قوتهم وبث الرعب والخوف في الشعوب، كتنفيذ حكم الإعدام بأحد معارضيهم في ساحة عامة أمام أعين السكان، مستخدمين المقصلة الحديدية، أي فصل الرأس عن الجسد.

يعتمد تنظيم الدولة في عملية التسويق الإعلامي على الصدمات المحفزة، وحين يشعر أن حدثاً ما خفّض من اهتمام العالم به كقوة تهديدية مرعبة، يعمد إلى تذكير العالم بوجوده وحقيقته، في مشاهد قاسية معدّة بحرفيّة فنيّة كالتي راح ضحيتها الصحافي الأميركي جيمس فولي ومن بعده ستيفن جول سوتلوف.

وعلى هذا، لا يمكن تجاهل دور وتأثير الصور في القضايا السياسية، الانسانية، الاجتماعية، الثقافية والاقتصادية على مر العصور، بل محاولة إيجاد الصيغة المناسبة التي تستطيع من خلالها نقل الحقيقة كما حدثت بالفعل، حماية كرامة الضحية، والتأثير على المتلقي، تذكر كيف استطاعت صورة واحدة أن توقف حرب فيتنام، الحرب التي استمرت من الأول من نوفمبر عام ١٩٥٥ إلى الثلاثين من أبريل ١٩٧٥؟!.

- الدقة: موقع المرصد السوري لحقوق الانسان
  موقع لجان التنسيق المحلية
  موقع الهيئة العامة للثورة
  موقع العربية نت
  موقع الجزيرة نت
  موقع بي بي سي

- عدم الانحياز: «دليل المعايير المهنية في الكتابة الخبرية» أصدره برنامج استقلالية الإعلام

- الخبر: موقع الجزيرة– التاريخ: غير مذكور.
  موقع جريدة الحياة
  موقع العربية نت
  موقع جريدة العربي الجديد

التقرير الإخباري: موقع جريدة الحياة
موقع الجزيرة
موقع جريدة العربي الجديد

التحقيق الصحفي: موقع جريدة العربي الجديد
موقع جريدة الحياة
موقع جريدة سوريتنا
موقع شبكة أريج، موقع جريدة العربي الجديد

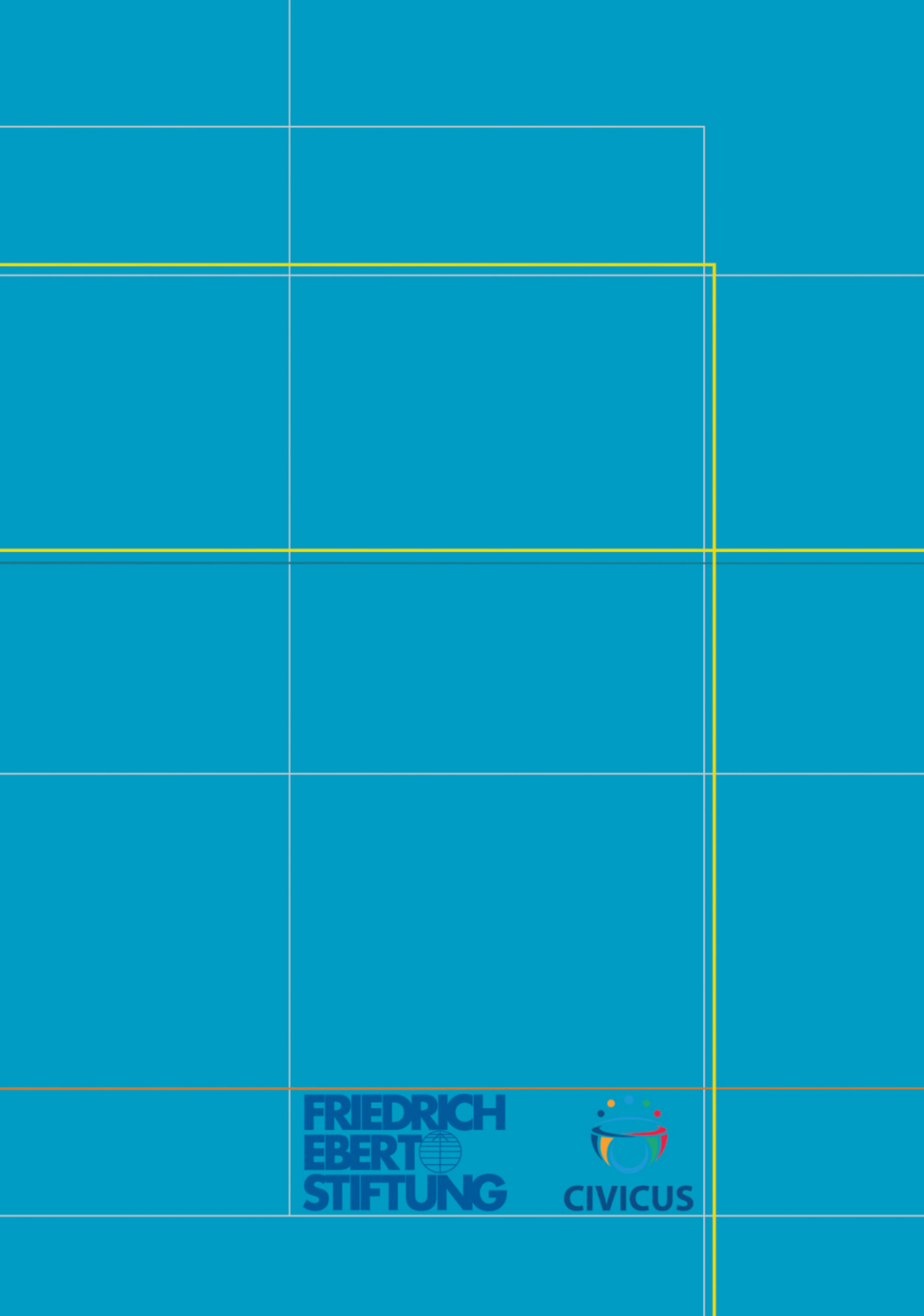
أنسنة الإعلام: العربية نت
الجزيرة نت
CNN العربية
زمان الوصل

القصة الصحفية الإبداعية: موقع جريدة الحياة
موقع ناو ليبانون
موقع ناو ليبانون
موقع جريدة الحياة
موقع الجمهورية
موقع ناو ليبانون
موقع المدن

المقارنة بين التغطيات والقصص الصحفية: موقع جريدة الحياة
جريدة نيويورك تايم
موقع جريدة الحياة
جريدة نيويورك تايمز
موقع جريدة الحياة
جريدة واشنطن بوست
موقع جريدة الحياة
جريدة واشنطن بوست
موقع جريدة الحياة
جريدة واشنطن بوست
موقع جريدة الحياة
جريدة واشنطن بوست
موقع جريدة الحياة
جريدة نيويورك تايمز

أسس الأمن الرقمي: دليل أدوات وممارسات للأمن الرقمي

تغطية الأحداث الخطرة: دليل للتغطية الصحفية في الأوضاع الخطرة– لجنة حماية الصحفيين


FRIEDRICH
EBERT
STIFTUNG
CIVICUS